

الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية



شامخين مكرس

الحقائق الأصلية في تاريخ المسؤولية العملية

تأليف
شاهين مكاريوس



الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العلمية

شاهين مكاريوس

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

بورك هاوس، شبيت سرتيت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تلفون: + ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٢٢٥٢٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: خالد المليجي

التقديم الدولي: ١١٦٤ ١٥٢٧٣ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٨٩٧.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٥.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: تَسْبُبُ الْمُصَنَّفِ، الإصدار ٤٠. جميع حقوق النشر الخاصة بـ نص العمل الأصلي خاضعة لملكية العامة.

المحتويات

٧	شاهين مكاريوس
١١	باسم مهندس الكون الأعظم
١٣	إدريس بك راغب
٢٥	مقدمة
٢٩	الباب الأول: إنشاءُ مدارس البناءَين التي نشأت الماسونية منها
٣١	١- في الأعمال البناءية
٣٥	٢- بعض الأقوال في أصل الماسونية وتعاليمها وغاييتها ومستقبلها
٤١	٣- الماسونية في بريطانيا
٤٩	٤- الماسونية في غاليا
٥١	٥- الماسونية في جرمانيا
٥٥	٦- في الشرائع والقوانين الماسونية الأساسية
٥٩	٧- وصايا ماسونية
٦٥	٨- في أهم المنشورات وتاريخ صدورها
٦٧	٩- في الجامع الكبرى التي أقامتها الماسونية منذ مجمع يورك سنة ٩٢٦ ب.م حتى مجمع سنة ١٧٨٧
٧٣	الباب الثاني: أعمال الماسونية العملية قبل التاريخ المسيحي
٧٥	تمهيد
٧٧	١- ملخص أعمال الماسونية من سنة ٧١٥ قبل المسيح إلى سنة ٣٠ ق.م

الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية

- ٢- الماسونية العملية من السنة الأولى المسيحية إلى الألف بعد المسيح
 ٣- الماسونية العملية من سنة ١٧١٧ إلى سنة ١٠٠١ بعد المسيح
 ٤- في طريقة فرسان مار يوحنا أو الستريكت أوبسرفانس
 ٥- الاستعداد لتحويل الماسونية العملية إلى رمزية

إيضاحات

شاهين مكاريوس

رئيس أعظم شرف مقام العقد الملكي باللينوييس في الولايات المتحدة الأمريكية، وعضو شرف في جمعية أبطال المسؤولية القدماء، وعضو شرف في كلٌ من محفل اللولو بأميركا، ومحفل سليمان الملكي بالقدس، ومحفل الثبات بمصر، ومحفل سوريا بدمشق، ومحفل الملك سليمان الأميركي، ومحفل إدريس بمصر، ومحفل النيل الإيطالي بمصر، ومحفلي لبنان وفلسطين في بيروت، ومحفل أسلكة سليمان بيافا، ومقام كوكب الشرق الملكي، ومجمع الكرنك الفرنسي لدرجة ١٨، وعضو المحفل الأكبر المصري، والمقام الأكبر المصري، ورئيس مؤسس محفل الطائف ومقام الطائف، ومحفل فنيقية، وحائز لدرجة النخل والصدف ودرجة ٣٢ وغيرها.

سعادة الفاضل إدريس بك راغب



رسم ماسوني.

باسم مهندس الكون الأعظم

أما بعد، فهذا كتابٌ عن تاريخ الماسونية العملية منذ عُرِفت حتى الآن جمعته من كتبٍ وفيرة المادة يُعوَّل عليها في صدق الرواية، وقد أفرغتُ في تأليفه واقتطافه جهدي، فجاءَ جامعاً مستوفياً، ولا تمَّ طبعه قدَّمته هدية سنوية إلى سعادة الرياضي القانوني العالم الفاضل والجهبد الكامل:

«إدريس بك راغب»، الرئيس الأعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري؛ إقراراً بفضلِه وغيরِه على الماسونية وأهلها، واعترافاً بما لسعادته من المآثر المتأثرة في إحياء معالها في القطر المصري وسائر البلاد العربية، وقد زينته برسمه الكريم؛ لعلمي أنَّ كلَّ ماسونيٍّ في القطر المصري وسائر البلدان يُودُّ حفظه؛ تذكراً لجميلِه العظيم ومعرفةِ الذي لا يفتقر إلى تعريف.

وقد نشرتْ ترجمةً سعادته فيما يلي نقلًا عن أصدق المصادر، وأفضل العارفين بسيرته المحمودة، علاوة على ما خبرته وعرفته بنفسي، والله أسألُ أن يديم عزَّه، ويعمم فضله، ويوطد به دعائِم المساواة والحرية والإخاء.

مؤلف الكتاب

شاهين مكاريوس

إدريس بك راغب

الرئيس الأعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري، رئيس أعظم محافل أفريقية الشمالية لدرجة الأساتذة المعلمين

«إدريس بك راغب»، وقبل الكلام عن ترجمته نتكلم عن والده. هو المرحوم «إسماعيل باشا راغب»، وكان قد هاجر مع والده من موره إلى مصر في حروب اليونان مع الدولة، وترك في بلده «بتراس» أموالاً وافرةً وأملاكاً واسعةً؛ لأنَّه كان من ذوي البيوتات فيها وأهل الشأن بين أهلها، ولما وصل إلى مصر تحت أعباء الهجرة والغربة رأه رجل من أهل الفراسة ومعه ابنه «إسماعيل راغب» صبياً تلوح عليه مخايل النجابة، فأشار عليه أن يُدخله في المدرسة الأميرية بأب بي زعل ففعل، فما لبث أن فاق أقرانه ودخل في معية «محمد علي باشا» كاتباً، فقرَّبه «محمد علي» لما رأه فيه من الذكاء والأمانة، وقد دخل عليه يوماً ليختتم منه أوراقاً، فدخل على عقبه المرحوم «سامي باشا» رئيس الديوان الخديوي في ذلك الوقت، ووقف فساله «محمد علي» بما عنده فمممِّح في كلامه كأنه ينتظر خروج ذلك الكاتب ليعرض ما لديه، فقال له «محمد علي»:

أَوْيُكُنْتُ عَنْ هَذَا سِرْ؟ اعْرِضْ مَا عَنْدَكْ، فَهَذَا كَابِنِي.

نقل هذه الحكاية المرحوم «راغب باشا» في وصف حكمة «محمد علي» في تربية حاشيته، وما يذكر له من الشجاعة وقوة القلب أنه كان كاتباً لمجلس رئيسه «إبراهيم باشا» ذاك الأسد الأغلب، فتقدمت في المجلس دعوى أقر المجلس فيها على قتل رجل، فعارض المرحوم «راغب باشا» فيها معارضة أغضبت المرحوم «إبراهيم باشا»، فقال له: أوقفك على نظر الدعوى مرة ثانية، فإن كانت معارضتك على غير حق قتلتك مع الرجل، فقال: يا أفندينا إن الأعضاء رأوا رأيك فهم لا يتحمّلون عنه، وإنما أرجو من أفندينا أن ينظرها وحده وله الحكم بعد ذلك. ولما قرأ «إبراهيم باشا» أوراق الدعوى ظهر له صحة ما قال «راغب باشا»، فاعترف بخطأ ما رأاه المجلس، وصواب ما رأاه «راغب باشا»، وهذا مقام لا تتقدم فيه قدم في ذلك الزمان، والموت بين الشفة والسيف. ولما تولى «عباس باشا» الأول غضب على الموريَّة جميًعاً فانزوى «راغب باشا» في أبعادِيَّته مدة حكومة المشار إليه. وقد قصده مراراً بالسوء وأحاطه بالجوايس، ولكن الله سلمه. وفي ولاية المرحوم «سعيد باشا» كان هو القائم بإدارة الأمور فصار ناظراً على الجهادية والخارجية، وناظراً على الخزينة التي هي المالية، وكان لا يعيش له أولاد، ولما رُزق بإدريس بك نصح الأطباء لوالده أن يخففوا من الإفراط في التحرُّز والوقاية التي كانت سبباً لمرض الماضين، وكان المرحوم «سعيد باشا» يبعث بالتلغراف إلى مصر وهو في الإسكندرية يسأل كل يوم عن صحة المولود ويبشر بنفسه ووزيره بصحة ولده.

ولما تولى «إسماعيل باشا» الخديوي الأسبق قدّه وظيفة باشمعاون، وكانت تلك الوظيفة بمكان رئاسة الوزارة، فكان بيده الحل والعقد في جميع الأمور، وقد زاره الخديوي مراراً في بيته ولم يسبق هذا لغيره. ومن مآثره أنه لما كان ناظراً على المالية أحسن عليه الخديوي «إسماعيل» بثلاثين ألف جنيه فاعتذر عنأخذها لحالة المالية، ويقول الخبرون إنه لو كان «إسماعيل باشا» تبع نصائحه لم يحصل ما حصل من ارتکاب الديون وغيرها.

وقد أُصيب بالشلل في شِقَّه؛ وسبب ذلك أن رجلاً فرنسوياً من أقارب «موسيو دلونكل» الشهير جاء إلى مصر وعرض عليه قرضًا، فأخذ يخابره في شروط القرض و«إسماعيل» باشا يحذر أن لا يعتمد على كلام الرجل وهو يعارضه في ذلك، وفي آخر الأمر لما تبين المرحوم «راغب باشا» صدق فراسة «إسماعيل باشا» الخديوي في الرجل المذكور وغلطه في الاعتماد عليه لم يقدر أن يتحمل ذلك على مهاراته فأُصيب بالشلل فتداركه الأطباء، وقد بقي في جسمه أثر المرض ظاهراً إلى أن توفي، ولم يمنعه هذا من مباشرة الوظائف المهمة في الحكومة.

وقد صار رئيس الوزارة في مدة «عرابي» في عهد الخديوي «توفيق» أيضًا، وكان له عناية عظيمة في تربية ابنه ووحيده «إدريس بك» فكان يدخله في أشغال الحكومة وهو في العاشرة من عمره ويساعده مشاوره امتحان وتدریب في كثير من المعضلات، وما زال معه على ذلك حتى توفي، وقد صرف جميع ما في طاقته في تعليمه وتهذيبه وتنقيفه، وكان له منزلة المعلم في أوقات فراغه من الدرس، وإنك لتجد ذلك ظاهراً في أخلاق «إدريس بك»، فإنه جمع من محسن الأخلاق ومكارم الشيم ما يدللك على أنه تخرج على فيلسوف حكيم، وقد جاء له بأفضل المعلمين والأساتذة فهو يعرف اللغة الفرنسوية والإنجليزية والتركية والعربية والعلوم الرياضية، وله فيها تأليف ومقالات شتى كما سندكره فيما يلي.

ومع أنه تربى في مهد النعيم، ونشأ في الحلية، فهو قوي الحجة، مبين البرهان، مُتحَوِّشٌ في نفسه وسط تلك النعم. ومع أنه مالك لهذه الثروة الواسعة فهو محترم للغنى، لا يمكن لمن ينتقد أحواله وأطواره أن يجد في طياته شائبة افتخار بما لديه من وافر المال، ومع أنه واسع المعارف، طويل الاباع في العلوم الرياضية، فلا يجد خليطه أدنى دعوى للعلم. أمّا الأخلاق ومحاسنها فهو من الأفراد المعودين في التاريخ في باب الحلم، ولا يغلط واصفه إن قال إنه لم يُرْ غضباناً أو قائلًا هجرًا، أو شاتماً خادماً، وله في الحزم في أشغاله والكرم في عطياته آيات للسائلين.

ولد «إدريس بك» يوم الأربعاء في ٢١ أغسطس سنة ١٨٦٢ م فتربى في مهد العز كما تقدم، ورأى أساتذته منه تلميذاً نجيناً يميل طبعاً إلى العلوم، ولا تكاد تخفي عليه من دروسه خفية؛ فارتقت منزلته عندهم ولم تطل المدة حتى ظهرت ثمار اجتهاده يانعة، فأحرز ثقة أساتذته به، ونال درجة عالية في العلوم الرياضية، وكان على صغر سنِه سمير الكتب، وجليس التأليف، ولم يخل منزله يوماً من العلماء الأعلام الذين كانوا يفدون عليه. وكان يراسل جريدة المقططف في أثناء طبعها في مدينة بيروت، وله بها الرسائل الرياضية والمقالات العلمية التي تدل على طول باعه وتفصيله من العلوم، وقد اختاره المجمع العلمي الشرقي عضواً شرف فيه.

وفي شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ الموافق شهر أكتوبر سنة ١٨٧٩م اقتربن بذلك العصمة والعفاف السيدة «نظله» كريمة خاله المرحوم «عبد الله باشا عزت الأنفوسي». وفي شهر رمضان سنة ١٣٠٢هـ / يونيو سنة ١٨٨٤م توفي إلى رحمته تعالى «إسماعيل راغب باشا» والد صاحب هذه الترجمة، ففقدت البلاد المصرية بوفاته ركناً من أعظم أركانها، وحزنت عليه حزناً شديداً، وفي ذلك الوقت أظهر «إدريس بك» من الحزم والعز

ما أطلق ألسنة الخلق عموماً بالثناء عليه وعلى آدابه. وقد أنعم عليه المغفور له توفيق باشا خديوي مصر بالرتبة الثانية في ٢٣ يونيو سنة ١٨٨٥ م / ٢٠ شوال سنة ١٣٠٢ هـ، إظهاراً لافتاته السامي إليه وتشجيعاً له على اقتداء خطوات أبيه في خدمة الحكومة والوطن بالصدق والأمانة فسرّ هذا الإنعام كل من عرف حُسن شمائل المنعم عليه وأملوا له زيادة الارتفاع في مدارج العلاء.

وفي هذه السنة (١٨٨٥ م) رزقه الله ولداً سماه «أحمد نصرت»، فأقام لأجله ليالي الذكر ووزع مع حضرة حرمي الفاضلة الإحسان على المستحقين، وشكروا الله على هذه البركة.

وسنة ١٨٨٦ م رُزق ابنة سماها «فطنت» هانم، وعمل لها العقيقة كما عمل لأخيها قبلها.

وإذ كانت العشيرة الماسونية هي الجمعية المثل التي جمعت نخبة أفضليات البلاد وعيون أعيانها، وكان يتقارتر إلى الانظام في سلوكها كل ذي نفس أبيّة وسجية زكية، ولما رأى صاحب الترجمة ما لهذه الجمعية الشريفة من الأعمال الحميدة قدم طلبه إلى محفل كوكب الشرق نمرة ١٣٥٥ التابع لمحفل إنكلترا الأكبر، فقبل في الدرجة الأولى في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٧ م، وكان رئيس ذلك المحفل وأعضاؤه يثثون به لما رأوه فيه من دماثة الأخلاق وكريم السجايا، فرقّوه إلى الدرجة الثانية في ١٠ فبراير سنة ١٨٨٨ م فزاد حبه لل MASONIّة وزاد حبه لهم له.

وترقى لدرجة الأستاذ في ٢٩ مارس سنة ١٨٨٨ م، فكان قدوة حسنة لإخوانه، ورُزق في هذه السنة ولداً سماه «محمد عزت».

وسنة ١٨٨٩ م انتُخِب بإجماع الآراء منبهاً أول لمحفل كوكب الشرق. وفي ١٤ يناير سنة ١٨٨٩ م أرسل عطوفة ناظر الحقانيّة إفادة إلى سعادته يكلفه قبول منصب نائب قاضٍ في المحكمة الأهلية فلبى الدعوة لخدمة وطنِ العزيز، ولم تطل مدة قيامه في هذه الوظيفة حتى صدرت إرادة سمو الأمير بتعيينه قاضياً في محكمة مصر الأهلية، وكان من جملة آثاره فيها أنه كشف مخبآت قضية «مصطفى باشا الخازنار» الشهير، وأظهر بواطنها.

وفي ٢٦ يناير سنة ١٨٨٩ م أحرز درجة أستاذ معلم في محفل مصر نمرة ٣١١، وهو محفل إنكليزي تابع للشرق الإنكليزي، وفي ٦ مارس سنة ١٨٨٩ م أسس محفل الهلال نمرة ٣٠، وفي ٨ مايو سنة ١٨٨٩ م ترقى إلى درجة العقد الملوكي في مقام البلور نمرة

١٠٦٨، وفي أواخر سنة ١٨٨٩ م أجمعت الآراء على انتخابه رئيساً لمحفل كوكب الشرق، وفي ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨٩ م عُين منبئاً أول أعظم للمحفل الأكبر المصري. وفي ١٠ يناير سنة ١٨٩٠ م تولى رئاسة محفل كوكب الشرق الموقر، وقد زرت المحفل في أثناء رئاسته فألفيته زاهراً زاهياً به، ورزق في هذه السنة ولداً سماه «إسماعيل راغب». ويوم الجمعة مساءً في ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٠ م اجتمع المحفل الأكبر المصري وقرر اجتماعه الماسوني في ٩ يناير سنة ١٨٩١ م لانتخاب موظفيه، وكان المغفور له «توفيق باشا» خديوي مصرى رئيساً أعظم للمحفل الأكبر المصرى، ولما كثرت أشغال المحافل وزاد عدد طالبي الانضمام إليها رغب سموه إلى الإخوان العاملين أن يُعفوه من الرئاسة العملية، وأن ينتخبوا غيره من الأفضل أصحاب الواجهة والعلم، وفي ٩ يناير سنة ١٨٩١ م اجتمع المحفل الأكبر المصرى في الدار الماسونية بحضور جمصور الإخوان، وبعد إجراء الرسوم المعادة انتخباً «إدريس بك» رئيساً أعظم فسرَ كل الإخوان في القطر المصرى من هذا الانتخاب.

ويوم الجمعة ٢٣ يناير سنة ١٨٩١ م أرسل سمو «توفيق باشا» نائبه في الرئاسة العظمى سعادة «حسين فخرى باشا» ناظر الحقانية المصرية في تلك السنة، فعقد اجتماعاً في المحفل الأكبر المصرى وثبت الموظفين وأجلس «إدريس بك» على كرسى الرئاسة العظمى، فاستلم الأشغال بين تهليل الإخوان وسورهم، وحينئذ انتُخب سمو الخديوي «توفيق باشا» رئيس شرف مؤيداً للمحفل الأكبر المصرى، و«فخرى باشا» رئيس شرف أيضاً، وببلغ سموه ما تمَّ فسرَ وأهدى إلى المحفل الأكبر مبلغ مائة جنيه تنشيطاً له على أعماله الخيرية، وأعلنت المحافل الوطنية والتحابية والمشارق السامية والمجالس العليا الماسونية فيسائر أنحاء المسكونة بهذا الانتخاب فسرَ الجميع بذلك وأرسلوا رسائل التهاني تترى. وفي ٢٣ مارس سنة ١٨٩١ م نال الدرجة الثامنة عشرة من شرق إيطاليا الأعظم.

وفي ٢٩ أبريل سنة ١٨٩١ م اجتمع المحفل الأكبر المصرى برئاسته وبحضور جماعة من الإخوان العظام، وكان المحفل الأكبر مدبوغاً بستة عشر ألف جنيه فاتفقوا على تسويته وأقنعوا أصحاب الدين بقبول ألف وأربعين ألف جنيه تدفع نقداً ويتأخّص المحفل من كل دينه، ورأى أعضاء المحفل الأكبر تعسر الواسطة لوفاء ذلك الدين فلجهوا إلى أستاندهم الأعظم «إدريس بك»، فكان من باكورة أعماله أنه دفع المبلغ من ماله الخاص، فأصبح المحفل الأكبر المصرى حراً في أعماله وماليته.

وفي ١ مايو سنة ١٨٩١ أُلْحِق بمحفل نور الشرق التابع لشرق إيطاليا الأعظم، فمنه
في ٥ مايو سنة ١٨٩١ م الدرجة الثلاثين، ثم دخل في المجلس المصري الأعلى وأخذ فيه
درجتي ٣٢ و٣١.

وفي ٣ يوليو سنة ١٨٩١ م أحرز الدرجة السادسة والتسعين في الطريقة المنفيسيَّة
مكافأةً على ما أتاه من الخدم الجليلة للهيئة الاجتماعية عموماً والماسونية خصوصاً، ولما
كان المجلس الأعلى لدرجة ٣٢ لا يعترف بهذه الطريقة تنازل عن هذه الدرجة.

وفي ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٩١ م ترقى إلى الدرجة الثالثة والثلاثين، وهي أرفع الدرجات
الماسونية في الطريقة الاسكتلندية للبنائين الأحرار القدماء المقبولين.

وبيوم الخميس ٨ أكتوبر سنة ١٨٩١ م مساءً احتفل المحفل الأكبر بُعْيَد تأسيسه
وتثبيت الرئاسة العظمى لسعادة «إدريس بك»، فكان هذا الاحتفال جامعاً كل أسباب
المسرات. وقد توارد إليه الإخوان أعضاء جميع المحافل، وازدان صدر الحفلة بحضور
كثير من الرؤساء ومندوبي المشارق العظمى المتاحبة والمحافل الكبرى والمجالس السامية
التي لها علائق وديانية وصلاتٌ حبيبة بالمحفل الأكبر، فكان هذا الاحتفال باهراً زاهراً لم
يسبق له نظير في الهيئة الماسونية المصرية؛ لأنَّه جمع دواعي الأنس ومجالي الابتهاج، وكان
الإخوان على سرر الصفاء متقابلين تعلو أساريرِ وجوههم أماراتُ البِشْرِ وإشاراتُ الابتهاج؛
لأنَّهم علموا أنَّ هذا اليوم تذكار عظيم لظهور شأنهم في عالم البناءة الحرة وبزوج كوكب
سعدهم في أفق الماسونية.

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٩١ م أسس مقام كوكب الشرق نمرة ١٣٥٥.
وفي ٣ يناير سنة ١٨٩٢ م أسس محفل الإخلاص للأستانة المعلمين نمرة ٤٤٠، وقد
نال الثنائيون الرئيسة من كل المحافل التي قام عليها رئيساً، وهي: الهلال، وكوكب الشرق،
ومقام كوكب الشرق، ومقام البلور، ومحفل الإخلاص.

وفي يوم الخميس السابعة وربع مساءً في ٧ يناير سنة ١٨٩٢ م توفي إلى
رحمة الله «توفيق باشا» خديبو مصر في مدينة حلوان، فحزنت عليه الأمة المصرية عموماً،
والماسون خصوصاً حزناً شديداً، ومشي المasons جميعاً في مشهدِه. وعلى إثر وفاته كتب
سعادة «إدريس بك» رسالة تعزية لحضرت صاحبة الدولة والعصمة حرم المغفور له
بالنيابة عن الجمعية الماسونية وتووجه بها إلى سراي القبة وقدمها إلى دولتها فقبلتها أكرم
قبول من هذه الجمعية الشريفة، وسألت «إدريس بك» إبلاغ سلامها وشكرها الجزييل إلى
أعضاء المحفل الأكبر المؤقر وسائر إخوان العشيرة الماسونية في القطر المصري.

و عمل له صاحب الترجمة تذكاراً ليوم الأربعين من وفاته لم يسبق له نظير في البلاد المصرية اجتمع فيه أكثر من ألف أخ ماسوني بملابسهم الرسمية برئاسة «إدريس بك»، فتلىت فيه الخطب والمراثي.

وفي ١٢ يناير سنة ١٨٩٣ م أسس المقام الأكبر المصري لدرجة العقد الملوكى، وعيّن رئيساً أول أعظم له، وانتُخب كاتب هذه الترجمة سكرتيراً أعظم له، وفي ٣ فبراير سنة ١٨٩٣ م أسس محفى السفينة الملكية نمرة ٤٤٠ (المارك). ورزق في هذه السنة ابنة سماها «عطيت هانم».

وفي هذه السنة (١٨٩٣ م) طبع القانون الماسوني للمحفى الأكبر بعدما نُقح وأضيف إليه تحملات مهمة، وابتداً بطبع كتب الدرجات الرمزية الثالث ثم طبع شروحها كل درجة بكتاب على حدة، وكذلك درجة المارك والعقد الملوكى ومحفى الأساتذة المعلمين، وكتب التعليم وغيرها، ولم يقتصر على هذا، بل جعل جلسات المحفى الأكبر غاية في الانتظام ووطّد اتحاده مع المشارك السامية ونظم اجتماع لجنته المستديمة.

وفي شهر أكتوبر سنة ١٨٩٤ م / ربیع أول سنة ١٣١٢ هـ أنعم عليه جلالة شاه إيران بنيشان شيرخورشید (الشمس والأسد) من الدرجة الثانية على إحسانه إلى الحاج الإيرانيين وغيرهم.

ورزق في هذه السنة ابنة سماها «أمينة هانم».

وفي هذه السنة (١٨٩٤ م) طُبع كتابه المسمى «طيب النفس لعرفة الأوقات الخمس»، وقدمه لأعتاب سمو «عباس باشا حلمي» خديوي مصر، ورفع منه كتاباً إلى عظمة السلطان «عبد الحميد خان» وأخر لجلالة شاه إيران، وقد قرظه حضرة المشير الهمام ذي الدولة والفارغ الغازى «أحمد باشا مختار» بالتركية فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلف عزتو إدريس بك أفندي شو كتاب فوائد نصابك محتو ياتيله اشتغال
ايتمكي نه أبي بولش على الخصوص عمومه عوامي، وخصوصه حسابي
برطرزده مختصر ومفيد تفسير مسائله كير شمكله برابر تطبيقاته دها
زياده اهميت ويره رك بر طاقم دستور لري حل ومتعدد جد ولاري املايه
قدر صرف همت ايلمش حقاكه پك کوزل ياپمشدر کنديسنہ تشکر له برابر

دها بونك كبي نيجه اثار مفيده نشرينه موفق اولسني الطاف سبحانيه دون
تمنى ايirm.

غازي

أحمد مختار

في ١٥ جمادى الثاني سنة ١٤٢٢ هـ

وقرظه حضرة العالم المحقق سعادتو «إسماعيل باشا الفلكي» ناظر مدرسة
المهندسخانة والرصدخانة سابقًا، فقال:

إن أبهى ما تزدان به الطروض، وترتاح إليه النفوس، حمد من اطلع في سماء
العلوم هلاً يفيض نوره على العالمين، ويهدى بضوئه المسترشدين، والصلة
والسلام على قطب دائرة الوفاء، وصحابته الذين أظهروا أسرار العلم من زوايا
الخفاء. وبعد؛ فقد سرت الفكرة في رياض هذا المؤلف العزيز المثال، وأمعنت
النظر في غررها التي لم ينسج لها على منوال، فوجدت أن مؤلفه الفاضل قد جمع
فيه من الفوائد ما لا يدخل تحت عد حاسب، ولا يقوم بحصره قلم كاتب. أظهر
مكتنونات كانت مودعة في زوايا النسيان، فأزال حجابها حتى تراءت للعيان،
ومثل علم المواقف أحسن تمثيل، بما لم يُعهد له مثيل، فسَهَّلَ على كلّ معرفة
الميقات، فلا غرابة أن عدناه له من أعظم الحسنات، فكم ترك الأول للآخر،
من عظيم المحسن وشريف المائز، نعم فهو نتيجة فكر رشيد، وعقل سديد،
ورياضي له ذكر بين مشاهير الرجال، وله في أفقه معاصرهِ جزيل الآمال،
فنفع الله به وطنه، وأدام عليه من درار علومه ما يجعل أهل العصر الحاضر
يرفعون له ألوية الشكر، ويقدمون إليه عظيم الثناء، وأكثر الله من أمثاله بين
ظَهَرَانِيَّنا لتقديم المعارف والعلوم.

وقرظه حضرة العالم الفاضل عزتو أحمد بك ذهني ناظر مدرسة المهندسخانة الخديوية
قال:

ما أبدعهُ أفكار الحكماء الأوائل، وجالت في ميادين اختراعه جياد أعلام الأفاضل،
ورصدت كواكب إدراكه نفس «إقليدوس»، ودارت على محور الإمعان دائرة
أنظار «بطليموس»، بأعظم مما أنتجته أفكار من قسم على صحيح تصوُّره جمع

ال المعارف والأداب، واطرحت دون بلوغ شأوه أقوال النبلاء في زوايا الانقلاب، همامٌ لم تدوّن قاعدة في فنٌ إلا وله بها الإمام الشافى، والرأي السديد الوافى، ولا سيما علم الرياضة الذي غدا به كالرياضيان البانة، وغدت شموس أفكاره في بروج مطالعه ساطعة، كيف لا وهو المولى الذى يشار إليه بالبنان، ويشهد له بإحراز قصبات السبق في مضمون الرهان، ويقصر عنه في حبته كل عالم وكاتب، السرى اللوزعى «إدريس بك راغب»، فقد طالما بذل النفس والنفيس لمنفعة بلاده وأبناء وطنه، وعمرهم من بحار علومه بما تركهم مشمولين بمنته. وما صار عنواناً على تالد فضله وطريقه، وشاهداً عدلاً على رائق معناه ولطيفه، كتابه الذي بزغت في سماء الانتفاع أنوار أهلته، وجلاً عن الحساب تعداد منفعته، حيث كان هداية للناسك إلى سوء السبيل، وحسماً للنزاع وإبطالاً للقال والقيل، فلا غرو أن تسابقت نفوس الأدباء طرًا إلى اقتناه، فهو الحرىي بأن يبذل العاقل روحه ومدّخر ماله في الحصول عليه وشرائه، ولقد سرحت ذهني في رياض سطور طرسه، وأجلّت الأفكار في استجلاء مطالع شموسه، فإذا به كتاب غدا قطبًا لدائرة أفكار الفضلاء، وشمس أفهم الآباء، كتاب قد أجزل الأنعام منافعه، وهل تنكر الشمس في الرابعة، ولا يفوتك أن اسمه وافق مسماه، ونفح مسك طيبه وشذاه، فلا جرم أن كان راحة النفس في معرفة الأوقات الخمس، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وبجزيل فوائد فرائد فليتنافس المنافسون.

وقرّظه جناب العلامة الفاضل الدكتور «فارس نمر» منشئ المقتطف والمقطم فقال:

تصفحت كتاب «طيب النفس بمعرفة الأوقات الخمس»، فإذا هو مثل سائر ما نفثه يراع العالم الرياضي الكاتب سعادة «إدريس بك راغب» كتاب كلامه قلًّا ودلًّا، وبحثه عميق، ومعناه دقيق، ومنهجه منهج أرباب العلم والتحقيق، ولقد طال بحث الأئمة المتقدمين في توقيت الصلوات وكثرت كتب العلماء المحدثين في تعين جميع الأوقات، ولكنني لم أعثر بكتابٍ استوفى تحقيق المتقدمين واستقصى تدقيق المؤخرين قبل هذا الكتاب المستطاب الذي راعى في تعين أوقات الصلوات الخمس فرق انكسار شعاع الشمس في الهواء محسوباً على اختلاف ضغط الجلد، وتتفاوت درجة حرارته وانخفاض أفق الناظر، فجاء كتاباً يُعين به

المصلي أوقات صلواته ويستعين به العالم على حساب أوقاته، لا زال مؤلفه الفاضل ينفع الشرق بعمله ومعارفه وينفع أهله بفضله وعوارفه.

فارس نمر

مصر في ١ يناير سنة ١٨٩٥ م

وفي سنة ١٨٩٥ م نال درجة النخل والصدف، وتعيّن عضو شرف في جمعية أبطال الماسونية القدماء في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأميركية.

وفي شهر مايو سنة ١٨٩٥ م عينته الحكومة المصرية مديرًا للقليوبية، فأصلاح شئونها ورتب أمورها، وساوى بين القوي والضعف، وفي غضون إقامته في بناها قاعدة مديرية القليوبية أنشأ محفل ماسوني باسم بناها، وأنشأ مقام عقد ملوكي أيضًا تابع له، وذلك بعنايته واهتمامه.

وفي ١٢ يناير سنة ١٨٩٦ م / ٢٧ رجب سنة ١٣١٣ هـ أُنعم عليه بالرتبة الثانية المتمايزة. وفي هذه السنة ١٨٩٦ م رُزق ولدًا سماه «عبد الله»، وكان يوزع الخيرات على المحاجين، ويقييم الأذكار والمبرات عند ولادة كل ولدٍ من أولاده كما تقدم.

وظلَّ في مديرية القليوبية إلى سنة ١٨٩٧ م فاستُعفي من وظيفته لخلاف حصل بينه وبين بعض أولي الأمر، وقد أجمععت الجرائد المصرية على اختلاف مشاربها على مدح همته وشهادته. وفي أول فبراير سنة ١٨٩٧ م أُنعم عليه بالنيشان العثماني الثالث، في ٢٧ شعبان سنة ١٣١٤ هـ.

وفي سبتمبر ١٨٩٧ م (هذه السنة) عيَّنه سمو البرنس «أوف ويلس» ولِي عهد مملكة بريطانيا العظمى ورئيس المحافل الإنكليزية رئيسًا أعظم على محافل أفريقيا الشمالية لدرجة الأساتذة المعلمين.

وفي جلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٧ م للمحفل الأكبر المصري أُعيد انتخابه بإجماع الآراء رئيسًا أعظم لسنة ١٨٩٨ م بناءً على فضله وأهليته وتثبت في ٨ أكتوبر سنة ١٨٩٧ م، وقد أينعت الماسونية أيام رئاسته العظمى ونجحت نجاحًا يذكر حتى صار عدد المحافل المصرية أربعة وخمسين محفلاً منها محفلان تأسساً على اسم سعادته وهما: محفل إدريس نمرة ٤، ومحفل راغب نمرة ٥١، ولا تزال الماسونية في تقدم مستمر.

وقد أجمععت القلوب على حبه وإعلاء منزلته، وبعده صيته في الآفاق فتواردت عليه مدائح الشعراء من كل صوب حتى لو طبعت كلها ملأ ملأ مجلدات من الكتب، ولا أبالغ

إذا قلتُ: إنه لا يتم مشروع خيري في مصر أو أمر مفيد يعود عليها بنفع عميم إلا كان له فيه يد بيضاء. وكم من مرّة رأيناه مرأى العين يوجد على المحتاجين ولا يرد سائلاً قصده لسبب الفاقة والفقر! هذه الجمعيات الخيرية على اختلاف نزعاتها تؤيد كلامنا، وهذه الأفراد والبيوت التي أخني إليها الدهر من أي طائفٍ كانت قد خصص لها مرتبات شهرية أو أسبوعية تتقاداها من إحسانه حتى أصبح الجميع يتذمرون بحمده والثناء عليه وكلُّ يخبر بما ناله داعياً من صميم الفؤاد وسائلًا مهندس الكون الأعظم أن يبقيه للإنسانية ذخراً للشرق والشرقين فخرًا.

هذا ملخص ترجمة أول أستاذ أعظم عامل في المسؤولية الشرقية الرمزية العربية، قَرَنَ العلم بالعمل، وأضاف إلى الفضيلة المعرفة، وإلي المعرفة الاتضاع، وإلي الاتضاع الإباء وإلي الإباء المحبة وإلي الكل الاستقامة، فظهرت لكل ذي ذوق سليم صفاته الغراء ومزاياه، حفظه الله ذخراً للقطر وأهله وأبقاه.

مقدمة

نشأ الإنسان وحوله من عجائب الدنيا العجيبة ما أثار دهشه، فحار في أمره وبدأ ينقب ليستطلع كنه أمرها، وجَدَ في كشف القناع عما حجب عن عينيه من العظام فلم يُفلح سعيًا.

ولما رأى نفسه حائرًا في معرفة العوامل الموجبة لهذه المدهشات وتحقق إخفاق سعيه تركها وشأنها وجعل دأبه استقصاء النتائج الناشئة عن تلك العوامل فدرس أحوال الطبيعة ونقب عن صفاتها ليتمسك بالمفید ويتجنب المضر.

وكان تعاقب الليل والنهار والحر والبرد والفصول الأربع من حر الصيف القادح وبرد الشتاء القارس وظهور الأرض نمرة زاهية زاهرة ستة أشهر ويابسة قاحلة ستة أشهر أخرى لا نبات فيها ولا أزهار، وما يعقب ذلك من العوامل الطبيعية، كل ذلك قضى عليه بأشد الدهشة والحيرة فاشتَدَ عجبه وشَمَرَ عن ساعد الجد ليستطلع طلع الأسباب التي أوجبت هذه التغييرات ولشدة ما تفحص بدأ يدرك النتائج وعرف منها الأسباب، وأحاط علمًا ببعض أحوال الطبيعة ومكوناتها.

ورأى الشمس والقمر والكواكب السيارة فخالها أزلية غير مخلوقة، وظنها ثابتة لا تتحرك، إذ بينما كان كل شيء أمامه يزهو بأيامه ودولته، ويدبّل ويبيد عندما تنقضى تلك الأيام، فلا يبقى منه أثر مذكور كان يرى للأجرام السماوية ثابتة في مراكزها لا تتغير ولا يعروها أقل عارض يوجب في حركاتها اختلافاً، فنجم عن هذه المدهشات أمور لا تعلم ولا يستقصى خبرها؛ إذ شعر من أول وهلة بعواطف شكر نحو الجرم العظيم الذي ينيره ويخرج له نبات الأرض وحاصلاتها فيعيش بها. وزاد شكره حتى صار امتناناً وترقى الامتنان فصار عبادة، ومنها تفرعت عبادة المرء للأجرام السماوية التي عمّت أربعة أقطار العالم.

فيعبد الهنود براهما وهو الشمس، ويعبدونه خالق روح الصلاح، ويعبدون سيفاً ويعدونه مبدع روح الشر، وعد الفرس أوروماز الإله المبدع وأهريمان عدوه وهو الشر والضلال. واعتقد المصريون الاعتقاد نفسه فأوزيريس إلههم الصالح، ونيفون الطالح، وجرى غيرهم أيضاً مجراهم فعدوا بعض الأشياء آلة قادرة فعبدوها وأكرموها فوق كل شيء كآلية قادرین.

ونرى الإنسان عند جميع الشعوب ساجداً أمام الطبيعة غير مميز في عبادته بين العامل والمعمول، وبين العلة والمعلول، معتقداً بقدرة موجد عظيم أبدع الكائنات وأشرك معه من رأى عبادته واجبة فتعددت الآلهة، ولكن بقيت النتيجة واحدة. ولم تنسخ هذه العبادة تماماً، بل اعتقدها قليل من القوم المختارين، وتتناقلت منهم للخلاف عن السلف حتى أصبحت قاعدة للشرائع التي كان يعلمها الكهنة المصريون في هيكل منفيـس.

ورأى هؤلاء القوم العقلاء الاكتشافات الأولية التي حصلواها في العوامل الطبيعية، وما آل إليه بحثهم وتنقيبهم من الثمار الصالحة فجذوا ليجدوا واسطة تحفظها من الدثار وتخلد لها أثراً مائوراً فلجهوا إلى الإشارات والرموز؛ ليبقى لهم بذلك أثر وتذكر مجيد جزء حق على جدهم واجتهادهم ومنها نجمت معرفة الإشارات والرموز التي اعتاد استعمالها الكهنة الأقدمون.

وأصبح هؤلاء بحسن إدراكهم وقوة حجتهم ذوي نفوذ عظيم على الشعب الذي كان في جهالة تامة وعدوا أنفسهم بمثابة وسطاء بين الشعب والآلهة، فرأوا وجوب تكثير الطالبين في جمعياتهم ليشتغل بهم أزرهم ويصبح أمر الحل والربط بيدهم من غير منازع ولا معارض، وسعوا في انتقاء الطالبين من نخبة القوم الذين يكتمون السر ولا يجيئون عند اقتحام خطر موهوم، فصاروا يمتحنون الطالب بتجارب شتى حتى إذا رأوا من أحدهم إقداماً وبسالة أقسم يميناً معظمة أن لا يخونوا ولا يبوح بما علمه من الأسرار فأدخلوه جمعيتهم مسرورين.

ومن هؤلاء العلماء الأعلام نشأ استعمال التجارب والامتحانات في الجمعيات السرية القديمة، فكان الكهنة وهم أعظم الرجال الذين اشتهر فضلهم وُعرف تبليهم تيقنوا أنه لا يمكن إظهار الحقيقة لأقوام غلاظ العقول لا يدركون إدراك أسرارها السامية؛ فخشية من أن يعيثوا بها أو تذهب عظمتها ضحية تلاعب الجهلة بها ستروا الحقيقة تحت رموز خفية أظهروها للجمهور، فحسب هؤلاء أن هذه هي عين الديانة التي يجب اتباعها

فسلكوا مسلكها وهم في جهالتهم عامهون، فتفرع من ذلك قسمان في الديانة عظيمان: قسم لل العامة وهو رموز وإشارات لا يدركون مغزاها ولا يفهمون معناها، وقسم للعلماء وهم الكهنة الذين علموا وتيقنوا حق اليقين أن وراء هذه الإشارات حقائق أدبية مانعة كل جاهل سافل عن إدراكها.

وكانت هذه الأسرار كلها متشابهة متفقة من حيث المبدأ والتعاليم، ولكنها مختلفة عن بعضها اختلافاً طفيفاً لا يُعتد به حسب اقتضاء الحال، فكان المصريون والكلدانيون والحبشيون يلقنون هذه التعاليم سرّاً، وقد جعلوا الهندسة وعلم البناء أَسْساً لعلومهم. وأنشأ الكهنة المصريون مدارس جمة تُعلّم علوماً عظيمة، وجعلوا لكل مدرسة فرعاً من هذه العلوم يدرسها الطلاب، ويلقن هؤلاء العلوم الدينية حتى إذا برعوا فيها سمح لهم قامة العبادة بصورة منتظمة وهم يُعذّبون بمثابة تلامذة الكهنة العظام، وكانوا يتّالبون زرافات وكل ذي حرفة مع من شاكله لا يختلط أحدهم بالآخر، وكلهم يقيّمون فروضهم ويتممون واجباتهم حسب ما رسمه لهم الكهنة، وكان ينشأ من هذا القسم الملوك وكبار الدولة وكل ذي نفس أبيّة.

ولم يحرز الكهنة المصريون محبة الشعب هذه وثقته العظمى بهم عن عبث، بل كان ذلك لحكمتهم وأصالحة رأيهم وحسن تدبيرهم وشدة حرصهم على أسرارهم وتعمقهم في علومهم الأدبية، أما مرجع الفضل الأعظم في ذلك فعلى دراستهم وتمعّنهم في كتابات من سلفهم من حكماء الفرس والكلدان الذين أبدعوا فيما كتبوا وأتوا بالسحر الحلال.

ولما تحقق أعظم رجال اليونان كتاليس وسولون وفيثاغوروس وديموকريتوس وأورفه وأفلاطون وأيدوكس وأوبيكيوس وهيرودوتس وليكورغوس ومن ماثلهم من العظام الأقدمين ما هم عليه الكهنة المصريون من الفضل والتقدم في العلوم العالية شدوا الرحال إليهم وساروا يقطعون الفيافي والقفار ليصلوا إلى الهياكل المصرية ويسمعوا ما لم يسمعوه قبلًا من الحكمة ويتعمقوا في تعاليم إيزيس وأوزيريس.

وانقلت هذه الأسرار إلى اليونان على يد أورفه فإنه أتى بها ووضعها على طريقة يمكن اليونان فهمها وبني عليها طريقة دعاها تعاليم سوماتراس، وهذا حذوه تربى بتولم وسن تعاليم أخرى دعاها أوليزيس، وجاء بعدهم حكماء اليونان بما عرف عنهم من الذكاء والنشاط في الأعمال ودرسوها هذه الأسرار وتعمقوا فيها وبنوا عليها أساطيرهم المشهورة.

الباب الأول

**إنشاءُ مدارسِ البنَائينِ التي نشأتُ المَاسُونِيَّةُ
منها**

الفصل الأول

في الأعمال البناءية

قيل إن «موسي» أول من نقل الأسرار المصرية إلى شعبه اليهود، ثم انتقلت إلى اليونان بواسطة أورفه وهمة تربيتولم، ثم من هؤلاء إلى الرومان الذين أزهرت في أيامهم وأصبحت تُصرِّب بقوتها الأمثال.

وكان نوما بومبيليوس^١ إذ ذاك ملّاً على الرومان، وهو الذي اشتهر بحكمته وعلمه رعيته، فأقام بينهم مدارس كثيرة لعلوم متعددة أخصها علم البناء وأدخل في مدارسه تلك الأسرار، وذلك سنة ٧١٥ قبل المسيح.

وكانت هذه المدارس صناعية دينية تعلم تلامذتها الأسرار التي انتقلت إليها من المصريين حتى إذا أتقنوها حق لهم مباشرة الأعمال الدينية أحراً من غير منازع ولا معارض، وكانت صناعية من حيث إنها لا تتدخل في المسائل السياسية، وكان دأبهما عمل ما يعود نفعه على العباد والبلاد، وكانت قوانينها مربوطة بشرط عظيمةً وقوانينَ جسيمةً لا يمكن أن تتعداها أو تخالف منها شيئاً.

أما دياناتها، فكانت مؤلفةً من أسرار عميقة لا يطلع عليها إلا المرشحون لقبول الدرجات، فيدخل الطالب لها بناءً بادئ بدء، ثم يتقدّم رويداً رويداً إلى أن يطلع على تلك الأسرار التي نراها في كتب من سلفهم من الآشوريين والمصريين والبراهمة والكلدان، وهذه آثارهم تدلنا صريحاً على ما كانوا عليه من التقدم والنجاح في معارج القوة والفلاح.

وكان لهم في عهد الرومانيين امتيازات لما ينالها غيرهم، فكانوا مُغْفَيْن من الضرائب المفروضة على الشعب، وكانوا يجتمعون كل ليلة في محفلهم؛ وهو بناء من خشب

^١ راجع ترجمته في كتاب «الجوهر المصنون في مشاهير الماسون».

يقيمونها قرب المنزل المراد إنشاؤه، وهناك يوزعون شغل الغد على الإخوة بأكثريّة الأصوات، ويقبلون الطالبيين الدخول بينهم ويطّلعنهم على أعمالهم وأسرارهم بعد أن يُقسِّمُوا يميناً مغلظة أن لا يبوحوا بالسر لأحد، وكانتوا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: طالبين وإخوة ورؤساء، وكانتوا ينتخبون الرئيس لخمس سنوات ويدعونه أستاذًا.

وكانت أشغالهم في محافلهم تبدأ دائمًا بإقامة صلوات واحتفالات دينية، ولكنهم إذ كانوا من أمم شتى، وكان كلُّ منهم بغير دين الآخر وصعب عليهم إقامة الاحتفالات الدينية سوية؛ دعوا الإله الخالق الذي كان كلُّ منهم يعتقد بواجب وجوده مهندس الكون الأعظم لاعتبارهم العالم بناءً جسيمة وهيكلًا عظيمًا أبدعه هذا المهندس العظيم. وكانت الامتحانات في بدء نشأتها قاصرة في الدرجة الأولى والثانية على قليل من الاحتفالات الدينية وتفسير بعض رسوم للطلاب وتدريبهم في الأعمال وتلقينهم إشارات التعارف، وتحليفهم الأقسام العظيمة أنهم لن يخونوا الجمعية التي انضمّوا إلى سلكها، وأنهم يخلصون لها ما زالوا في قيد الحياة عاملين.

وإذا ترقى الطالب وأصبح بجهده واجتهاده وحسن سيرته أهلاً لدرجة الأستاذ الرفيعة كان عليه أن يقدّم الامتحانات الكثيرة والتجارب العديدة التي أخذها الرومان عن المصريين الأقدمين.

وكانت مدارس البنائين تقي طلابها من كل غائلة، وتحفل لهم شرفاً أثيلاً بالامتيازات التي حصلتها، والتي اشتد أزرها بها فنشأ فيها عظم همّتهم وسمو مداركهم وشدة محبتهم بعضهم البعض أفكار واعتقادات في ديانتهم لم يحرزوا غيرهم من الشعوب، فكانوا يشحذون قريحتهم ويجهدون قواهم ليجدوا واسطة تُكسبهم حسن السمعة بين الملا، وكانت لهم كما كان لغيرهم من الأمم الغابرة التي هي من الجمعيات السرية قواعد وقوانين لا يطلع عليها غيرهم وإشارات يتعارفون بها.

ومن الرومان تفرّعت مدارس البناء فامتدت أولاً إلى غاليا سيزالبين؛ وهي البندقية ولومبارديه، وغاليا ترانسالبين؛ وهي فرنسا وبليجيكا وسويسرا وبريطانيا العظمى الآن، ثم إلى الشرق وبلاد العرب، ومنهم جاءت إلى إسبانيا، حيث زهرت وأزهرت كما تدلنا على ذلك الآثار الهائلة القائمة حتى الآن تشهد بفضل بانيها وعظم قوتهم.

وبقيت مدارس البناءين في رومية عاملةً ناجحة حتى سقطت الإمبراطورية وخلف الأباطرة غيرُهم من الحكام الذين كان دأبهم التخنث وحب الذات، فلم يكونوا كأولئك يبذلون النفس والنفيس لإعلاء شأن البلاد وإسعاد العباد، فَدَبَّلت نضارة الماسونية وعادت ضعيفة بعد قوتها ولبثت تسير القهقرى، حتى دان حكام رومية باليقانة المسيحية، فصارت الماسونية تتقدم رويداً رويداً وتسترجع نضارتها، وعادت إليها عظمتها الأولى.

الفصل الثاني

بعض الأقوال في أصل الماسونية وتعاليمها وغايتها ومستقبلها

لم يتفق المؤرخون على أصل الماسونية وكيفية نشأتها، فقد تضاربت الآراء واختلفت الأقاويل فيها، فمن ناسب أصلها إلى أقدم الأزمان، ومن قائل: إنها لا تتجاوز الجيل السابع عشر، وبالإجمال فإن دون معرفة الحقيقة أستاراً مسدولةً تمنع النور عن خرق الحجاب وتحقيق شيءٍ من ذلك؛ لأنه من أي مكان جئناها ومن أية وجهة طلبناها لدقع عند الحقيقة ونكون من أمرها على بينة صدق نرى أمامنا عقبات جمة تعرقل سعينا وترجعنا حيالى في أمر نشأتها ومعرفة أول مؤسس لها؛ وذلك لتواتي الأيام وكرور السنين والأعوام.

ولكنه لكثرة ما نسب العلماء والمورخون الماسونيون وجذوا سعيًا في استقصاء الحقيقة بلغوا غايةً طالما صبوا إليها وأدركوا أمنيةً كثيرةً ما تاقوا إلى معرفة كنهها، فقد كشفوا القناع عن كثير من الحقائق والغواصات التي كانت تحول دون ذلك وتوقف سداً منيعًا بأوجهنا لا يخرقه الاستقصاء ولا يدفعه التنقيب.

وحدث عن هذه الجهة في معرفة الحقيقة الراهنة أن اختلفت المذاهب في الماسونية، فمن مؤمن مُسلِّمٍ بحقيقة أمرها وشرف مبادئها عالم مُتيقن أنها أُسست لتكون للعالم كنز الراحة ومجلبة السعادة والهناء، ومن مرجف مكابر يُهَرِّفُ بما لا يعرف، أبي إلا الكذب والنميمة مطيةً يعلوها، فسار وصافون البغي والعناد تُقللُه وتلقيه في مهامه الجهة عاملًا لا يدرى في أيّ وإيهام فنسب إلى الجمعية الماسونية كل بذئة واتهامها بما هي براء منه، وعاث في الأرض فسادًا، وأبى الله أن يُفلح المفسدون.

وقام بعد ذلك المؤرخون المدققون وشمرُوا عن ساعد الاجتهد بِهَمَّةِ شَمَاءٍ ووقفوا أنفسهم وأوقاتهم لإدراك هذه الغاية العظيمة، وفضلوا الموت على الحياة، أو يعيشوا أشرافاً مستنيرين. وبعد أن طال بحثهم واستقرأوهم في استطلاع طلع الحقيقة نسبوا الجمعية الماسونية إلى أصل قديم جدًا، وقالوا: إنها اقتبست قواعدها من مدارس الأقدمين الفلسفية، وقالوا: إن الهنود والمصريين أول من نادوا بهذه الجمعية العظيمة؛ وذلك لما رأوه من موافقة الرموز والإشارات الماسونية الحديثة لتلك، وذهب بعضهم مذاهب أخرى يطول شرحها.

وقام المعارضون وقالوا: إنها شيدت يوم بنى «سليمان» هيكل المشهور، واحتلوا بما في الشرائع الماسونية من الكلمات العبرانية، وقالوا: إن «سليمان» شيدها يوم أسس هيكله سنة ١٠١٢ قبل المسيح، فكرسه بعد تسع سنوات من بنائه لعبادة إله قادر أبدع السموات والأرض، وأن هذا الهيكل كان أول بناء تأسس لعبادة إله واحد. فلو سلمنا بهذا الاعتقاد، ونسبينا إلى الماسونية هذا التقادم في العهد لرأينا أن الهيكل السليماني إشارة حقيقة إلى الجمعية الماسونية، وأن هذا البناء العظيم راموز الهندسة وعلم البناء فتنتبه به المحافل الماسونية؛ لأن كل أخ يضع فيه حجره وتشاد عليه هذه الجمعية العظيمة الشأن.

ولكن الماسونية حافظت على التقاليد القديمة التي وصلت إليها ولم تزل كذلك، وكل منها يشير إلى حقيقة هذا الهيكل ويشبهه في الرموز، ومن هذه التقاليد والرموز نتج الخطأ الفاحش الذي ارتكبه المؤرخون إذ حسبوا المجاز حقيقةً فبنوا أقوالهم عليها. وتمادي كثيرون في بحثهم واستقصائهم حتى ظنوا أنهم أصابوا مَحْجَةَ الصدق وفصل الخطاب، وأنهم علموا ما لم يعلمه غيرهم من الباحثين المدققين فنسبوا أصل نشأتها إلى الديانة المسيحية، إذ رأوا بأدئ ظهورها أسراراً ورموزاً كثيرة مُحَجَّبة بمحب الخفاء كي لا يطلع عليها أحد من غير الذين أصبحوا باستقامتهم أهلاً للانتظام فيها. وقال بعضهم: إنها لم تتجاوز القرون المتوسطة، وأن فرسان «ماري يوحنا» هم الذين أسسواها بعد أن أخذوا تقاليدها من الصليبيين، والصلبييون أخذوها من البراهمة والهنود، وأن أول محفل ماسوني تأسس في مالطة. وقال آخرون: إنها لا تتجاوز القرن السابع عشر، وبنوا أقوالهم هذه عَلَى حجج دامغة مبرهنين أنها أخذت إشاراتها ورموزها من الأقدمين، ولكنها لم تتجاوز قطُّ هذا العهد، وبينوا أنها كانت قبلًا عملية، وأصبحت بعد هذا التاريخ رمزية محضة لا تعلق لها بالأولى.

وهناك سبب آخر أوجب هذا التضارب في الآراء والتبابن في الأفكار عن أصل هذه الجمعية وأول واضح لها، وهذا السبب هو اختلاف الامتحانات في القبول بالدرجات، ففي الأولى تشبه كثيراً ما كان يجريه المصريون، أما في الثانية والثالثة فهي عين ما يعلمه العبرانيون وما يجرؤونه. وهناك تفصيلاً كافياً يدفع الشك والارتياح:

عندما أمر نوما بومبليوس (وهو أول واضح لمدارس علم البناء في رومية) بتشييدها وإلاء هذا الفن ومساعدة تلك الصناعة، وعرض حمايته العظمى عليها، وسن لها قوانين وشرائع عظيمة لا يمكن أحداً أن يتعداها، كان كثير من المرشحين إلى قبولها من اليونان الذين تلقنوا أسرارهم وتعاليمهم عن المصريين، وأتوا بها إلى بلادهم فأدخلوا هذه التعاليم إلى تلك المدارس، وجعلوا أسرار بلادهم عين تلك الأسرار التي أخذها من ثمَّ عنهم الرومان. ولكن عندما اتسعت المملكة الرومانية وكثُرت فتوحاتها وأصبحت وهي المالكة على العالم المعروف بأسره القابضة على زمام أمره، بدأ الناس يهاجرون زرارات إلى تلك البلاد لما رأوا فيها من عظم المكاسب وفرط المغانم وجاءوا البلاد الرومانية، فرأوا فيها الجمعيات الماسونية وهي شبيهة بالجمعيات التي عندهم من حيث إخفاؤهم الأعمال وعدم كشف الأسرار فانخرطوا في سلكتها، وأدخلوا عليها كثيراً من تعاليمهم وأسرارهم السامية، وهذه الأسرار هي ما كان يعلميه اليهود زمن بناء الهيكل.

ولو أن الامتحانات والتجارب المستعملة الآن في قبول الطلاب تختلف كثيراً عما كان يجريه الأقدمون لما رأوا وجوب تغيير أشياء كثيرة منها حسب اختلاف الزمان والمكان وأهلية الأساتذة الذين كانوا يرأسونها، ولكننا نرى كثيراً منها حفظ بتمام النظام ولم يطرأ عليه تغيير البطة مع توالى الأيام وكور السنين والأعوام، فالمتحانات التي أدخلت إلى محافل لوندراة سنة ١٦٥٠م، والتي حُورت أيضاً سنة ١٧١٧م هي عين التعاليم والامتحانات التي كان يجريها قدماء الأنجلوساكسون. وفي تلك الأزمان تركت الجمعية مبدأها الأصلي التي بُنيت لأجله واتبعت مبدأ آخر أعظم منه وهو إسعاد العالم والنظر في شأنه وأعماله والإتيان بكل مبرة يمكن إجراؤها وأدخلوا إلى الامتحانات التي يجرؤونها للأستاذ الأعظم نفس الطريقة الإسرائيلية التي أخذت عنها.

ومع هذه المشابهة كلها في الامتحانات بين الماسونية العملية والرمزية نرى اختلافاً عظيماً بينهما فلا يمكننا أن نخلط بين هذه وتلك، ولا أن نعد الامتحانات التي يجريها الماسون، إلا ما كان يجريه الأقدمون، إذ إنهم يتشبهون بهم ليس إلا.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثهم إن التشبه بالكرام فلأعْ

فكانت الماسونية الرمزية تكتفي بعد هذه الامتحانات بتثقيف الطلاب في العلوم البنائية والرياضية والهندسية والفلسفية، وتبث فيهم روح التكافؤ على العمل ومحبة القريب ودرس الحوادث الطبيعية وما جرى مجريها، في حين أن الماسونية العملية تهذب العقول وتندمث الأخلاق وتترفع المرأة إلى مراكز سامية جدًا من حيث الشهامة؛ فتلقته علم الفلسفة الحقيقي والحكمة البشرية مقترنة بالإلهية مجتهدة لتجعل صفات الماسون لا عيب فيها ولا شيء يشينها فتقرب الخالق من المخلوق وتفهم كل ما له وما عليه من حيث العالم المدنى، فهي الحكمة وأصالحة الرأى التي يضطرُّ لمعرفتها أي إنسان من أي مكان وأى مذهب كان فلا تقبل شرائع عليها، بل هي تعطى وتلقن الشرائع العظيمة؛ لأن مبدأها واحد وهو شريف إلى الغاية لا تشوبه شائبة وهو في أمن حرizz من طوارق الحدثان وعوامل الأيام.

والماسونية منتشرة انتشاراً يحسدها عليه أعظم الأديان المولودة التي امتدت في أربعة أقطار المعمور؛ لأن تلك تُفرق في العالم بين الشعوب فمن عابد صنم، وكافر وجاحد ومبدع ومخالف، بينما نرى الماسونية فاتحة ذراعيها لقبول أولادها داعية إياهم إخوة فيدخلون هيكلها حزانى ويخرجون فرحين، يدخلونه وهم جهلاء لا يفقهون من دنياهم وأحوالهم شيئاً، ويخرجون وكلهم عالم فاهم، فهي المهددة السبيل الوعرة المروضة الأخلاق الآمرة بالخير الناهية عن الشر وهي التي أعتقدت الإنسان من شوائب المكر والضلال وصَرَّته عالماً نحرياً.

فالماسونية تصلاح ما فسد من عقائد الأديان بتعليمها المحبة والتواضع على السراء والضراء؛ لأنها تنفر من الضلال والشروع حليمة رءوفة حتى مع مضطهديها. وغايتها محصورة في هذه التعاليم، وهي: إبطال الغايات والتحزب في الأديان والأشكال والحرف والمراكز والأراء والوطنية، وملاشاة الأحقاد فتبييد معها شرور الحروب، والوصول بواسطة السلم إلى غاية شريفة سامية، وهي أن تجعل العالم كله عائلة واحدة لا فرق بين أعضائها ولا انفصال، يربطهم رابط الشهامة وتجمعهم جامعة الإخاء.

ورأى العالم فضل هذه الجمعية وغايتها السامية فبدأ العقلاء ينتظرون في سلوكها مقاطرين، ولكنهم لم يدركوا حتى الآن الغاية التي طالما جنحوا إليها والأمنية التي تعلوا بها، إذ لا يتم هذا الأمر إلا حين يدرك الجميع القصد من وجودها ويعلمون أن

الماسونية عضد الأديان التي تأمر بالخير وتنهى عن الشر فيدخلون في عدادها وتصبح هي الجمعية الوحيدة السائدة على العالم، ويظهر إذ ذاك كوكب الحق ساطعاً في سماء العلم والعمل.

نعم، إن وقتاً يرى العالم نفسه فيه متخلاً من ربقة الأسر والاستعباد لوقت سعيد. ولكن لما كانت الماسونية مؤسسة على مباني الحق قائمة على دعائم الصدق بلا شائبة تشوبها فسيأتي ولا شك يوم يظهر للعالم هذا الأمر ويصبح الجميع وكلهم أبناءُ أم واحدة وأب واحد لا تفرق بينهم عوامل الحقد والضغينة ولا عوامل التشيع والتحزب، وما ذلك إلا لانتظامهم في الماسونية التي هي عقد الاجتماع ورابطة الأخوة.

الفصل الثالث

المسؤولية في بريطانيا

في السنة الثالثة والأربعين بعد المسيح أرسل الإمبراطور كلوديوس قيصر عدداً غفيراً من البناءين إلى بريطانيا العظمى ليقيموا الأسوار، ويحصنوا التحصينات الازمة، و يجعلوا بريطانيا وهي من الولايات الرومانية حينئذ حصينة تدفع بقوتها هجمات أعدائها الاسكتلنديين الشماليين.

وكانت تلك البلاد قبل مجيء هؤلاء العاملين النشيطين خاوية خالية لا مدينة فيها ولا قرى ولا سبب آخر من أسباب الحضارة الرومانية العظيمة، فجاءها البناءون العاملون ونشطوا عقال اجتهادهم وبعدعوا بإنشاء المدن والقرى وإقامة الأسوار والحسون الازمة، فأنشئوا في المدن التي أقاموها الحمامات الجميلة والهياكل العظيمة الجسيمة بما جعلها بعد مدة وجيزة من إنشائها تضاهي رومية نفسها.

وكان البناءون يجعلون كل مدينة أقاموها زاهية زاهرة فجعلوا يؤسسون المدن ويشيدون فيها الأبنية الأثيقة، وأول بلدة أنشئوها مدينة يورك التي كانت تُدعى قديماً أيبوكاريوم، وهي شهرة جداً في تاريخ المسؤولية، فتأنقوا في بنائها جداً وجعلوها حصينة للغاية فاكتسبت شهرة عظيمة في زمن قصير، وأصبحت على قرب عهدها تنافع رومية الرئاسة.

ورأى الأهلون ما كان عليه الرومان من الحذق والمهارة في البناء والهندسة فسرّوا لعملهم وحفظوا لهم امتناناً جزيلاً، وزاد امتنانهم رغبتهم في تعلمهم تلك الصناعة التي كانوا مقصرين فيها فانتظموا في سلك البناءين.

وكان الأغنياء ينظرون إلى هذه الأعمال الفخيمة بعين الرضا فصاروا يبذلون وسعهم في إلقاء القصور الأثيقية وجعل مبانيهم شائقه وجعلوا يتباهون ويتنافسون في عظمتها، وكانت البلاد تزهو وتتقدم يوماً بعد يوم بهمة البناءين الرومانيين.

وكانت البلاد البريطانية عُرضة لغارات سكان الشمال وهم الاسكتلنديون، فاضطرّ الأهالي إلى بناء القلاع والحسون في جهات مختلفة، ولم يكن عدد البنائين يكفي لهذه الأعمال الجسيمة فصار البريتيون الذين انتظموا في سلکهم وتلقنوا أسرارهم وأحرزوا كل الامتيازات التي يحرزها كل ماسوني حر عرف إخلاصه للجمعية يساعدونهم كثيراً في أعمالهم.

فنشأ عن مخالطة هذين القومين بعضهما بعضاً وارتبطهما بعهود المحبة الأخوية قوّة عظيمة لطائفة البنائين، فكان علمهم وعملهم واحداً وأسراهم واحدة وتعاليمهم مشتركة فسمّوا مجتمع الأخوة والرؤساء العاملين من الرئيس الأكبر حتى العامل الأصغر محفلًا، وكانوا يقيّمون احتفالاتهم الدينية وما دبّهم الرسمية في خيام مضروبة قرب المكان المُتويّ إنشاؤه.

فلهذه الأسّاباب ولشدة عُری المحبة الوثيقة بين الأخوة وعظم تأثيرهم لإدراك غaiات طالما صبوا إليها وكثرة اجتهدتهم ليجعلوا علم البناء والهندسة رفيعاً فلا يناله المتطفلون؛ أحرزوا شهرة قصر عن إدراك شاؤوها غيرهم من البنائين في المالك الرومانية، وكانت تُضرب الأمثل بعظمتهم إلى الجيل الثالث فيقال: أنشط من بناءً بريطاني.

وجاءت بعد ذلك الديانة المسيحية بسمّ تعاليمها وامتدت في بريطانيا امتداداً سريعاً، وهي التي خولت المحافظ الماسونيَّة ما لها من عجائب العظمة التي أحرزتها، خلافاً لغيرها من الجمعيات السرية، وصارت تلك المباني الهائلة التي كان يفتخر بها الحكم الروماني ويرسل إليها الأسرى مغلقين بالقيود يذوقون فيها مُر العذاب ملجاً أميناً للمضطهددين ومحلات غبطة للعموم، وذلك من فضل الحرية التي دعا إليها المسيح وتلامذته الممتلئون من الحكمة والذين هزّتهم محبة هذه الديانة العظيمة الشأن، فكانوا يذهبون من الشرق إلى الغرب يكرزون للأمم ويبشرون الشعوب بالحياة الأبدية. وكان الذين يديرون بها عرضة للاضطهادات الشديدة التي كان يثيرها عليهم عبادة الأوّاثان، ولكنهم مع ذلك سمحوا لهم أن يقيّموا مع جماعة البنائين، ويدّهبون إلى أربعة أقطار العالم الروماني ليشيدوا مبانيه ويجددوا حصونه.

ولحسن حظ مسيحيي بريطانيا كان حكام تلك الأقاليم أقل شراسةً من غيرهم؛ فكان الاضطهاد على أولئك المنكوبين المنكودي الحظ الذين لا ذنب لهم سوى أنهم عرفوا الحق فاتبعوه أخفَّ درجة في بريطانيا مما هو في غيرها من المالك. وصار الشعب يتّالب معهم ويشاركهم في تعاستهم أسوة بالحكام والأشراف الذين لم يجردوا على المسيحيين سيف رجزهم وغضبهم، ويرشّي لهم في تلك الرزايا والنكبات.

فصار المضطهدون في المالك الأخرى يهاجرون إلى بريطانيا لما رأوا فيها من رغد العيش بالنسبة إلى غيرها من البلدان وصارت منازل الأشراف وخصوصاً المحافظة حرجاً لهم حريراً.

ولما كان الحكام يُستبدلون بأخرين ويرى هؤلاء أن لا مناص لهم من تنفيذ الأوامر الملكية القاضية عليهم باضطهاد المسيحيين اضطهاداً شديداً أو يغيرون ديانتهم ويشركون بعبادتهم الأوثان، ويقرّبون لها الضحايا؛ كان النشيطون منهم على عمل الخير يحذرونهم بقرب الخطر ليكونوا من أمرهم على بيّنة فلا يتظاهرون بما هم عليه، بل يجهدون أنفسهم ليجدوا وسائل فعالة لصيانته قوم مظلومين.

وكان بعضهم يسافر إلى أيرلندا أو إلى اسكتلندا ريثما يهدأ ثائر الاضطهاد الشديد وقد ذاق المسيحيون في اسكتلندا حلاوة العيش وعرفوا غبطة الحياة فأرادوا مكافأتهم على إحسانهم الجميل وما أتوه نحوهم من الشفقة والحنان فأدخلوا معهم إلى تلك البلاد النصرانية علم البناء.

ومن ذلك العهد يبدأ تاريخ البناء في اسكتلندا الذي أنشأه المسيحيون لعظماء تلك البلاد، فإنّ أبنيتها مشيدة على نمط البنائين الرومانيين القائمة على مر الزمان لا تؤثر فيها أيدي الأيام تدلنا صريحاً على ما لُنثئتها من الذكاء والمهارة الفائقة.

وفي سنة 287 خرج كاروزيوس عن طاعة مولاه وعصي على الأحكام الرومانية داعياً نفسه إمبراطوراً، ولكنه خشي نكبات الزمان، وأن يحشد القيصر «مكسيميانيوس» شريك الإمبراطور «ديوكليتيانوس» جيشاً جراراً فيبيده ومملكته الجديدة، فأراد أن يتخذ لنفسه حصناً حصيناً من الرجال الذين اشتهرت شجاعتهم وُعرف إقدامهم يقي به نفسه وببلاده من الهلاك فلجاً إلى جماعة البنائين الذين كان عددهم غفيراً، وكانوا نوي سطوة لا تنازع.

وكان البناءون مؤلفين من يونان ورومان ومعظمهم من الأهالي الذين عرفوا فضل هذه الجمعية وما لها من الأيدي البيضاء فهُرعوا إليها متدعسين، فأصدر أمراً في عاصمتها سانت ألبان التي كانت تُدعى قديماً فيرولام إلى أحد قواده المدعو «ألبانوس» حول الماسون فيه كل الحقوق والامتيازات التي كانوا قد أحرزواها في عهد «نوما بومبيليوس»، وزاد على ذلك أن منحهم لقب أحرار، فصاروا منذ ذلك العهد يدعون فري ماسون Free masons أي البنائين الأحرار لم يتمتازوا عن الآخرين الذين لا علاقة لهم ولا ارتباط بهذه الجمعية الشريفة.

ولما رأى «كاروزيوس» نفسه مستقلاً والسعد خادمه، وأنه لم يبقَ عليه خوف ولا خطر على سلطنته من الحكام الرومانيين فتح خزائن الأموال وبدل النفس والنفس ليجعل بلاده عظيمة ورعاياه سعداء فشيد المباني، وأقام المعالم وحصن القلاع ومهد البلاد حتى جعلها في مدة وجيبة تضاهي أعظم الممالك إن لم نقل أنها تفوقها، ولكن أعون كاروزيوس قاموا عليه وقتلوه عندما اقترب الأسطول الروماني إلى بريطانيا يقل قسطنطين كلوديوس الذي انتخب الإمبراطور «مكسيميليانوس» نائباً عنه في غاليا وبريطانيا، وذلك سنة ٢٩٥ بعد المسيح، فاتخذ مدينة أبيوكاريوم — وهي الآن يورك — مقراً لحكمه، وكانت هذه المدينة أشهر المدن البريطانية في حسن بنائها وزخارفها وكثرة محافلها القديمة والحديثة، فأصبحت هذه المدينة مهدًا للمحافل الماسونية منذ ذلك العهد.

وبعد وفاة «كلوديوس» سنة ٣٠٦ ب.م. في مدينة يورك خلفه ابنه قسطنطين بأمر قيصري وأبطل الاختهارات التي كان يثيرها الأباطرة ظلماً على المسيحيين، وأعلن نفسه حامي ذمارهم واعتنق ديانتهم، وأمر بأن تكون الديانة العامة في بلاده. وزادت قوات المحافل والجمعيات مِنْعَةً وامتدت النصرانية في عهد قسطنطين هذا فأنشئت الكنائس بهمة لا مزيد عليها، وكان الإخوة البناءون يشتغلون ليل نهار بهمة لا تعرف الملل ولا يعروها الكلل. وقطن قسطنطين يورك في أول حكمه أسوةً بأبيه فتعرّف فيها برؤساء المحافل ونخبة أعضائها، ولما جاء الشرق سافر معه كثيرون منهم إليه.

وكان هجمات البربرة على الأملال الرومانية تزداد يوماً بعد يوم فلم يعودوا يكتفون بما كانوا يأتونه من المظالم يوم كانوا ينهبون البلاد ويعيثون فيها فساداً ثم يخلونها و شأنها في بؤس وشقاء، بل صاروا إذا افتتحوا بلدة يأتون فيها أنواع المنكرات ويحتلونها غير مبالين بالعواقب؛ إذ لا شريعة تردعهم ولا مانع يمنعهم عن مثل هذه الفظائع. وهكذا أخذت بريطانيا تنسلخ عن حكم القياصرة يوماً فيوماً.

وكان الرومانيون يحاربون قبائل اسكتوتيسيا المتوجهة من ابتداء الجيل الثالث حرباً يشيب لهولها الولدان، ولكنهم لما رأوا بلاءهم وشيكًا، وأن الخطر يتهددهم من كل الجهات عزموا على غزو الغوطين في بلادهم نفسها، فكان يلزمهم لذلك قوات عظيمة؛ لأن جيشهم كان منقسمًا فرقاً في كل المالك، فعززوا على ترك بريطانيا و شأنها وببدعوا يسترجعون عسكرهم منها شيئاً فشيئاً حتى تخروا عنها تماماً سنة ٤٤٦ مسيحية.

فدعوا البريتيون مجاوريهم من القبائل لنصرتهم وتزلفوا إلى الساكسون والإنكلوس، فسارع هؤلاء إلى نجدهم وشنوا الغارة على أهالي اسكتوسيا فانتصروا عليهم تمام الانتصار. ولكن انتصارهم كان وبالاً عليهم، وكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار؛ لأن هؤلاء الأنصار لم يسارعوا إلى تبليتهم إلا ليقضوا لباناتهم من بلاد طالما صدوا إليها فاحتلوا بريطانيا وصاروا سبعة ممالك دُعيت أنكلوساكسون.

وكان هؤلاء البربرة بما يأتونه من المظالم وأنواع العداء سبياً لشقاءٍ تام حل على الأهالي المنكوبين؛ فدمروا البلد وخرابوا المباني الكبيرة والمحصون، فعادت البلاد البريطانية تذبل كزهرة قصمت يانعة، وصارت تسير القهقرى دون أمل بالترقي والنجاح.

وعندما رأى المسيحيون وسائر أهاليها المتمندين هذه الأعمال الوحشية، وعرفوا أن بقاءهم في البلاد شرٌّ و وبال عليهم أخذوا يهاجرون زرافات إلى بلاد الغال التي لم يفتحوها الساكسون. وهناك ثابروا على عبادتهم وأعمالهم في البناء كما تعلموه من أسلافهم وبدأت ريح الاضطهاد والشرور تهدأً رويداً رويداً وحلَّت خيرات الزراعة والفلاحة محل شرور الحروب، ورأى ذلك بعض المهاجرين فآبوا إلى بلادهم وشرعوا بيتون في الشعب روح التعاليم المسيحية، فتنَّصَّرَ من هؤلاء جمْ غفير وزاد نشاطهم وإقدامهم لما رأوا من تداعي الطالبين للانتظام في سلك جمعياتهم الشريفة فشمرُوا عن ساعد الجد والاجتهاد وجعلوا يكرزون الأهالي ويسخرونهم بالديانة المسيحية فتكلَّل عملهم بنجاح مجيد، ولكنهم أحبطوا سعيًّا عندما حسبوا ذواتهم قادرین على استجلاب الأشراف والملوك إلى كتف الكنيسة لا عامة الشعب فقط.

وفي أواخر القرن السادس أرسل البابا «غريغوريوس» الأول رجالاً عُرِفُوا بالفضل واشتهرُوا بالتبليء وبحسن صفاتهم الأدبية والمادية (وهم رهبان ماري مبارك)؛ ليبشروا القبائل الساكسونية، ويدعونهم إلى الاهتداء، وكان يرأس هؤلاء الرهبان أوستينيوس الشهير بصناعة الحفر. ولم يطل زمن بعثتهم حتى قُرن عملهم بنجاح عجيب وتنَّصَّرَ ملوك الساكسونيين السبعة مع شعوبهم ورعاياهم العديدة. ولكنهم حاولوا إقناع هؤلاء المتنصرِين جديداً بسلطة البحر الروماني وبعصمته عن الزلل فأحبطوا سعيًّا ولم يلْقَوا آذاناً صاغية، ولبث هؤلاء على اعتقادهم الأول من حيث السلطة الباباوية.

ولكي يطيلوا زمن سلطتهم ونفوذهم باشروا درس البناء وصناعة الحفر ودرسوها على أشهر أساتذتها حتى نبغوا فيها وصاروا يبتلونها في أربعة أركان المعمور، وكان الأب

أوستينوس (الذى صار فيما بعد أسقف كانتربرى) هو الذى حرك فى قلوب رعيته حب هذه الجمعية وأعاد لها نوعاً من عظمتها الأولى بعد أن أسمى عدد طلابها قليلاً لا يعتد به.

وارتبطت المحافل والأديرة في إنكلترا وفي غيرها من البلدان برابطة الحب العظيمة. وكان يشتد نفوذ البعض حسب الأحوال، فإن كان الرئيس كاهناً فالرئاسة للأديرة وإلا فللمحافل، ولكنهم في الحالين يعترفون برئاسة الرئيس المنتخب بأغلبية الأصوات ويدعونه عند الاقتضاء الأب المحترم أو الأخ المحترم، ومنهم نشأ هذا اللقب المحفوظ إلى الآن في المحافل الماسونية.

وفي أواخر القرن السابع ذهب كثير من الأساقفة والكهنة البريطانيين إلى رومية، بدعاوى أن يجلبوا منها التماثيل البدعة الصنع والصور الجميلة التي صنعتها أيدي المصورين البارعين، ولكن القصد الحقيقي من زيارتهم كان ليحثوا البنائين الحاذقين في صناعتهم أن يأتوا ويقطنوا إنكلترا، فسار معهم كثير من المهرة الذين أقرّ بفضلهم العالم فأنشئوا في إنكلترا آثاراً جميلة للغاية وشيّدوا القصور للأغنياء والأشراف وأقاموا الكنائس والأديرة للرهبان والمحصنون والقلاع للحكومة، وكان إكرامهم عظيماً وشهرتهم كبيرة.

وتزأّل إليهم عظامء البلاد وأعيانها ليتحدوا يداً واحدة ويتآلبوا معاً على جمع شتات الآثار الثمينة التي لعبت بها أيدي سبا، ولكن علم البناء لا يزال على رونقه القديم في بلاد اسكتوسيا وببلاد الغال أكثر مما هو في أماكن أخرى.

ولهذه الأسباب تقدمت المحافل الماسونية في معارج الحضارة وتغير أسلوبها الأول، فلم يعد أعضاؤها كذى قبل بنائين خاملي الذكر قليلاً العدد، بل زاد مركزهم منعة وانتظم الأشراف والنساء في سلكهم وسمموا أنفسهم بنائين أحراضاً مقبولين.

وعاد محفل يورك إلى عظمته الأولى وأحرز الرئاسة على سائر المحافل البريطانية كالأولى، ولم تكن المحافل تقبل في عدادها غير الأحرار فسموا فري ماسون Free Masons، أي: البنائين الأحرار بالحق، وأصبحوا ذوي سطوة وعظمة، فلم يعد يناظرهم أحد في رئاسة أو يقدر أن يمنع اجتماعاتهم فتمتعوا طويلاً بالامتيازات التي نالوها بلا معارض ولا منازع.

وكان على الطالب الرئاسة أن يسافر ثلثاً إلى بلاد بعيدة وبعد إيايه من كل سفر كان عليه أن يبرهن للجمعية وأعضائها أنه أحرز تقدماً بيّناً في صناعة النقش التي

بلغت في الجيل الثامن أعلى درجات الكمال في بريطانيا، فتقدمت المحافل تقدماً بيّناً لهذه الشروط التي لم يكن أحد يتعداها وأحرزت شهرة عظيمة حتى دانت لها بقية الجمعيات. وبينما كان الإخوة يجتمعون ويتداكرون في أحوال النقش عموماً وترقيته في البلاد الاسكتلندية وتأخّره في بلادهم كانت المحافل عموماً تعقد جلسات خصوصية وترسل من قبلها مندوبيها إلى البلاد الاسكتلندية لدرس تلك الرسوم والآثار وتقليديها إذا أمكن.

وكان الإخوة كثيراً ما يضطرون إلى تعيين محلات يجتمعون فيها ليتداكروا في أعمالهم ويبدوا آراءهم فيما ارتأوه من الأعمال العائد نفعها على البلاد والعباد فاختاروا لهذا الأمر وادي كلانسي Glenbey في شمال اسكتلندية الشرقي المقابل لجزيرة سكاي Skey، وكان هناك قصران قدیمان يحال الرأي لأول وهلة أنهما بُنيا ليقيا سكان تلك الضواحي من هجمات الأعداء، ويكونا لهم حصنًا حصيناً فاتخذهما البناءون مكاناً لاجتماعهم وصار الرؤساء منذ ذلك العهد يُدعون أستاذة الوادي أو الأساتذة الاسكتلنديين.

وذاقت البلاد كل أنواع الظلم في حصار الدانين لبريطانيا الذي استمر من سنة ٨٣٥ إلى سنة ٨٧٠؛ فنهبت الكنائس وهدمت الأديرة ودمر كثير من المحافل المسؤولية وأحرقت أوراقها وتقليديها التي أخذها الماسون عن أسلافهم الأقدمين، وتقهقرت الماسونية تقهقاً عظيماً.

ولم يطل زمن هذا التأخر الذي طرأ عليها، ففي سنة ٩٢٥ قام الملك «أولستون» حفيد أَلِفْرِيدِ الْأَكْبَرِ ورقى ولده الثاني «أدون»، وكان نقاشاً ماهراً، وطلب منه أن يجمع في مدينة يورك كل المحافل المسؤولية التي تبدلت من جراء الحصار زمن الاضطهاد وأمرهم أن ينهضوا يداً واحدة لمساعدة البلاد ويعيدوا زمن عظمتهم الأولى، ومنهم كل الامتيازات التي أحرزواها في الجمهورية الرومانية.

وكانت المعابد والمساجد تشارد ولكل منها قديس وضع تحت حمايته، واتخذ الماسون هذه الطريقة أيضاً فيعيّد الماسون عيد ماري يوحنا المعمدان الواقع في ٢٤ يونيو (حزيران) كل سنة باحتفال عظيم وزينة باهرة؛ لأنّه شفيعهم، واختاروا المسؤولية هذا العيد الواقع في ٢٤ يونيو (حزيران)؛ لأنّ الشمس تكون إذ ذاك في معظم ارتفاعها والأرض تعطي أحسن ثمارها، وذلك رمز إلى ما هم عليه من الكمالات الأدبية.

الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية

ولكي تبقى لهم سلطتهم من غير معارض ولا منازع، وليسوا من الاضطهادات الدينية التي بدأ يثيرها عليهم الكهنة دعوا أنفسهم منذ ذلك الحين إخوة ماري يوحنا ومحافل ماري يوحنا، وهكذا سمح لهم بالعمل.

الفصل الرابع

المسؤولية في غاليا

بينما كانت المسؤولية تتقدم في بريطانيا تقدماً عظيماً كما ذكرناه كانت تزهو وتزهر في غاليا ترانسالبين فتشاد المحافل وتقاطر الشعوب أزواجاً للانتظام في سلك هذه الجمعية الشريفة، ولبثت منقطعة متفرقة في البلاد ولا مقر لها حتى انتهى حكم الرومان الذين ضغطوا عليها أخيراً فذاقت من استبدادهم مر العذاب فالتأمت وللت شعثها وجعلت فرنسا مركز دائتها.

وكانت تدعى هناك الجمعيات السرية الحرة، وكان إخوتها يسمون البنائين الأحرار وغيّرت سنة ٤٨٦ م قليلاً من الرموز والإشارات التي رأت وجوب تحويلها. ولكنه بقي في لومبارديا محافل حفظت قواعدها الأساسية الأصلية التي بُنيت عليها ولم تقبل أقل تحويل أو تغيير، وتکاثر عددها جدأ وأصبح طلابها من الألف فما فوق، فضاقت عليهم الأعمال وأمسى كثيرون منهم بلا عمل.

ثم نالت المسؤولية من الحكم الباباوي الذي بيده الحل والربط في المسائل الدينية امتيازات بناء الكنائس وتشييد المعابد، وتفرق إخوها في العالم المسيحي يبثون فيه روح النشاط، وما زالت الامتيازات والإنعمات تتواتي عليهم من زمن رئاسة البابا نيقولاوس الثالث سنة ١٢٧٧ حتى خلافة البابا بندิกكتوس الثاني عشر سنة ١٣٣٤ وأغفوا من الضرائب الأميرية التي وضعتها الحكومة على الشعب.

وكانت تلك الامتيازات تُخوّلهم أن يقيموا محلات لسكنى الباباوات، وأن يعيّنوا مقدار أجورهم عن البناء بلا مراجعة في الطلب، وأن يلتموا في محافلهم ويرروا أعمالهم ويقيموا احتفالاتهم بلا منازع ولا معارض، ومنع الطلبة عن العمل ما لم يكونوا قد انضموا في سلك الجمعية المسؤولية التي لها وحدها حق البناء ومن خالف حرم عن الاشتراك في الديانة المسيحية وأسرارها جزءاً ما كسبت يداه.

وزهت الماسونية في جميع الأجيال الغابرة خصوصاً في الأعصر المتوسطة وتقدمت تقدماً عظيماً، وأقامت في جميع أنحاء أوروبا كإنكلترا وجرمانيا وغاليا وإيطاليا وإسبانيا والبروتغال تلك المباني العظيمة التي يدهش منها العالم الأدبي حتى الآن.

وكان الماسون يقيمون لهم محافل عظيمة لاجتماعاتهم في أي مكان احتلوه متخذين لهم رؤساء من أعاظم الرجال ونابغتهم لعلمهم الأكيد أن الجمعية لا تتوقف عرها ما لم تجمعهم جامعة الحب وترتبطهم رابطة الوئام، وكانوا يقبلون في عادهم طلبة كثريين، وبعد أن يقسم هؤلاء اليمين العظيمة أنهم لن يخونوا الجمعية الماسونية ولا يبوحوا بأسرارها لأيٍ كان ما لم يكن أخاً معروفاً عندهم ولا يتذمرون معرفتهم للرموز والإشارات طريقة لهادية الجهل، ولا يتلفظون بشيءٍ من ذلك لا كتابةً ولا شفاهًا، وبعد أن يجربوهم تجارب عديدة ويتحققوا إقدامهم ويتأكدوا بسالتهم يقبلونهم بينهم ويطلعونهم على أسرارهم.

وقام بعد ذلك قوم من العظام والأشراف وانخرطوا فيها مسرورين ولأعمالها شاكرين. ولكنهم إذ كانوا ذوي مدارك سامية يقصر عن تبيانها كل كاتب بلغ ترکوا غايتها العملية وشأنها لعلمهم الأكيد أن وراء ذلك غاية فلسفية لم يدركها الجهل فبدعوا ينقبون ويجدون سعيًا في نيل هذه الغاية الشريفة عليهم يفلحون.

وقام أعداءُ العمران يثيرون عليهم حرباً عواناً واضطهدوهم شديد الاضطهاد فاضطرّ هؤلاء إلى التستر شديداً، وكانت تعاليهم ممتهنة في كثير من الأحياء. ورأى الكهنة افتخار المasons الأحرار بأعمالهم وتعظمهم في تعاليهم فثار فيهم ثائر الحسد واتهموهم بإدخال أمور جديدة هي الهرطقة إلى تعاليم الكنيسة، فشجوهم غير مترؤسين في أمرهم ونشأ عن هذا الشجب اضطهاد عظيم احتمله الماسون ولم يجنوا ذنبًا سوى جبهم للتقدم والنجاح وعدم فهم أعدائهم لمداركهم السامية.

الفصل الخامس

المسؤولية في جermania

لم تزهـر المسؤولية في بـريـطـانـيا وـغـالـيا فـقـطـ، بلـ فـي الـمـانـيـا أـيـضـاـ، حيثـ أـخـرـجـتـ ثـمـارـاـ يـانـعـةـ جـدـاـ، فـكـانـ هـنـاكـ مـحـافـلـ كـثـيرـ العـدـ مـؤـلـفـةـ منـ نـخبـةـ الرـجـالـ وـسـرـأـةـ الـقـومـ، وـكـانـواـ يـسـلـمـونـ بـرـئـاسـةـ الـبـعـضـ عـلـيـهـمـ، وـيـدـعـونـهـمـ هـوـبـيـهـوتـ Haupthutteـ، وـكـانـ عـدـدـهـاـ خـمـسـةـ مـتـفـرـقـةـ فـيـ خـمـسـةـ بـلـادـ، وـهـيـ: كـولـونـيـاـ وـسـتـراـسـبـورـغـ وـفـيـنـاـ وـزـورـيخـ وـمـكـدـبـورـغـ. وـكـانـ مـحـفـلـ كـولـونـيـاـ الـأـعـظـمـ أـهـمـ الـمـحـافـلـ الـجـرـمـانـيـةـ وـأـعـظـمـهـاـ، وـكـانـ بـانـيـاـ كـتـرـائـيـةـ كـولـونـيـاـ مـعـدـوـاـ أـسـتـادـاـ أـعـظـمـ لـعـمـومـ بـنـائـيـ أـلـانـيـاـ السـفـلـيـ كـبـانـيـ كـتـرـائـيـةـ سـتـراـسـبـورـغـ لـأـلـانـيـاـ الـعـلـيـاـ. وـتـقـلـبـتـ الـأـحـوـالـ وـتـوـالـتـ الـأـيـامـ وـلـبـثـ بـنـائـيـاتـ سـتـراـسـبـورـغـ قـائـمةـ تـفـخـرـ بـقـوـتهاـ وـشـائـنـهاـ فـنـازـعـتـ كـولـونـيـاـ الرـئـاسـةـ الـعـظـمـيـ طـوـيـلـاـ إـلـىـ أـنـ أـحـرـزـهـاـ.

وـكـانـ بـيـنـ الـمـحـافـلـ التـابـعـةـ لـحـفـلـ سـتـراـسـبـورـغـ الـأـعـظـمـ بـعـضـ مـحـافـلـ فـيـ فـرـنـساـ وـسـرـابـياـ وـهـيـسـيـاـ وـتـورـنـغـيـاـ وـفـرـانـكـونـيـاـ وـبـافـارـيـاـ، وـكـانـتـ بـقـيـةـ الـمـحـافـلـ التـيـ فـيـ فـرـنـساـ وـفـيـ بـلـجـيـكاـ تـابـعـةـ لـحـفـلـ كـولـونـيـاـ الـأـعـظـمـ وـمـحـافـلـ النـمـسـاـ وـهـنـكـارـيـاـ وـسـتـيرـيـاـ لـحـفـلـ فـيـنـاـ الـأـعـظـمـ. وـعـدـتـ مـحـافـلـ سـوـيـسـراـ مـحـفـلـ بـرـنـ مـحـفـلـهـاـ الـأـعـظـمـ حـتـىـ إـذـ اـنـتـهـتـ بـنـائـيـةـ كـتـرـائـيـتـهاـ نـقـلـتـ مـرـكـزـهـاـ إـلـىـ زـورـيخـ سـنـةـ ١٤٥٢ـ بـ.ـمـ، وـاعـتـرـفـتـ مـحـافـلـ السـاـكـسـ بـرـئـاسـةـ مـحـفـلـ سـتـراـسـبـورـغـ الـأـعـظـمـ، وـلـكـنـهاـ تـبـعـتـ أـخـيـرـاـ مـحـفـلـ مـادـبـورـغـ.

وـكـانـ لـهـذـهـ الـجـمـعـيـةـ اـمـتـيـازـاتـ وـحـقـوقـ سـامـيـةـ جـدـاـ فـكـانـواـ يـحـكـمـونـ فـيـ الـقـضـيـاـ التـيـ تـُـرـفـعـ إـلـيـهـمـ حـكـمـاـ بـاـتـاـ بـلـاـ مـرـاجـعـةـ وـلـاـ مـعـارـضـةـ حـسـبـ أـحـكـامـ الشـرـائـعـ الـمـاسـوـنـيـةـ، وـقـدـ جـمـعـ رـؤـسـاءـ الـمـحـافـلـ الـعـظـيمـةـ فـيـ جـلـسـةـ عـقـدـتـ فـيـ مـدـيـنـةـ رـاتـسـبـونـ تـلـكـ الـأـحـكـامـ وـطـبـعـوـهـاـ سـنـةـ ١٤٦٤ـ لـلـمـرـةـ الـأـوـلـىـ تـحـتـ عـنـوانـ شـرـائـعـ نـاقـشـيـ الـحـجـارـةـ فـيـ سـتـراـسـبـورـغـ وـقـوـانـيـنـهـمـ، وـمـنـحـ إـلـمـبـاطـورـ مـكـسـيمـلـيانـوسـ اـمـتـيـازـاتـ كـثـيرـةـ لـلـجـمـعـيـةـ الـمـاسـوـنـيـةـ سـنـةـ ١٤٩٨ـ، وـجـاءـ بـعـدـهـ شـارـلـكـنـ سـنـةـ ١٥٢٠ـ وـصـادـقـ عـلـىـ الـبـرـاءـاتـ التـيـ أـصـدـرـهـاـ سـلـفـهـ إـلـمـبـاطـورـ

«مكسيمليانوس» فيما يختص بال MASONIA، وقام الإمبراطور «فرديناندوس» وهذا حذو أسلفه فأكرم الجمعية ووثق بها. وهكذا صار الخلف يتناقل هذه المحبة عن السلف حتى عظم شأنها كثيراً.

وفي أواخر القرن الخامس عشر قام الكهنة والباباوات وأثروا على الجمعية MASONIA اضطهاداً شديداً فعجز الإخوة عن إتمام بناء الكنائس والقصور التي كانوا قد بدءوا بتشييدها وحدث في كثير من المالك، وخصوصاً في فرنسا اضطرابات واضطهادات تشعر لذكرها الأبدان فانحلت عرى كثير من المحافل لكثره ما ذاق أعضاؤها من مُّ العذاب.

وجاء بعد ذلك إصلاح «لوثيروس» الذي كثيراً ما هدد السلطة الباباوية بالاضمحلال، ولوفرة المنتظمين في سلك تعاليمه قل إنشاء الكنائس والمعابد إلى درجة عظيمة. وأصبحت الجمعية MASONIA تئن من جراح الاضطهاد المميتة؛ فانحلت محافل كثيرة من المحافل الألمانية لما رأت من عظم المظالم وفطرت الاضطهاد. وكانت محافل سويسرا قد انحلت قبلها سنة ١٥٢٢ بموجب أمر عالٍ من الجمهورية السويسرية، وأصبحت المحافل الأربعية العظيمة في حالة يسر لها العدو وأمست بلا عمل تعمله ولا بناء تبنيه وتغيرت أحوالها وتبدل أمورها، وطرأ عليها حوادث كثيرة حولت تقدمها إلى تأخر.

وفي ١٦ مارس سنة ١٧٠٧ صدر أمر الحكومة الألمانية في مدينة راتسبرون بمنع جمعية البنائين عن العمل، وبأن تبقى خاضعة فيما بعد لأحكام المجالس المدنية.

وفي زمن الاضطهاد الذي قاسته MASONIA وإنكلترا في أواسط الجيل السابع عشر؛ أي بعد أن قُتل الملك «تشارلس الأول» ظلماً وعدواناً سنة ١٦٤٦ قام ماسون إنكلترا واسكتلندا يد واحدة وشمرروا عن ساعدهم وجتهادهم بهمة لا تعرف الكل ولا يعروها الملل ليعيدوا الملك إلى «تشارلس الثاني»، ويخلعوا «كرومُول» المغتصب، فأنشئوا لهذه الغاية درجات كثيرة سامية أدخلوها في جمعيتيهم وألبسوها منذ ذلك العهد لباس الجلد والسياسة.

وكان من هذه الاضطرابات والقلق أن انقسمت MASONIA إلى قسمين: قسم بقي متقدلاً شرائعه الأولى متمسكاً بها؛ وهي علم البناء والهندسة، وقسم آخر دُعى الماسون المنتخبين. وكان هذا القسم من عيون أعيان البلاد، ونخبة سراتها أصحاب المراكز العالية، وكانت مراكزهم تؤهلهم لتأديب مبتغاتهم بلا تكلف عناء، وبواسطتهم ارتقى الملك «تشارلس الثاني» إلى عرش الملك الذي ورثه عن أبيه وأجداده سنة ١٦٦٠؛ فأزهرت

الجمعية في أيام هذا الملك العظيم الشأن وتقدمت تقدماً عظيماً، فدعاهما جمعية مهد العلم الملكي؛ لأنها هي التي ساعدته على الملك ولو لاها لبقي حقيراً منفياً.

وكانت الماسونية مؤلفة في ذلك العهد من الأعضاء المنتخبين ولم يكن فيها من العمال سوى نفر قليل لا يعتدُ به، فتركوا الغاية التي شيدت هذه الجمعية لأجلها والأسباب التي عَوَّلت عليها منذ نشأتها وأخذت الماسونية العملية تتقدّم تقدماً عظيماً.

والماسونية الرمزية تتقدّم تقدماً مبيناً.

الفصل السادس

في الشرائع والقوانين الماسونية الأساسية

لما اجتمع المجمع الماسوني العام سنة ٩٢٦ مسيحية في مدينة يورك بإنكلترا حضره جميع رؤساء المحافل المعروفة في ذلك الوقت بالنيابة عن محافلهم تحت رئاسة البرنس «أدون» ابن الملك «أدلستون» حفيد «الفرد الأكبر» أشهر ملوك سكسونيا، ونظروا في بقایا الأوراق والشرايع الماسونية القديمة التي حفظت عندهم واستخلصوا منها المواد الآتية وجعلوها أساساً لجميع المحافل، وهي بنصها منقولاً عن أصلها الإفرنجي:

- (١) المادة الأولى: يجب عليك أيها الماسوني أن تكرم الله وتعبده بإخلاص متبعاً شرائع نوح؛ لأنها شرائع إلهية يجب على كل امرئ الرضوخ لها والإذعان لما تأمرنا به، فلهذا يجب عليك أن لا تتبع شرائع فاسدة وتعاليم كاذبة فلا تأثم نحو الله.
- (٢) المادة الثانية: يجب عليك أن تكون أميناً نحو ملك فلا تخونه مهما تواترت عليك الرزايا مُطِيعاً للسلطة المالكة أين وجدت، فلتبق الخيانة بعيدة عن قلبك فلا تؤثر فيك عواملها الفاسدة، ويجب عليك متى علمت بوجودها من أيّ كان أن تخبر الملك بها.
- (٣) يجب عليك أن تخدم الجميع وتتحد معهم بمحبة عظيمة صارفاً نظرك عن دينهم ونَخَلَّهم.
- (٤) يجب على الإخوة الماسونيين أن يثبتوا أنماء بعضهم البعض ول يجعل العارفون الجاهلين، فلا تكن النمية بينهم ولنلْقِع بزور الشقاق وتُطرح خارجاً، وليفعل كل آخر ما يريد أن يفعله به الناس، وإن أخطأ أحد الإخوة إلى آخر يجب على الجميع معاونته ومؤازرته لإصلاح خطئه؛ ليتعلم ما يجب فعله ويرى وجهة الشر في جنتها.
- (٥) يجب على كل الإخوة أن يجتمعوا باجتهاد كلما عرض أمر، وأن ينظروا في أشغال الإخوة في كل محفل مع المحافظة الشديدة على الرموز والإشارات فلا يطّلع عليها من ليس من عدادها.

- (٦) يجب الاحتراز التام من الخيانة؛ لأن الجمعية لا تقوم قائمتها ولا يشتد أذرها ما لم يكن عامل الإخلاص سائداً عليها، فالصيغة الحسن خير من المال المجموع. ويجب على كل أخ أن يرخص لأوامر الأستاذ المحترم ويطيعه في كل ما يأمره به ويتم أعماله وأشغاله بغایة النشاط.
- (٧) يجب على كل أخ أن يدفع ما عليه من الدين، ويتجنب كثيراً ما يшин هذه الجمعية الشريفة.
- (٨) يجب على كل أستاذ أن لا يتعاطى شغلًا أو يباشر عملاً ما لم يكن موقتاً في نفسه الكفاءة لإدارته وإلا جرّ عاراً عظيماً على الصناعة وعلم البناء. وعلى هؤلاء أن لا يطلبوا أجراً باهظة، بل يكفيهم أن يأخذوا ما يمكنهم به دفع أجور العاملين عندهم.
- (٩) لا يجوز لأحد أن يزاحم أي أخ كان، بل عليه أن يعينه في علمه ويؤازره، هذا إن لم يكن العامل جاهلاً فيخالفه هذا.
- (١٠) لا يقبل الأستاذ الطالب بناءً إلا بعد سبع سنوات تجربة، فإن انقضت هذه المدة ولم يظهر من الطالب سوى الهمة والنشاط فيُقبل إذ ذاك في عداد البنائين بعد اجتماع كل الإخوة في جلسة هناك، فإن قبلوا به بناءً ينظم في عداد هذه الجمعية الشريفة.
- (١١) لا يجوز للأستاذ ولا للرفيق قبول مكافأة لأجل إدخال أحد في الماسونية، وخصوصاً إذا كان الطالب غير حر الولادة، ويجب أن تكون أعضاؤه سلية وصيته حسن.
- (١٢) لا يجوز لأخ أن يشكوا أخاً آخر، إن لم يتحقق أنه يقدر أن يأتي بأحسن منه.
- (١٣) متى دعا الأستاذ الأعظم أحد الأساتذة أو الأستاذ أحد الإخوة فيجب على المدعو قبول نصائحه بشكر والنظر بدقة فيما يصلحه له من الأعمال.
- (١٤) يجب على كل الإخوة الماسونيّين أن يطّيعوا رؤسائهم ويتمموا ما أمروه به.
- (١٥) يجب على كل الإخوة الماسونيّين أن يقبلوا الإخوة الغرباء الذين يُظهرون إشارات التعارف في عدادهم ويخدموهم في كل وسعهم كما تعلّمهم بذلك شرائنا الشريفة، وأن يبادروا لإغاثة من خانه الدهر حين يعلمون حاجته وينجدوا هذا الأخ المنكود حتى إلى بعد نصف فرسخ (نحو نصف ساعة).
- (١٦) لا يجوز للأستاذ أو الرفيق أن يقبل في محفليه من ليس ماسونيًّا ويروم النظر في قطع الحجارة أو زخرفتها أو ليري عمل ما طلب إنشاؤه، ويجب عليهم أن يحتزروا كثيراً من أن يتقدّل لهم الرسوم المبينة هذه الصناعة الشريفة، ومن خالف في أقل شيء يُفصل من الجمعية.

هذه هي الواجبات التي يجب على كل أخ ماسوني إجراؤها والعمل بموجبها. وإذا وجد في المستقبل شيء صالح عائد نفعه على خير الجمعية يجب أن يدون كتابة، وبعد القرار عليه يجب أن يعلم به كل الإخوة فيسيروا على موجبه طائعين.

إضافة مهمة

في سنة ١٣٥٠ مسيحية اجتمع الإخوة الماسون ببرئاسة «إدوارد الثالث» ملك إنكلترا وحوروا المواد السابقة وأضافوا إليها ما يأتي:

- (١) عند قبول أخ حديث يجب أن تُتلى عليه القوانين واللوائح الماسونية.
- (٢) أن الأساتذة الماسونيّين أو أساتذة العمل لا بد من امتحانهم ليعلم إذا كانوا أهلاً لخدمة المعتبرين رفيعهم ووضييعهم محافظةً على شرف هذا الفن وعلى صوالح الذين يعهدون إليهم إنجاز أشغالهم.
- (٣) متى اجتمع الرئيس والمنبهان في محفل فعلى حاكم المدينة، أو والي الولاية، أو شيخ البلد التي يجتمع فيها المحفل أن يكون قريباً من الرئيس ليساعده في كبح جماح العصاة ونواب العشيرة الماسونية حقوقها إذا لزم ذلك.
- (٤) إن طالبي مؤاخاة الماسون لا يُقبلون إلا بعد أن يتحقق عنهم أنهم أمناء وغير حامين للصوص. ويجب بعد قبولهم أن يشتغلوا بأمانة يستوجبون من أجلها نواب أجورهم، وأن يحبوا رفقاءهم لأنفسهم، وأن يكونوا مخلصين للملك وللأخوية الماسونية وللمحفل.
- (٥) على المحافل أن تبحث في اجتماعاتها عن أعمال الأساتذة أو الرفقاء، فإذا رأوا منهم إخلالاً بشيءٍ من البنود المتفق عليها يحاكمونهم، فإذا طلب أحد المتهمين للمرافعة وأبى الحضور فعلى المحفل أن يقرر تجريده من الحقوق الماسونية، وأن يحظر عليه معاطاة صناعة البناء، وإذا خالف فعل الحاكم أن يحجز عليه ويسلم كل ممتلكاته إلى الملك وللملك الخيار في أن يعطيه من محسولاتها ما يحتاج إليه لسد عوزه أو أن يمنعه من الانتفاع بها. وعلى ما تقدم ينال كل ذي حق حقه لتسير الأعمال بالأمانة وعلى السواء في صنعة البناء في كل المملكة الإنجليزية بين الشرفاء والصلاليك. انتهى.

وقد تحورت كل المواد السابقة، وسُنَّ لكل شرقٍ من المشارق السامية قانونٌ خاصٌ في هذه الأيام ونظمت الماسونية تنظيماً تاماً فاستكملت هيئتتها من كل جهة، وسنأتي على زيادة تفصيل في الفصول الآتية.

الفصل السابع

وصايا ماسونية

الوصايا الماسونية القديمة

- (١) إن الله هو الحكمة الأزلية القادرة على كل شيء التي لا يمكن لعقول البشر إدراكها.
- (٢) تُكرِّم الله بالتحلي بالفضائل واجتناب الرذائل، ويجب أن تعمل الخير لا كفريضة فلا يبقى لك ثواب، بل بسرور أَقْدَمْ على ذلك.
- (٣) من صادق الحكيم صار حكيمًا.
- (٤) نفسك أبدية أزلية فلا تفعل شيئاً يشينها.
- (٥) حارب الرذيلة ما دام فيك عرقٌ ينبعُ.
- (٦) لا تفعل بالغير ما لا تريد أن يُفعل بك.
- (٧) اقبل نصيبيك بشكرٍ ففيقى لك نور الحكمة.
- (٨) أكرم والديك وأقاربك.
- (٩) أكرم الشيوخ؛ لأن الشيب إكليل على رءوسهم ناصع البياض فيجب توقيره واحترامه.
- (١٠) أَنْرِ الجَهَالِ والأحداث.
- (١١) احم الأطفال من الريبة والشك.
- (١٢) حبّ امرأتك وبنيك كحبك لنفسك.
- (١٣) حبّ وطنك فوق كل شيء بعد الله وارضخ لما تأمرك به شرائعه.
- (١٤) ليكن صديفك كنفسك مكرماً منك.
- (١٥) لا تحقر المنكوبين، بل عاملهم بالرأفة والحنان.

- (١٦) أكرم ذكر صديقك ميتاً كان أو حياً.
- (١٧) اجتنب المرائين.
- (١٨) اهرب من المبالغة في أي شيء كان.
- (١٩) اجتنب كل ما يشين ذكرك.
- (٢٠) لا تجعل نفسك عيذاً لشهواتك.
- (٢١) كن حليماً عند الخطأ.
- (٢٢) اسمع كثيراً وتكلم قليلاً فتكتسب الخير والصلاح.
- (٢٣) تناس خطيئة أخيك.
- (٢٤) جاز الشر بالخير.
- (٢٥) لا تستعمل قوتك ورئاستك لهضم حقوق الضعفاء.
- (٢٦) ابدأ بمعرفة نفسك فتعرف الآخرين.
- (٢٧) اطلب الحقيقة ولا تمل من طلبها.
- (٢٨) كن عادلاً في عملك واجتنب البطالة؛ لأنها أم الرذائل.

الوصايا الماسونية الحديثة

- (١) كُن عادلاً في عملك مقوساً في حكمك؛ لأن العدالة والحق هما أساس العالم فلا يقوم إلا بهما.
- (٢) كُن كريماً ورحيمًا؛ لأن الرحمة تستأسر القلوب.
- (٣) كُن حليماً؛ لأن بحلنك يمكنك المعيشة مع قوم ضعفاء نظيرك، وإن تكبرت اضطررت إلى الاعتزال.
- (٤) كُن لطيفاً في معاشرك؛ لأن اللطف يستجلب المحبة.
- (٥) قابل كل معروف يُصنع معك بشكر جميل؛ لأن الشكر يغذى ويقوى محبة عمل الخير.
- (٦) كُن متواضعاً؛ لأن المتكبر ينفر من نفسه.
- (٧) سامح الإهانة؛ لأن الحقد يستوجب الانتقام والانتقام يجلب ضرراً عظيماً على العالم.
- (٨) اصنع الخير مع من أهانك؛ لأنك إذا عملت معه خيراً تُظهر شرفك وعظمة نفسك فتكتسب صداقته.

- (٩) كُن قنوعاً واردع جماح شهواتك وكُن عفيفاً؛ لأن العفة وعدم الغلو والقناعة تُكسب شرفاً أثيلاً وبغير هذه الصفات الشريفة تصبح محقرًا مهما كنت كريماً.
- (١٠) كُن مخلصاً لوطنك وافده بحياتك؛ لأنك بإعزاز وطنك تكسب الراحة والسرور وتنسكب عليك الخيرات.
- (١١) أطع السلطة الأمينة وارضخ لأحكامها.
- (١٢) دافع عن بلادك؛ لأن وطنك هو الذي يجعلك سعيداً فتكتسب الرغد في معيشتك. وحماية وطنك ضربة لازبة عليك؛ لأنه جمع كل من كان عزيزاً عليك، ولكن بدفعك عنه لا تنس الإنسانية وواجباتها.
- (١٣) لا تصر عن الإجحاف بحقوق هذه الأم الشفوفة؛ أي الوطن التي غذتك بأبنائها وجعلتك شريفاً، ولو أن الوطن طردك ولم يقبل ما عرضته عليه من الخدمات فاصبر على المضي وابتعد عنه دون شكوى ولا تَذمِّر، واقبل مصيبيتك بشكر؛ لأنك بشكواك من وطنك وتذمرك عليه تخسر كثيراً من قدرك الذي يجب عليك إعزازه.

الدستور الماسوني

هذا هو الدستور الماسوني الذي يسير الماسون بموجبه في هذه الأيام، وقد نشر في الصفحة العاشرة من كتابنا في الآداب الماسونية:

- (١) قدِّم العبادة والإكرام لله مدبر الكائنات ومبدع الموجودات.
- (٢) حبَّ قريبك.
- (٣) لا تفعل شرًّا.
- (٤) اعملِ الخير.
- (٥) لا تكترث لكلام الناس في الواجب عليك.
- (٦) اتَّبعْ قواعد ديانتك واحترم ديانة الآخرين، فإنهم متساوون أمام الله، وطاعة الله الحقيقة تقوم بممارسة الإنسان الأخلاق الجيدة.
- (٧) افعِلِ الخير لمجرد حبك للخير نفسه.
- (٨) اسهر دائمًا على نقاوة سريرتك ف تكون أهلاً للمثول أمام الله تعالى مدبر الكائنات.

- (٩) حبّ الأبرار والصالحين وشفق على الضعفاء وابعد عن الأشرار، ولا تبغض أحداً.
- (١٠) ليكن كلامك قليلاً مع ذوي المراتب العالية ذا حكمة مع أقرانك وإخلاص مع أصدقائك وكثير العذوبة مع من هم دونك ورقيقاً مع المساكين.
- (١١) لا تتملّق أخاك، فإن تملّقه خيانة.
- (١٢) إن سمعت مدحياً من أخيك فاحذر لثلاً يفسد أخلاقك.
- (١٣) اتبع دائمًا صوت ضميرك.
- (١٤) كُن كأب للقراء والمحتاجين وكل تأوهٍ يتأوهونه من قساوة قلب يحدّر اللعنات على رأسك.
- (١٥) أكرم الغريب، وكن له عوناً، ول يكن شخصه مقدساً عندك.
- (١٦) تجنب المشاجرات وأغضِّ عن الشتائم واجنب دائمًا للحق.
- (١٧) لتكن النساء مكرّمات عندك ولا تُسيء معاملتهنَّ وفضل الموت على ارتكاب المنكر.
- (١٨) إذا رزقك الله ولداً، فقدم له الشكر على ذلك واعتبر قيمة الوديعة التي أودعك إياها.
- (١٩) واعتن ب بهذا الولد كما يعتني الله بمخلوقاته.
- (٢٠) واجعله أن يخافك إلى أن يبلغ العشرين من سنِّه ويحبك إلى أن يبلغ العشرين، ويقدم لك الإكرام والوقار حتى الممات.
- (٢١) أي: كُن له بمنزلة المعلم إلى السنة العاشرة وبمنزلة الأب إلى السنة العشرين وبمنزلة الصديق إلى الوفاة.
- (٢٢) اجتهد أن تُكسبه مبادئ صحيحة أكثر من أن تزيده خفةً وحركاتٍ جميلة.
- (٢٣) ليكن ولدك مديناً لك بأنك ربّيته على الاستقامة وأكسيته النور والمعرفة ولم تربّه على الخفة والخلاعة.
- (٢٤) اجعله رجلاً صالحًا قبل أن تجعله رجلاً مفلحاً.
- (٢٥) إن خجلت من الحالة التي أنت فيها فأنت متكبر.
- (٢٦) اعلم أن المنصب ليس هو الذي يزيد الإنسان شرفاً أو يلحق به عاراً، بل الأفعال التي تبدو منه في ذلك المنصب.
- (٢٧) اقرأ واستفِد، انظر وتمثّل، افتكر واعمل.
- (٢٨) لتكن أعمالك عائداً نفعها على إخوتك، ولتكن كما لو كنت تفعّلها لنفسك.

- (٢٩) كُن راضيًّا في كل مكان وفي كل حال.
- (٣٠) لتكن الأفعال العادلة باعثة لسرورك، والأعمال غير العادلة داعية لغيفلك.
- (٣١) احتمل النوازل بدون تذمر.
- (٣٢) لا تحكم بخفة على أفعال الناس.
- (٣٣) لا تدم أحدًا ولا تكثر من المديح لأحد؛ لأن الله مهندس الكون العظيم الفاحص القلوب هو وحده قادر أن يعلم قيمة أفعال خليقته.
- (٣٤) احترم سلطان البلد التي أنت عائش فيها؛ لأنك في الإقامة بأرضه.
- (٣٥) احترم الحكومة واخضع للشرع والشريعة ولا تدخل في مؤامرة، بل إذا مسَّت الحاجة قدم للحكومة المساعدة والغضد.
- (٣٦) تجنب المجادلات في أمر الدين والسياسة لكي تحفظ العلاقة المرتبطة بها النوع الإنساني.
- (٣٧) ساعد أخاك بالتي هي أحسن وفضله على سواه فيأخذك وعطائك ما دام سالكًا طريق الاستقامة والصدق والأمانة نحوك ونحو الآخرين.
- (٣٨) كُن طاهر القلب تجاه عيال إخوتك.
- (٣٩) اكتم سر أخيك كتمانك لسررك.
- (٤٠) كُن فاضلاً فتصير قدوةً للناس بأفعالك الحسنة.

الفصل الثامن

في أهم المنشورات وتاريخ صدورها

المنشور الروماني سنة ٧١٥ق.م: دونت فيه القوانين المتعلقة بمدارس البنائين التي أنشأها «نوما بومبليوس»، وهي في الجدول الروماني الثاني الموضوع سنة ٤٥ق.م.

منشور سانت ألبان سنة ٢٩٠ب.م: مؤسس على تعاليم المدارس الرومانية القديمة جمعها ألبانوس وهو نقاش مشهور وأمر الإمبراطور كاروزيوس بنشرها وإذاعتها، وكانت كل الأوراق والمستندات التي تتعلق بالماسونية في أحد الأديرة فأحرقت كلها حين غزا الدانيون تلك البلاد، وعاثوا فيها فساداً.

منشور يورك سنة ٩٦٢ب.م: أُسست فيه الشرائع والقوانين الماسونية الأساسية، وذاق هذا المحفل ما ذاقه غيره من الاضطهاد والاضطرابات وأحرقت أوراقه زمن الحروب التي أثارها الأعداء على بريطانيا. وكانت يورك في ذلك العهد محلاً للثورات وسفك الدماء؛ لأنها كانت العظيمة بين البلدان التي أحرزت الشهرة الماسونية العظمى فكانوا يتغافلون في اضطهادها، ولم يصلنا شيء منها ولم نكدرى بها لولا المنشور الذي أذاعه «إدوارد الثالث» الذي بُني عليه منشور يورك، وقد ذكرت فيه كل المواد التي ذكرت في ذلك والمتعلقة بحقوق الأساتذة العظام وواجباتهم نحو الأمة والبلاد. وقد وُجدت نسخة من هذا المنشور سنة ١٧١٧ ونُسبت إلى الملك «إدوارد الثالث»، وأنها خطّت بيده، وهذه النسخة مع كثير غيرها من الأوراق الكثيرة الأهمية ذهبت طعمًا للنار التي أضرمتها بعض الإخوة من محفل سان بول سنة ١٧٢٠.

منشور «إدوارد الثالث» سنة ١٣٥٠: كان هذا المنشور مبنياً على منشور محفل يورك، ولكن زيد عليه بعض أشياء رأوا وجوب زيادتها فأدخلوها وحُوّروا قليلاً من قوانينه ونصوصه المتعلقة بالأساتذة العظام وبيان الواجبات التي يجب عليهم إجراؤها.

منشور اسكتلندا سنة ١٤٣٩: أو هو بالحرفي براءة أعطيت «لوليم سانكلر بارون دي روسلين» سنة ١٤٢٠ منحه إياها الملك «جاك الثاني» مخولة حقوق الرئاسة العظمى له ولذرتيه من بعده مكافأة له على الخدمات الصادقة التي أظهرها نحو الأمة، ويوجد نسخة من هذه البراءة في مكتبة المحامين في أيدنبرج مؤرخة سنة ١٧٠٠ مسيحية.

منشورات ستراسبورج سنة ١٤٥٩ وسنة ١٥٦٣: وكانت تحت عنوان الإصلاح والقوانين الموضوعة للإخوة نقشى الحجارة.

منشور كولونيا سنة ١٥٣٥: وهو قوانين الماسونية الفلسفية وشرائطها أو تحويل القوانين التي وضعها الإخوة الملتمون في كولونيا.

ويوجد حتى الآن نسخة من هذا المنشور في محفوظ هولندا الأعظم في لاهاس كُتب على رق بأحرف ماسونية، وقد وجدت هذه النسخة في محفوظ هيت فريندنال Het Vredendal، أو وادي السلام الذي كان في أمستردام سنة ١٥١٩، وأوقف أعماله سنة ١٦٢١، ثم عاود العمل سنة ١٦٣٧، وقد وضعت هذه النسخة للفحص العميق وتتأكد الجميع صحتها، فلم يبق ثمَّ ريب فيها.

منشور اسكتلندا سنة ١٦٣٠: ليس في هذا المنشور سوى تأكيد الامتيازات والحقوق التي منحت لوليم سانكلر بارون دي روسلين سنة ١٤٣٩ من محافل اسكتلندا، وقد أعطيت هذه الامتيازات ثانيةً في هذا المنشور لورثة البارون دي روسلين؛ لأن المنشور الأول ذهب طعمًا للنار حين شب في قصر روسلين فطلبو تجديدها وأعطيت لهم، وهذا المنشور باقٍ حتى الآن في مكتبة المحامين في أيدنبرج.

منشور لوندرا سنة ١٧١٧: في هذا المنشور تم القرار على استبدال الماسونية العملية بال MASONNIE الفلسفية الرمزية.

الفصل التاسع

في المجامع الكبرى التي أقامتها الماسونية منذ مجمع يورك سنة ١٩٢٦ ب.م حتى مجمع سنة ١٧٨٧

مجمع يورك سنة ١٩٢٦ ب.م: أقامه أدوين ابن الملك ألتستان ليعيد الاجتماعات الماسونية التي كانت قد ألغيت زمناً بأوامر الحكومة، وأعاد اجتماعاتهم ثانيةً بقوانين وشرائع مبنية على الشرائع القديمة.

مجمع ستراسبورج سنة ١٢٧٥ ب.م: التأم بناءً على طلب أروين دي ستينباخ لإتمام بناء كاتدرائية ستراسبورج، وحضر هذا الجمع كثير من بنائي ألمانيا وإنكلترة ولويمبارديا، وهناك اتخذوا لأنفسهم لقب «البنائين الأحرار» وحلف كلُّ منهم اليمين المعلَّمة أن يبقى ما دام حياً أميناً للشريعة الماسونية القديمة.

مجمع راتسبرون سنة ١٤٥٩ ب.م: دعا إلى هذا الاجتماع جوبس دوتزنجر Jobs Dotzinger رئيس العمل في بناء كاتدرائية ستراسبورج للنظر في جملة غaiات؛ أوّلاً: إجمال في الأشغال المتعلقة بالصناعة والبناء والجمعية، ثانياً: للنظر في الشريعات والقوانين الجديدة التي وضعَت للماسونية في محفل ستراسبورج سنة ١٤٥٢ وتحويرها.

مجمع راتسبرون سنة ١٤٦٤ ب.م: اجتمع بناءً على طلب محفل ستراسبورج الأعظم للنظر في جملة مسائل عُرضت عليه، وهي؛ أوّلاً: إجمال عمومي، وتقديم تقارير عن البناءات التي شيدت وتشييد، وبيان العقبات التي تطرأ على المasons وتعذرها عن إنجازها والنظر في ما يزيد تلك العقبات. ثانياً: تجديد حقوق المحافل الأربع.

الكبير، وهي محفل كولونيا وستراسبورج وفيينا وبرن، ووضع حدّ لكلٍ منها فلا تتعاداه. ثالثاً: في متفرقات شتى. رابعاً: تعين كونراد كوين Conrad Kuyn رئيس العمل في بناءة كاتدرائية ستراسبورج أستاذًا أعظم لمحفل كولونيا الأعظم.

مجمع سبير Spire سنة ١٤٦٩ ب.م: التأم بناءً على طلب محفل ستراسبورج لمقاصد شتى، أولًا: تقديم تقارير عن كل البناءيات الدينية التي تم بناؤها والتي أوقف عملها. ثانيةً: بيان مركز الجمعية الماسونية وماهيتها في إنكلترة وغاليا ولوبارديا وألمانيا وتفصيله تفصيلاً مدققاً. ثالثاً: يقدم تقرير عن المحافل جميعها وماهية ارتباطها بعضها وبعض وبيان العلاقات الودية التي بينها.

مجمع كولونيا سنة ١٥٣٥ ب.م: بناءً على دعوة هرمان أسقف كولونيا للنظر في الاضطهاد الذي يهدد الماسونية إجمالاً والاحتياطات التي يجب اتخاذها بإزاء الشكاوى، والنمائم التي أصبحت الماسونية من جرائها في خطر دائم، وكانت نتيجة هذا المجمع إصدار المنشور الكولوني الذي تكلمنا عنه في بيان المنشورات، والذي يثبت لنا أقدمية وجوده محرراً بخط الأسقف عينه فلا مجال ثم للريب.

مجمع بال سنة ١٥٦٣ ب.م: التأم هذا المجمع بناءً على طلب محفل ستراسبورج الأعظم للنظر في جملة مسائل أهمها؛ أولًا: تقويم عام في البناء وما وصلت إليه من التقدم من ذلك العهد. ثانيةً: للمذكرة وحسم الخلاف حبيباً بين اثنين وعشرين محفلًا تابعة لمحفل ستراسبورج فانقسمت بعضها على بعض لأسباب طفيفة، فأحب محفل ستراسبورج إعادة الصلات وتقرير الوئام بينها كما تقضي بذلك الشرائع والقوانين الماسونية.

مجمع ستراسبورج سنة ١٥٦٤ ب.م: دعا هذا المجمع محفل ستراسبورج الأعظم بصورة خارقة للعادة لجملة أشياء؛ أولًا: تمهيد العقبات الحائلة دون نجاح الماسونية وإتمام عملها المجيد، وتتقرر في هذا المجمع أنَّ كل الاختلافات التي تحدث بين المحافل ناجمة عن أغراض أو مفاسد وما شاكل هذه كلها تعرض على محفل ستراسبورج الأعظم ليحكم فيها ويرى رأيه، وحكمه هذا لا يقبل اعترافاً ولا يستأنف إلى مرجع أعلى. ثانيةً: المثابرة على تقديم التقارير التي اعتادت المحافل الأخرى إجراءها، فهذه كلها أيضاً تقدم للمحفل الأعظم ليرى أعمال الجمعية ويتحقق تقدمها ونجاحها. ثالثاً: تذاكروا في أشياء مختلفة.

في الماجمِع الكبُرى التي أقامتها الماسونية ...

محفل لوندراة سنة ١٧١٧: دعا هذا المجمِع الأربعَة المحافل الوحيدة التي كانت في ذلك العصر في لوندراة، وكان المتقدم على هذه المحافل محفل سان بول (القديس بولس) الأعظم ليقرر ما كان قد عرضه سابقاً؛ أي في سنة ١٧٠٣ من أن المترشحين للدخول في الماسونية يقبلون من كل النَّحَل والمِلَل بصرف النظر عن أجنبائهم على شرط أن يكونوا حقيقة مستعدين للانتظام في عقدها الشَّمِين.

ونجم عن هذا المجمِع أن تألفَ محفل إنكلترا الأعظم الذي يحوي ماسوناً أحراً من كل الطوائف والمِلَل فلحفوا كلهم اليمين بأمانتهم لهذه الجمعية، وأنهم لا يخونون أسرارها ولا يفشوْنَ أعمالها لأيٍ كان. ومن هذا المجمِع نجم أيضاً استعمال الدرجات الثلاث الأولية التي قيل فيها: إنها رمزية، وهي المستعملة في الماسونية حتى الآن.

مجمِع دوبلين سنة ١٧٢٩: تشكَّلَ هذا المجمِع بقرار كل المحافل الأيرلنديَّة الذين أرادوا أن ينالوا الحقوق الماسونية التي أحرزها غيرهم، ويجعلوا قوانين محفلهم واحدة فنظموها على مثال قواعد محفل إنكلترا الأعظم وأنشئوا محفلًا أعظم دعوه محفل أيرلندا الأعظم وانتخبو اللورد فيكونت كنستون أستاذًا أعظم له.

مجمِع أيدنبرج سنة ١٧٣٦ ب.م: طلب التئام هذا المجمِع البارون سنكلر دي روسلين أستاذ الماسونيَّين الاسكوتسيين الأعظم الذين كان محفلهم الأعظم في كليفينين ليتنازل عن حقوقه في الرئاسة العظمى فلا تكون فيما بعد إرثية محصورة بينه وبين بنيه من بعده، ويتنازل أيضًا عن كل الامتيازات التي أحرزها سنة ١٤٣٠ من الملك جاك الثاني الذي منحها لعائلة روسلين، ولم يكن القصد من الاجتماع هذه الغاية فقط، بل ليشكلوا الماسونية على قوانين جديدة. وكان أعضاءُ اثنين وثلاثين محفلًا حاضرين هذا المجمِع، فوافقوا كلهم على ما عُرض عليهم وألْفوا محفلًا جديداً دعوه محفل اسكتسي الأعظم، وانتخبو البارون دي روسلين أستاذًا أعظم له سنة ١٧٣٧.

مجمِع لاهاي سنة ١٧٥٦ ب.م: تشكَّلَ هذا المجمِع بناءً على طلب محفل الاجتماع الملوكِي الأعظم في لاهاي بقصد تأسيس محفل وطني أكبر من الولايات المتحدة، ويكون هذا المحفل تحت رعاية محفل إنكلترا الأعظم وقرروا تأسيسه بمصادقة مندوبي ثلاثة عشر محفلًا كانوا حاضرين هذا المجمِع فسُرُّوا — لما عرض عليهم — سرورًا عظيماً؛ إذ تحد الماسونية يدًا واحدة وتعمل برأي واحد ولو تباعدت الأماكن التي تجمعها وانتخبو البارون أبرسین بايرين أستاذًا أعظم لهذا المحفل.

مجامع إيبينا Iéna والتانبرج سنة 1764، وسنة 1765 ب.م: طلب جونسون الذي أدعى أنه مندوب من قبل رؤساء معلومين، ومطلق التصرف منهم بفعل ما يراه مناسباً مخولاً هذا الحق من الذين أعطوا السلطة التامة الذين مركزهم في اسكتوسيا فدعا كل الماسونيّين إلى إيبينا في 25 أكتوبر سنة 1764، وطلب حضور مندوبيين من قبل كل المحافل الاسكتوسية التابعة لطريقة الستريكت أوبرفارنس ليعرفوا بسلطته ورؤاسته العظمى، وطلب تشكيل محفل ثانٍ في إيبينا ليعرف الكل بطريقته ويسيروا عليها، وكان من جملة المدعوين إلى هذا المجمع البارون دي هند، وكل المحافل التي أنشأها، فصدق البارون دي هند أولاً دعوته، ولكن ظهر له أخيراً خداعه وتحقق مكره، فأظهره لباقي الإخوة. وفي السنة التالية الأُنَّام مجمع في التانبرج القريبة من إيبينا، وهناك تقرر انتخاب البارون دي هند أستاذًا أعظم لكل المحافل التابعة لطريقته وهي طريقة الستريكت أوبرفارنس.

مجمع كوهلر Kohlo سنة 1772 ب.م: طلب الأُنَّام هذا المجمع المحافل التابعة طريقة الستريكت أوبرفارنس ليروا طريقة تُمكّن بين الإخوة وسائل الحب والوثام وتجعلهم باتحادهم قادرين على دفع المصائب ومقابلة الشدائـ والنوائب وليعارضوا الطريقة الجديدة التي وضعها زينندورف التي بقيت دون جدوى ولم تأت بثمرة قط، وفي هذا المجمع انتخب البارون فريديناند دي برونسفيك أستاذًا أعظم.

مجمع برونسفيك سنة 1775: تشكّل هذا المجمع بناءً على طلب البارون فريديناند دي برونسفيك الأستاذ الأعظم؛ ليروا واسطة تُمكّن عقد الاجتماع وتسوية الخلاف العظيم الذي نشأ بين المحافل، إذ كان كلُّ منهم يدعى بنفسه معرفة الشرائع الماسونية الحقيقة وقوانينها، وكان قد حضر في هذا المجمع البارون دي هند وثلاثة وعشرون محفلاً تابعون الطريقة التي شكلّها في مجمع التانبرج، وظلّ هذا المجمع منعقداً من 22 إلى 6 يوليولم يأت بفائدة ما.

مجمع ليون سنة 1778 ب.م: الأُنَّام هذا المجمع إجابةً لطلب محفل الشيفاليه المحسنين في ليون؛ بدعوى إصلاح الماسونية وتحوير ما يجب تحويره.

مجمع ولفنبوتل Wolfenbottel سنة 1778 ب.م: تألف هذا المجمع بناءً على طلب البارون دي برونسفيك الأستاذ الأعظم للغاية نفسها التي الأُنَّام لأجلها مجمع برونسفيك سنة 1775، وظل من 15 يوليولم إلى 22 أغسطـس، ورأى هذا المجمع أن

في الماجمِع الكبُرى التي أقامتها الماسونية ...

لا سبيل له ليخرج من هذا الظلمات التي سقطت فيها الماسونية فعزم على تشكيل مجمع عام في ويلهلمسباد يدعو إليه كل المحافل الماسونية ليستنير بأنوارهم علّهم يهتدون إلى سبيل يمهدون به كل تلك العقبات القائمة سداً منيعاً دون إصلاح الماسونية وترقيها.

مجمع ويلهلمسباد سنة ١٧٨٢ ب.م: تعين اللئام في هذا المجمع ١٥ أكتوبر سنة ١٧٨١، ثم إلى فصح ١٧٨٢، أخيراً تقرر نهائياً انعقاده في ١٦ يوليول من السنة نفسها.

وانعقد هذا المجمع بناءً على طلب فرديناند دي برونوفيك الأستاذ الأعظم لجملة غایيات؛ أولاً: إصلاح عام على الماسونية. ثانياً: ليذاكروا ويظهروا أنوار شرائعها وتعاليمها، وخاصة حل هذه المسائل: هل الماسونية جمعية حديثة العهد أو بعكس ذلك ترقى من جمعية أخرى قديمة الزمان؟ وما هي تلك الجمعية التي احتلت محلها؟ وهل لل MASONIE أساتذة ورؤساء عظام غير الذين يعرفهم العموم؟ ومن هم وأين مراكزهم؟ وما هي واجباتهم؟ وهل أقيموا ليعلموا أو ليحكموا؟

وبقيت هذه المسائل التي طرحت على الأعضاء في ثلاثة جلسات عقدت لهذه الغاية بلا حل، ولم يحصل منها نتيجة ما ولكن لم يذهب تعب هذا المجمع عبثاً، فإن لم يكن قد أتم الغاية التي عُقد لأجلها فقد قام بأشياء غيرها يقصر عن إدراك شاؤها فطاحل الرجال؛ فتغير كثير من العوائد الرمزية وتحورت طريقة الستريكت أو بسرفانس واستبدلت بطريقة أخرى؛ وهي الطريقة الكهربائية.

مجمع باريس سنة ١٧٨٥ ب.م: وهو المجمع الأول، دعا هذا المجمع أعضاء محفل الأصدقاء المجتمعين الباريسيين ليزيلوا القاتم المنعقد على محياً الماسونية ويقشعوا الغيوم المتلبدة في سمائها التي أحذثتها الفرق المتعددة والشيع المختلفة، والتي كان كل منها يخدم مصلحته الخاصة وليتذاكروا ويجلوا المبهم عن النقط المهمة في التعاليم الماسونية ومعرفة أصل هذه الجمعية، ومن كان واضعها الأول، وهل هي حديثة العهد أو قديمة؟ وهل واضعها أنشأها على ما كانت عليه حتى الآن أم نشأت وترقت حتى أحرزت هذه الدرجة الرفيعة من المنعة والاقتدار؟ والكشف عن الأسرار الماسونية الحالية المضروب على معرفتها أستار كثيفة. وظلَّ هذا المجمع منعقداً من ١٥ فبراير حتى ٢٦ مايو ولم يأتِ بفائدة.

مجمع باريس سنة ١٧٨٧ ب.م: وهو المجمع الثاني الذي التأم بناءً على طلب الإخوة الذين طلبوا التئام المجمع الأول، وكانت غايتها كشف القناع عن المهام التي عرضت على محفل ويلهلمسباد ومجمع باريس الأول، وهذا المجمع لم يأت بفائدة أيضًا. ولم نذكر هنا المجامع التي حدثت في هذا الجيل، بل أجيّلنا الكلام عنها إلى غير هذا المكان.

الباب الثاني

أعمال الماسونية العملية قبل التاريخ المسيحي

تمهيد

شرحنا فيما تقدم كيف نشأت المسؤولية وبعض أقوال المشهورين فيها، ونشرنا ملخص أدابها وتعاليمها القديمة والحديثة، ولخلاص الآن تاريخها العملي منذ نشأتها إلى أن تغيرت سنة بعد سنة، وتحولت إلى جمعية رمزية، وسنراعي الإيجاز في ما ننقله متبعين الحوادث آخذًا بعضها برقباب بعض إلى سنة ١٧١٧ مسيحية؛ ليسهل على المطالع المراجعة وتتم الفائدة المقصودة من هذا الكتاب، وبالله التوفيق.

الفصل الأول

ملخص أعمال الماسونية من سنة ٧١٥ قبل المسيح إلى سنة ٣٠ ق.م

مدارس الرومانيين

سنة ٧١٠ إلى سنة ٧١٥ قبل المسيح: بني الرومانيون مدارس البناء وأدخلوا إليها العلوم الرياضية والفلسفية وسُنّت لها شرائع مخصوصة وأقيمت عليها قضاة مخصوصون، وكانت شرائعها قائمة على المذهب الديونيسي المنتشر تعليمه إذ ذاك في الشرق، فقام نوما بومبليوس الذي ارتقى إلى سدة الملك بحسن سيرته وتقواه وأمر بإنشاء هذه المدارس وجعلها مستقلةً بذاتها ووضع لها قواعد وقوانين كثيرة، فكانت مدنيةً ودينيةً في آن واحد وخلوّها حق بناء الهياكل الجميلة والمحلات العمومية والقصور الأنيقة وفصل أحكامها عن المحاكم العمومية، وكانت تفعل ما تشاء فتأمر وتنهى وتجزي وتعاقب من غير منازع ولا معارض، وكان لها أساتذة ومبهون ومعاونون وكتبة وأمناء خزينة ومساعدون وحفظة أختام وغيرها من الوظائف الكثيرة التي نراها حتى الآن منتشرة في الماسونية الرمزية، وكان أطباؤهم مستقلين لمعالجتهم، وكان فيها كثير من الإخوة العلماء الذين أقرّ بفضلهم رجال الأعصر الغابرة، وكانوا يتبرّعون بمبالغ تصرفها عليهم الجمعية شهرياً لإعانة إخوتهم المنسكوبين، وكان عدد الطالبين في كل مدرسة محدوداً، فلا يمكن تجاوزه، وكان معظم الإخوة مؤلفين من اليونان الذين هاجروا بلادهم وأتوا رومية ليذوقوا فيها حلاوة العيش بعد مرارته وأدخلوا معهم أسرار جمعياتهم السرية، وأضافوا إليها أشياء عديدة، حتى إنه منذ بُنيت رومية حتى حكم قسطنطين الكبير سنة ٢٣٠ ب.م، لم ينشأ هيكل ولم يُشدَّ معبد إلا ومرجع الفضل فيه لل MASONIA، وهذه آثار بعض من

تلك البنيات باقية حتى لا تفعل به عوامل الأيام الماضية تشهد لهم بالفضل وتدلنا صريحاً على أفعالهم المجيدة.

الماسونية في أيام الرومانيين

سنة ٧١٠ ق.م: في هذه السنة قام «نوما بومبليوس» المصلح العظيم ومشيد المدارس الماسونية، وأمرهم بتعظيم «الكابيتو» (وهو حصن رومية المنبع)، وأن يتمموا بناء الهياكل المخصصة لعبادة الشمس والقمر ورهايا وساتورن ومارس وغيرها من الآلهة الرومانية التي كان قد بدأ بإنشائها روملوس باني رومية وملك السابين، وبعدهما أنهوا هذه الأعمال أمرهم نوما بإنشاء هياكل تُكرس لعبادة إله الإيمان وإلهة الصداقة ومعبد لروملوس، وأخر لجونوس إله السلام الذي كان نوما يحبه كثيراً. وأحاط المدينة بأسوار عظيمة وحصّنها تحصيناً منيعاً لتكون في مأمن من الهلاك، وفي حرب حرizz من هجمات الأعداء، وبعد ذلك أتمّ بناء الهيكل الذي كان قد بدأ به روملوس لعبادة المشتري وهو إله الآلهة عند الرومانيين تذكاراً للأعجوبة التي صنعها معه وهي أنه بعد ما كاد الجيش ينهزم إثر موقعة جرت لهم مع أعدائهم السابين تضرع «روملوس» إلى المشتري لي لهم أجناده قوةً وثباتاً، ونذر بأنه إذا ظفر بني له هيكلًا في ذلك المكان عينه، وهكذا كان وبدأ بإنشائه، ولكنهم زعموا أنه خُطف إلى السماء ليتنظم في صف الآلهة.

سنة ٦٥٠ ق.م: وازداد سكان رومية في زمن تسلط إنكوس مارسيوس زيادة عظيمة فحصّن البلاد وأنشأ الحصون والقلاع وعمل مستودعاً عظيماً للمياه دعاه باسمه وأمر بإنشاء مرفأً لشاطئ أوستيا ليسهل التجارة وتمرُ داخله السفن.

سنة ٦١٠ ق.م: تسلط على رومية تاركينوس الكبيرة فأقام معابد جديدة في الكابيتو للمشتري إله الآلهة وميرفرا إلهة الحكم وجوNon، وأقام سوراً عظيماً طوله ٦١٤ متراً، وهو أول من أمر بإنشاء المراسح، وأقيمت في أيامه بنيات كثيرة.

سنة ٥٨٠ ق.م: ازدادت رومية اتساعاً مما كانت عليه في زمن «أنكوس مارسيوس»؛ إذ أضاف إليها ملك رومية «توليوس سرفيوس» مقاطعة فيرينال التي أحاطها بأسوار المنيعة، وأقام معابد للسعادة ولديانة إلهة الفنch.

سنة ٥٣٠ ق.م: أنجز «تاركينوس» المهيب أعمال أسلافه، وجعل قناة ماء تحت الأرض تسير فيها المراكب ودعاهَا كلواكا ماكسيما. وفي ذلك العهد تم بناء هيكل المشتري في الكابيتول والمرسح الذي كان قد بدأ به سلفه، وأقام مرسحاً ثانياً خصصه لمصارعة الشبان الرومانيين.

سنة ٥٠٠ ق.م: تسلط «جونيوس دروسوس» وأمر ببناء هياكل جديدة أنيقة للغاية، وأنشأ معابد للإله بلاس وميترفا.

سنة ٤٩٠ ق.م: قام القنصلان «سمبرونيوس» و«مينوسيوس» وأمرا مدارس البنائين بإنشاء هيكلين للإلهة عطارد والريح.

سنة ٤٨٠ ق.م: تم بناء هياكل لعبادة كاستور وبلوكتس في زمن تسلط بومستيميوس الذي أمر أيضاً ببناء هيكلين آخرين لسيريس آلهة الخطر، وباخوس إله الخمر تذكاراً لنصرته على اللاتين، وكان معبد السعادة الذي بناه في ذلك العهد أجمل الهياكل وأعظمها.

سنة ٣٩٦ ق.م: أنشأ فوريوس كاميلوس معابد كثيرة وبنيات عديدة منها: هيكل لجونون الملكة، أقامه بعد انتصاره في معركة كادت تفشل فيها عساكره، وأنشئ معبد للمشتري في زمن قنصليته أيضاً.

سنة ٣٩٠ ق.م: افتتح الغاليون رومية، وعاشوا فيها وهدموا كثيراً من عمارتها ومعابدها الأنثقة وحرقوا بعضها.

سنة ٣٨٥ ق.م: جدد كويينتوس ما حرق من البناءات الجميلة في رومية، وأنشأ معابد كثيرة منها واحد لمارس إله الحرب، وأخر لساللوس إله الصحة، وثالث لإله الوفاء.

سنة ٣١٢ ق.م: أقام القنصل أبيوس كلوديوس حاجزاً للمياه عظيماً؛ إذ كان التibir كثيراً ما يفيض فيتفاً ماجاوره.

سنة ٢٩٠ ق.م: أنشأ القنصل سبير كارفيليوس معبداً عظيماً لكورينيوس، وأدخل إليه الساعة الشمسية، وحارب هذا القنصل الأتراكين فانتصر عليهم وغنم منهم مغانم كثيرة عمر بها هيكلًّا أنيقاً للسعادة وأخر لاسكولاب الشبيه بالآلهة وهو إله الطب والجراحة.

سنة ٢٨٥ ق.م: قامت جماعة البنائين كما كانوا يُدعون في ذلك العهد واستوطنوا قسماً من غاليا سيزالبين (وهي البندقية ولومبارديا الحالية) إثر ما افتحها الرومانيون،

وكانت تقسم هذه الجماعة إلى أقسام عديدة، فمنها ما كان يلازم الجيش الروماني لا يفارقه في الحِلِّ والترحال في دربِون أعماله ويمهدون طرق فتوحاته ويرسمون له ما يحتاج إليه من بناء قلَاعٍ ومحصون وحواجز ومتاريس وما أشبه من البناءيات الحربية، فكانوا له معيًناً عظيمًا وسندًا قويًّا لفتحاته وانتصاراته، وكان الجيش والعمال يستغلون بالبناء. أما البنادقة الأصليون فينقطعون إلى اختراع الآلات المسهلة للعمل، وكانوا ينقدون لطاعة الرؤساء وقود الجيش في المسائل الحربية المضرة، أما فيما خرج عنها فكانوا مستقلين يأتون ما أرادوه من غير منازع ولا معارض، وكان بينهم علماء وأعلام يجوبون البلاد الرومانية ويبثون بين المنصورين والمفسولين روح العلم ومعرفة الحقيقة وعمل الخير والاجتناب عن الشر وإطاعة الشرائع المدنية.

سنة ٢٨٠ق.م: قام القنصل دويليوس وأنشأ معبدًا عظيمًا كرسه لعبادة الإلهة جانيوس؛ تذكاريًّا لنصرته في البحر على القرطجنيين وبني أكتيليوس في السنة نفسها هيكلًّا للرجاء.

سنة ٢٧٥ق.م: افتتح الرومان كل غاليا سيزالبين بواسطة القنصل دويليوس، وأقام بها قسمًا من جماعة البنائين الذين قاموا بأعمالهم بهمة لا تعرف الملل، فأعادوا البناءيات العظيمة إلى رونقها الأول وجددوا ما كان قد هُدم من البناءيات العظيمة.

سنة ٢٥٠ق.م: احتلت الجنود الرومانية غاليا وضواحيها، وكان يصحبهم البناءون الذين كانوا يشيرون الأبراج والمحصون وينشئون القصور والمعالم، فصارت غاليا بعد زمن قصير زاهرة زاهية. وكان قسم آخر من الجيش الروماني يسير قاطعًا جبال الألب نحو غاليا ترانساليين وإسبانيا، فكان للبنائين الذين مهدوا الشعاب وخططوا الطرق لسير الجيش الروماني في وعور جبال الألب المنيعة الفضل الأكبر ولولاهم ما أمكن الجيش المسرى.

سنة ٢٢٥ق.م: وكان البناءون الذين صحبوا الجيش نحو غاليا ترانساليين قد أتموا أكثر من المطلوب منهم فأنشئوا كوردو في إسبانيا وأمبودروم في إسبانيا، وكان رفقاؤهم الذين في رومية لا يقلون عنهم نشاطًا، فبنوا هناك المحافل العظيمة وشيدوا مرسح فلامينيان الذي دُعي باسم القنصل فلامينيوس.

سنة ٢٢٠ق.م: هاجم أئيال رئيس العساكر القرطجنيَّة رومية، وكاد لولا قليل يظفر بها، فأقام البناءون هيكلًّا لإله سخري جعلوه بأقبح ملامح الشناعة، وعملوا طريقًا

سرّياً تحت الأرض يوصل إلى خارج رومية، وأنشئوا مرسحاً آخر بأمر القنصل فلامينيوس.

سنة ٢١٠ ق.م: كانت المدارس البنائية في زمن الحرب الثانية القرطجانية بلا عمل تجريه، فاتجهت أنظارها نحو الولايات والأقاليم العدية التي افتحتها الجيوش الرومانية فساروا يبثون فيها روح النشاط على العمل وأعادوها بمدة وجيزة إلى رونقها الأول.

سنة ٢٠٠ ق.م: وكان الشعب الروماني قد عزم سنة ٢٠٢ ق.م أن يقيم هيكلًا لمارس إله الحرب وأخر مؤسسي رومية؛ رموس ورومروس، وفي تلك السنة تم بناء هذين الهيكلين.

سنة ١٤٨ ق.م: قام الجنرال ميتيللوس وأمر بإنشاء هيكل للإله المشتري إله الآلهة يكون من رخام ناصع البياض، وذلك بعد انتصاره العظيم على ملك مقدونية، وأقام هيكلًا آخر للإلهة جونون على نفقته.

سنة ١٢٥ ق.م: افتتحت العساكر الرومانية مقاطعة هيلفاتيا، وأقاموا بها بلدانًا عديدة منها أوغستا بازيتيا وأوفاتيكوم (وهي أفناس الآن) التي أصبحت ذات شأن خطير.

سنة ١٢١ ق.م: ترأس مارسيوس على مستعمرة رومانية وأنشأ بلدة ناربو مارسيوس (وهي ناربون الآن) التي أصبحت محطة رحال القوات الرومانية واكتسبت شهرة عظيمة حتى زمن أوغسطس قيصر، فأخذت في التقهقر شيئاً فشيئاً.

سنة ١٠١ ق.م: انتصر الجنرال ماريوس على القوات السيمبرية Cimbres، والطوطون Teutons انتصاراً مجيداً، فأقام في رومية هيكلًا عظيماً لآلهة هونور وفبرتوس Honor et Virtus تحت رئاسة موزيوس النقاش البارع.

وكان علم النقش حتى ذلك العهد في غاية البساطة، وكان الرومانيون يكتفون بتنميق هيكلهم وزخرفتها باستجلاب الآثار القديمة التي كانوا يحرزونها من الذين ينتصرون عليهم من الشعوب خصوصاً من الآثار اليونانية، فأخذوا من ذلك العهد يجدّون ويتجهون في درس ما يرونـه من بدائع الصنـع حتى صارت محبـة الحـفر عندـهم شـديدة للـغاـية، وأبدـعوا فـيهـ غـاـيةـ الإـبدـاعـ.

سنة ٧٩ق.م: طغى البركان فيزوف، وهو أشهر البراكين الإيتالية وأعظمها فدمر مدينة أركولانيوم Herculaneum، وهي شهيرة بما فيها من بداع الآثار التي تفنن البناءُون فيها.

وفي ذلك الوقت طغى برakan فيزوف على مدينة بومباي Pompéi، وكانت وهي لا تقل شهرة عن أركولانيوم بالأثار البدعة والهياكل الأنيقة فذهبت ضحية للبركان فيزوف، وبقيت آثارها طويلاً مخبأة تحت الرماد والمواد البركانية إلى أن اكتُشفت مؤخراً وظهرت شاهد عدل لما كان عليه البناءُون من التقدم والنجاح.

سنة ٧٥ق.م: أُنشئَ عدد عظيم من البلدان في غاليا ناربونيزيه، وكان هناك جيش كثير من الرومان ليدفعوا هجمات الأعداء المقيمين في ضواحي ماستيليا (مارسيليا) التي بناها الغوسيون سنة ٥٩ق.م، وأرنيات وهي (أرل الآن) التي بُنيت سنة ٢٠٠ق.م، وأقام البناءُون مدن أكوا سكستيا (إكس) ونيموسوس (نيم) التي صارت مدنًا في غاية الأهمية، وأنشئوا فيها هياكل عظيمة فصارت تضارع البلاد الرومانية عظمةً وجمالاً.

سنة ٦٠ق.م: افتتح يوليوس قيصر كل غاليا ترانسالبين وهي (فرنسا وبلجيكا وسويسرا الحالية) بعد حرب عشر سنوات، وقد قال عن هذه الحرب بلوتا رخوس المؤرخ الشهير: إن أكثر من ثمانمائة مدينة ذهب ضحيتها، وعدد عديد من الهياكل والمباني ذهب طمع المتصرين، فأرسل يوليوس قيصر جماعات البناءُون إلى غاليا يرممون ما هدمه الظالمون؛ فانتشر البناءُون في أربعة أقطار غاليا، وقاموا بهمة شمامَاء لا تعرف الملل ولا يعروها الكلل يشيرون المباني الفخيمة والهياكل الجميلة والمدن العظيمة فأنشئوا مدن تريفيري (تريف Trèves)، وريمي (ريم Reims)، وروتوэмاكوس (روان Rouen)، وبورديكاتا (بوردو Bordeaux)، ولوکدونم (ليون Lyon)، وتولوزا (تولوز Toulouse)، ولوتيتيا أو بارизي، وهي (باريس Paris الآن)، وكثير غير هذه من البلدان التي أصبحت ذات شأن خطير للغاية.

سنة ٥٥ق.م: افتتح الرومان بريطانيا تحت قيادة يوليوس قيصر الذي أرسل إليها جماعة البناءُون ليحصّنوها ويجعلوها منيعة ترد هجمات الأعداء الاسكتلندين فسار البناءُون إليها، وأقاموا فيها كعادتهم البنايات الجميلة والهياكل الأنيقة العظيمة، وأنشئوا مدينة أيبوراكم (وهي يورك York الآن)، الشهيرة بتاريخ الماسونية.

سنة ٥٠ ق.م: بينما كان يوليوس قيصر سائراً بفتحاته يسود على العالم كان بومبه Pompée في رومية يشيد البنايات الكثيرة، وهو الذي أمر ببناء المرسح العظيم الذي يسع ثلاثة ألف نفس، وهو من الرخام الناصع البياض، وأمر أيضاً ببناء الطريق الموصل من إيتاليا إلى غاليا. ورجع في ذلك العهد يوليوس قيصر إلى رومية، وأمر ببناء هياكل عظيمة للآلهة واستدعي كل البناءين الذي كانوا في غاليا سيزالبين وهي إيتاليا الحالية وأرسلهم إلى أفريقيا ليجدوا بناء قرطاجنة الشهيرة، وقورنط.

سنة ٣٧ ق.م: ولما ملك الرومانيون شواطئ نهر الرين وخافوا من هجمات أعدائهم الجermanيين أقاموا مستعمرات عظيمة وشيدوا مدنًا كثيرة منها: كولونيا أكريبيانa (كولونيا Cologne) التي أصبحت شهرة جداً، وأحرزت كل الحقوق الرومانية في عهد كلوديوس قيصر.

سنة ٣٢ ق.م: احتل الرومانيون مدينة لوتيتيا وهي باريس الحالية، وأقاموا فيها الهياكل العظيمة لعبادة الإلهة إيزيس وميترأ.

أوغسطس قيصر

سنة ٣٠ ق.م: ملك أوغسطس قيصر على الرومان، واشتهر بحبه للعظمة والمجد، فشمر عن ساعد الجد ليجعل ملكه سعيداً ورعاياه مغبوطين، وازدادت جماعة البناءين في أيامه ازدياداً عظيماً، وقام قسم منهم وأنشأوا مدارس خاصة لهم لا تقبل إلا الراغبين في تعليم الحفر، وكان هؤلاء من القوم الذين اشتهر فضلهم وعرف حزهم وسارت بنشاطهم الأمثال، فأصبحوا مكرمين من الجميع، وصار الرومان يدخلون في عادهم زرافات وكلهم متيقن أنه بانتظاره في هذه الجمعية الفضلى ينال الشرف العظيم لما رأوا من تقدمها السريع، فأمرهم أوغسطس قيصر بتشييد الهياكل العظيمة إكراماً للآلهة التي منحته ما لم تمنغ غيره من القياصرة من سعة الملك ورغد العيش ومحبة الرعية، فقام البناءون وبدعوا عملهم ناشطين من عقال الخمول، وشيدوا المعالم والقصور بما جعل رومية في مدة قصيرة جنة الدنيا، فازدادت بهجتها بهجةً وجمالها جمالاً، ورأى ذلك أصدقاء أوغسطس قيصر، فأرادوا مجاراته على عمله العائد نفعه على الجميع ليكسبوا بذلك رضاه، فقام ستاتيليوس توروس وأنشأ مرسحاً عظيماً، وماركوس فيليبيوس هيكلًا أنيقاً لعبادة الإله هرقل ميزاجات ولوسيوس كارنيفوسسيوس معبداً للإله ديانا، وهلمَّ جرًّا.

الفصل الثاني

الماسونية العملية من السنة الأولى المسيحية إلى الألف بعد المسيح

سنة ١ بعد المسيح: أنشأ أوغسطس قيصر هيكلًا في نيم تذكاريًّا لصديقه كايوس ولوسيوس، ولا تزال آثار هذا الهيكل إلى الآن معروفة باسم بيت المربع.

سنة ٥ ب.م: انتظم المهندسون الإسرائييون الذين كانوا قد أتوا إلى رومية وخولهم يوليوس قيصر في ذلك العهد حق العمل في سلك البناءين، وأدخلوا إلى هذه الجمعية تعاليهم وأسرارهم التي تلقّوها قديمًا عن المصريين.

سنة ١٠ ب.م: قام النقاش الشهير فيتروفيوس بوليو Vitruvius Pollio ووضع كتابه الشهير في النّقش وبين حالة الصناعة في تلك الأيام وما وصلت إليه بهمة البناءين الذين جعلوه صناعة شريفة حتى انتظم في سلتها السراة والأعظم.

سنة ٤ ب.م: قام البناءون في عهد طيباريوس قيصر وشيدوا قصرًا عظيمًا للقياصرة، وفي تلك السنة أمر طيباريوس بعمل أقواس نصر لأخيه كلوديوس دروسوس ولأوغسطس.

وامتدت الصناعة في تلك الأيام امتدادًا عظيمًا، وعممت أربعة أقطار العالم الروماني، فأرسلت مدن برغاما Pergama، ونيكوميديا Nicomide، وميلاسا Mylasse، والقيصرية Césarée، وبوزول Pouzzole، وبولا Pola مندوبيين من قبلها إلى رومية ليستجلبوا منها قسمًا من البناءين ليشيدوا في تلك الأماكن هيكل إكراماً لأوغسطس قيصر.

سنة ٢٥ ب.م: أُنجز البناءُون عمل الجسر الذي بدعوا بإنشائه على نهر ريمبني في زمن أغسطس قيصر، وذلك في عهد طيباريوس، وأمر بتشييد هيكل لعبادة الإلهة بروزربينا وجونون وإله الاتحاد.

سنة ٤٤ ب.م: قام كلوديوس قيصر وأمر ببناء حاجز للمياه، وبذل في إنشائه الأموال الطائلة بما جعله أنيقاً للغاية ودعا به باسمه.

سنة ٥٠ ب.م: في هذه السنة وصلت صناعة البناء في رومية إلى أسمى معارج الكمال، ولكنها كانت مضطهدة من القياصرة الذين كانوا يهضمون حقوقها ويحرمونها من امتيازاتها شيئاً فشيئاً حتى ذلت نضارتها عما كانت عليه سابقاً، وأصبحت تسير القهقرى رغماً عن النشاط العظيم الذي أبداه محبوها ليرجعوا لها عظمتها الأولى، ونضارتها السابقة، ومع ذلك لم يفلحوا سعياً فيما حاولوا إدراكه، وبقيت تلك البناءيات التي أنشأها هؤلاء الجهابذة في ذلك العهد تدلنا صريحاً أن قد تلاعبت بجمعيتهم أيدي الأيام حتى لم تعد كما كانت عليه في الأزمنة الغابرة من ضخامة البناء ومتانته وزخرفته التي أبدعوه عقول قوم فضلاء تنزهوا عن الشين، وجعلوا الحقيقة هدفاً يتداعون إلى إصابته.

وظهرت عوامل هذا التقهقر في جماعة البناءين اليونانيين أيضاً الذين أخذ الرومان منهم آثاراً كثيرة واقتفوهم طويلاً في صناعتهم.

والذي دعا إلى هذا التأخر العظيم هو أن يوليوس قيصر وأوغسطس أرسل إلى البلدان التي افتحوها كل الذين اشتهروا بالبناء، والذين أحرزوا به شهرة عظيمة ليقيموا في تلك البلدان آثاراً عظيمة ومباني ضخمة جسيمة ليجعلوا عند هؤلاء القوم المغلوبين آثراً حميدها من تقدم الرومان وإبداعهم، فكان البناءون لشهرتهم وفضلهم يفعلون ما لم يفعله سيف المنتصرين الصقلي، ولا رمحهم الذابل الطويل. وكان بين هؤلاء قسم خصص نفسه للكتابة فيظهر بتآليفه للعالم أجمع فضل هذه الجمعية وغايتها الشريفة، فيتقاطرون إلى الانتظام بسلوكها متداعين.

نيرون الظالم

سنة ٤٥ ب.م: ذاقت رومية مرارة العيش وعرفت نك الطالع لتسليط نيرون الظالم عليها بعد أن أحرق عاصمتها (روميم) فاحتراق معها كثير من البناءات النفيسة والهيكل الأثيق، ثم أمر بإنشاء قصر عظيم لسكناه ودعاه القصر الذهبي، وكان الأستاذان سيفيروس Severus وسيلر Celler يديران الأعمال ويدربان العمال على البناء، بما جعل هذا القصر اسمًا على مسمى.

سنة ٧٠ ب.م: أمر فلافيانوس قيصر ببناء هيكل السلام العظيم وإنشاء مسرح يسع مائة وعشرين ألف نفس، واشتغل بهذا البناء اثنا عشر ألف يهودي جيء بهم أسرى عند افتتاح أورشليم، ولم ينته هذا المسرح إلا في عهد تيطس سنة ٨٠ ب.م.

سنة ٨٠ ب.م: أمر تيطس قيصر ببناء الهياكل وتشييد المباني العمومية وترميم الأماكن التي احترق في السنة السابقة.

سنة ٨٥ ب.م: تسلط دوميتيانوس قيصر على رومية فعظمها كثيراً وأنشأ فيها محلات الأثيق والمباني الجسيمة، وشيد فيها الهياكل العظيمة كما في غاليا.

سنة ٩٠ ب.م: أقام جماعة **البنائين** حصوناً وقلعاً عظيمة في بريطانيا، كما أمرهم به الجنرال أغريقولا Agricola وتحصينات كثيرة في خليجي فورت Forth وكليد Clyde ليروا هجمات أعدائهم الاسكتوسيين، واحتل الجنرال أغريقولا تلك الضواحي ليضبط البلاد ويسود الأمان.

سنة ٩٨ ب.م: أنشأ الإمبراطور تراجيانوس قيصر هيكل لعبادة الآلهة فانوس وديانا. وكان هيكل كيرينوس عظيماً للغاية مؤلفاً من طبقات عديدة قائماً على ستة وسبعين عموداً، وكذلك في الولايات الرومانية أنشئت معابد كثيرة وهياكل عظيمة إكراماً للقياصرة، وفي تلك السنة بنى تراجيانوس مرسحاً في رومية بغية الاتساع أنيقاً مزخرفاً بأنواع الزينة يسع مائتين وستين ألف نفس.

سنة ١٢٠ ب.م: قام أدريانوس قيصر وأنشأ هيكل عظيمة لعبادة الزهرة، وأقام تمثلاً آخر لنفسه دعاه تمثال أدريانوس، أو قصر الملك الصالح، وفي ذلك العهد طرد من مملكته أبولودوروس Apollodore الحفار الشهير لكونه قال له حقيقةً كان يود إخفاءها، وكان لهذا القيصر همة لا تعرف الكل، ولا يعروها المل، فكان دائمـاً

إنشاء المعالم والقصور والبنيات الأنيقة والهياكل الضخمة الفخيمة، فكان يزور ولاياته والمالك الرومانية ويأمر بتشييد الأماكن العمومية التي تعود بالنفع على العباد والبلاد، فأقام في بريطانيا سوراً منيعاً يمتد من تينا Tyne حتى خليج سلواي Solway ليقي البلاد شر هجمات أعدائهم الاسكتوسيين الذين كانوا دائماً في حرب مستمرة، وكثيراً ما كانوا يشنون الغارة ويعيثون في الأرض فساداً، وتم في إسبانيا بناء الهياكل العظيمة التي بدأها أوغسطوس قيصر، وأنشأ في أفريقيا هياكل كثيرة في البقعة القائمة عليها الآن تونس والجزائر، وحفظت آسيا له ذكرًا جميلاً لكثرة المباني الأنيقة التي أقامها فيها. ووجه اهتمامه إلى اليونان خصوصاً، وجعلها بمدة وجيزة زاهية زاهرة، ومن جملة الهياكل التي شيدتها هناك هيكل المشتري، وفيه مائة واثنان وعشرون عموداً.

سنة ١٣٠ ب.م: وبعد سقوط الجمهورية الرومانية بدأت كل الجمعيات التي أقامها نوما بومبيليوس تتأخر شيئاً فشيئاً إلى أن تبيد وتضمحل؛ وذلك لظلم الحكماء وضغطهم عليها. وكانت طائفة البنائين قد أخذت تتقهقر كغيرها من الجمعيات فكان القياصرة تراجيانوس وأدريانوس وغيرهما لجموها بشكيمة الظلم والاستبداد وأخروا أعمالها كثيراً، ولكن حب المجد والفخامة غلب عليهم وأجبرهم أن يتركوا هذه الطائفة و شأنها تفعل ما تريده لعلمهم الأكيد أن لا قوام لهم وللمملكة إن لم يكن فيها مثل هذه الجمعية العظيمة الشأن.

سنة ١٤٠ ب.م: قام **البناؤون** في عهد أنطونيوس قيصر ببناء هيكل مارس إله الحرب وأمرهم هذا القيصر بإنشاء حصن آخر في بريطانيا، إذرأى الأول غير كافٍ لأن يمنع عن تلك البلاد هجمات أعدائها الثائرين، وكان بناء هذا السور المنيع الذي وصل فورت بكيل Clyde يستوجب مشاركة الأهلين في بنائه أيضاً، إذ لم يكن عدد البنائين ليكفي هذا العمل العظيم فانتظم كثيرون من الأهالي في سلك هذه الجمعية وأخذوا أسرارها وتلقنوا تعاليمها. وامتاز ملك أنطونيوس قيصر عن غيره بإنشاء البنيات العظيمة أهمها في هليوبوليس، وهي بعلبك التي لا تزال آثارها بسورية حتى الآن تدلنا صريحاً على ما كان عليه البناؤون من العظمة والصولة، وقد خصص هذان الهيكلان بعبادة الشمس، والذي يدخل القلعة الآن يرى هيكلها أشبه بالحافل الماسونية الرمزية.

انتشار المسيحيين واضطهادهم

سنة ١٦٦ ب.م: وفي ذلك العهد كثُر عدد البنائين كثيراً وانتظم في سلك الجمعية المشار إليها عدد من السراة والأسراف، واعتنق معظم هذه الجماعات الديانة المسيحية التي امتدت امتداداً عظيماً، فقد القىصر ماركوس أورالوس حقداً شديداً، وعزم على إبادة هذه الديانة الحديثة العهد بأي واسطة كانت فلم يأْلَ جهداً في استنباط أسباب العذاب والاضطهاد الشديد الذي يجعل المسيحيين يجتبيونه وتفرز قلوبهم منه فيتركون هذه الديانة الحديثة ويرجعون إلى عبادة الأصنام ويعودون في أوهامهم يعمهون، ولكن هؤلاء الأقوام كانوا من الذين فعلت فيهم النعمة فعلاها الحسن ففضل بعضهم الموت على الحياة أو يعيش شريفاً عزيزاً، فهذا مات شهيداً وغيرهم جبن عن اقتحام الموت، ولم يرد أن يبيع دينه بدنياه فضحى لذلك راحته وهجر بلاده ولجا إلى بريطانيا، حيث لقي أمّا حريراً.

فكان البناءون الذين بقوا في رومية يجتمعون فرقاً ويدخلون الأسراي والمغایر والكهوف، حيث يختبئون من عذاب محظوظ وموت مقرر يتممون واجبات ديانتهم في تلك الأماكن المظلمة الحقيرة ويبثون بعضهم البعض روح المحبة والصبر على الشدائـد.

ولبث حكم ماركوس أورالوس عشر سنوات ذاق المسيحيون في خلالها الموت الرؤام فكانوا يقادون أسراباً إلى محل النطع والهلاك، وبعد أن يتکبدوا مرّ العذاب كانوا يعدمون بلا شفقة ولا حنان.

سنة ١٨٠ ب.م: قام الإمبراطور تيطيس قيمراً على الرومانيين، فأمر بإنشاء بعض هياكل ومعالم، وأقام عموداً وسط رومية إكراماً لأسلافه ماركوس أورالوس وأنطونينوس (ويدعى هذا العمود عمود أنطونينوس).

وجدد هذا القىصر العذاب والاضطهاد الذي كان أثاره ماركوس أورالوس على المسيحيين فهرب كثيرون من الذين بقوا في رومية ولجئوا إلى الشرق، ولم يكن في رومية إلا عدد قليل جداً من البنائين الذين لم يتركوا عبادة أصنامهم، وهكذا أخذت الماسونية تنحط شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت إلى دركات الذل.

سنة ١٩٣ ب.م: تقلد إسكندر سيفير Alexandre Sévère زمام السلطة الرومانية، وكان هذا القيس من القوم الفضلاء الذين يفضلون مصلحة بلادهم على نفعهم الخاص، ولم يكن من الذين أعماهم الغرض، ورأى بعين الحكمة أن لا قوام لملكه إن لم يكن معززاً بالبنائين، فأعطاهم حقوقاً جمة ومنحهم امتيازات كثيرة، فعادت إلى رومية عظمتها الأولى، وتجدد بناء الهياكل بنشاط عظيم، ورام هذا القيس إنشاء هيكل للمسيح الذي كان يعتقد بقدرته الإلهية، ولكنه أحجم عن هذا العمل لما لقي من العقبات التي أبدأها له وزراؤه وعظماء مملكته، وقالوا: إن الهياكل الأخرى تمّس فلا يعود أحد يدخلها بعد ذلك.

سنة ٢٠٠ ب.م: سعى إسكندر سيفير فبني سوراً جديداً في شمالي السور القديم وقايةً لأملاكه فيها، ولكن البنائين الرومانيين لم يكونوا كفؤاً لإتمامه لقلة عددهم فاضطروا إلى التسلیم بإنشاء أخوية بريطانية من أبناء تلك البلاد، وجعلوا لهم امتيازات حقوقاً كما كان لهم.

سنة ٢١١ ب.م: زها ملك القيسار كاراكلا بإنشاء هياكل كثيرة أعظمها هيكل منيرفا إلهة الحكم.

سنة ٢٣٥ ب.م: تسلّط مكسيميانيوس قيسراً على المملكة، فعزز الماسونية ومنحها حمايته الخاصة وأمر بإنشاء معابد وهياكل كثيرة ومحلات عمومية، فصارت رومية بعد زمن يسير غاية في الرونق والجمال، ولم يكن يألو جهداً في عمل ما يعود نفعه على العباد والبلاد.

سنة ٢٥٠ ب.م: عادت الماسونية إلى الانحطاط لتجريد القياصرة ديسيوس وفاليريوس سيف الأضطهاد على المسيحيين اضطهاداً أగّبرهم على الهجرة ثانيةً فتفرقّت مدارس البنائين وتشتّت شمال إخوتها الذين قبلوا الديانة المسيحية الآمرة بالخير والمحبة الأخوية، والتّجأ هؤلاء إلى أقطار عديدة، فمنهم من ذهب إلى غاليا، وأخرون إلى بريطانيا، حيث ذاقوا حلاوة العيش وصفاء الحياة، إذ كان فيها عدد عديد من البنائين النشيطين.

سنة ٢٦٠ ب.م: أنشأ البناءون جمعيات دعواها جمعيات الصنائع والفنون، وهي فرع من جمعيّتهم الأصلية.

سنة ٢٧٠ ب.م: اعتنق معظم الإخوة **البنائين** الذين في غاليا وبريطانيا الديانة المسيحية، واهتموا بتشييد الكنائس والمعابد التي أنشأها الوعاظون والرسل الذين جاءوا من رومية سنة ٢٥٧، فأقاموا في إيمان وبوفي وسواسون وريمس وباريس كأساقفة مرسلين ليبشروا العالم بهذه الديانة الشريفة.

بناء تَدْمُر

سنة ١٧٥ ب.م: اشتهرت الماسونية في ذلك العهد ببناء هياكل عظيمة في مدينة بالمير بسوريا (وهي تَدْمُر الحالية) ففاقت بعظمتها وفخامتها هياكل بعلبك، وكان أعظمها ذا أربعينائة وأربعة وستين عموداً أكثرها من قطعة واحدة هائلة، وكان عدد هذه العواميد التي قام عليها الهيكلان ألفاً وأربعينائة وخمسين عموداً. وانتهز القيسار أورليانوس زمان السلم ليعزز البنائين بقوته ويعينهم امتيازاتهم القديمة، وكان يعين على أعمالهم المهندسين كليودوماس Cléodomas، وأتيناكوس Athénacus، وهما تلميذان تدرجاً في مدارس بيزنطية العظيمة.

سنة ٢٨٠ ب.م: أرسل القيسar ديوكتيانيوس واستدعى البنائين الذين في بريطانيا ليشيدوا المباني الفخيمة التي عزم على إنشائها في غاليا.

أول دعوة البنائين أحراً

سنة ٢٨٧ ب.م: قام كاروسيوس وهو قائد الأسطول الروماني وشق عصا الطاعة وسار نحو بريطانيا، ودعا نفسه إمبراطوراً عليها، ولكي يكتسب رضا الشعب ويحرز ثقته تزلف إلى الفتنة الغالية، وهي طائفة البنائين ومنهم في مدينة فيرولام (سان ألبان) مقر حكومته كل الامتيازات التي كان منحهم إليها نوما بومبيليوس الواضع الأول لمدارس البنائين سنة ٧١٥ ق.م. ومن ذلك العهد؛ أي من سنة ٢٩٠ ب.م صاروا يدعون البنائين أحراً Free Masons ليفرقوهم عن الفتنة الأخرى.

أول شهيد ماسوني

سنة ٢٩٣ ب.م: كان «البانوس Albanus» كاهنًا ومهندساً ونقاشاً رومانيًا، وصار مفتشاً للبنائين سنة ٢٩٢، ثم صار أستاذًا أعظم للماسونية البريطانية وسفيراً أمام كاروسيوس، واعتنق الديانة المسيحية حين منحت للبنائين امتيازاتهم القديمة، فقام مبشرًا يدعو الأمم للدخول في هذه الديانة الشريفة وهزته حميته ورغبته ومحبته في الدين أن يذهب ويبشر الإمبراطور نفسه الذي ثار عليه حنقًا، وأمر بإعدامه قتلاً بالسيف فقط، وكان هذا الأستاذ الأعظم للماسونية أول شهيد قضى في بريطانيا ظلماً محبةً في الدين.

سنة ٢٦٩ ب.م: اقترب الأسطول الروماني من بريطانيا مقللاً قسطنطين نائب الإمبراطور فثار أشياع كاروسيوس عليه وقتلوا ونصبوا قسطنطين إمبراطوراً عليهم فاختار هذا مدينة أبيوراكوم (يورك) عاصمة له ومقرًا لحكومته.

سنة ٣٠٠ ب.م: في تلك السنة زهرت صناعة البناء في رومية وأزهرت حتى عُدَّ فيها خمسمائة هيكل وسبعة وثلاثون باباً لها وستة جسور وسبعة عشر مرسحاً وأربعية عشر حاجزاً وخمسة تماثلات أقيمت تذكاراً لمن اشتهر من رجال الرومان العظام وقياصرتها، وكل هذه البناءيات أقيمت بهمة طائفة البنائين ونشاطها، واشتهر في هذه السنة كلودوماس الناقد البيزنطي في رومية بأعماله وإتقانه.

اضطهاد المسيحيين

سنة ٣٠٣ ب.م: تسلط القيصر ديوكتيانوس على رومية وازدادت في أيامه البناءيات واتسع نطاق البناء فيها، ولكن اشتهر بظلمه واضطهاده للمسيحيين اضطهاداً شديداً اضطربهم للمهاجرة إلى الأقطار البعيدة ليخلصوا من ظلم هذا الحاكم المستبد، ولكن أحكماته كانت صارمة جداً حتى اضطر حاكم بريطانيا رغمًا عن حلمه ومحبته للمسيحيين أن يثير عليهم عواصف الاضطهاد، فاضطروا للمهاجرة إلى اسكتلندا وهي قريبة منهم، وأدخلوا إلى تلك البلاد النصرانية وعلم البناء. وهم الذين أقاموا فيها تلك البناءيات الهائلة الضخمة القائمة حتى الآن تسخر بعواصف الأرياح، فلا ينالها نائلة، وهي بمعزل عن طوارق الأيام وتولي الحدثان؛ بنايات تدلنا صريحةً على

ما كان عليه هؤلاء الجهابذة من التقدم والفلاح في معارج الفضل والنجاح، وبقي من البناءين في رومية عدد قليل جدًا من الذين لبثوا في جهالتهم ولم يعتنقا الديانة المسيحية فأخذ البناء في رومية يسير القهقرى، ولم ينشأ في ذلك العهد شيء يستحق الذكر.

سنة ٣٠١ ب.م: اشتهر أتانيوس النقاش البيزنطي في رومية بجليل أعماله.

قسطنطين الكبير والمسيحيون

سنة ٣١٣ ب.م: هدأ الأضطهاد على المسيحيين وعادت إليهم أمنيتهم وراحتهم بأوامر قسطنطين الكبير الذي أصدر أمراً بجعل الديانة المسيحية ديانة المملكة العمومية، ومن لم يقبلها تتزع عنه الحقوق الرومانية، ويُعد كأجنبي في البلاد.

سنة ٣٢٣ ب.م: أنشأوا أول كنيسة في لاتران.

سنة ٣٢٥ ب.م: صادق مجمع نيقية المنعقد هذه السنة على جعل الديانة المسيحية ديانة المملكة، كما أمر قسطنطين ببدأت المسؤولية تزداد رفعة يوماً عن يوم والشعوب تقاطر إلى الانتظام في عقدها الثمين.

وإذ رأى مسيحيو رومية ذواتهم آمنين، ولم يعد ثم شيء يروعهم أو يثير قلتهم؛ لأن الملك نفسه كان معتقداً ديانتهم مجاهرًا بنفسه حاميًا لهم بعد الله عظيمًا نشطوا من عقال خمولهم وشمروا عن ساعد جدهم واجتهادهم بهمة شماء لا تعرف الملل ولا يعروها الكل لبناء الكنائس، وفي مدة وجيزة حولوا كل الهياكل الوثنية إلى كنائس أنيقة، وأقام الملك قسطنطين الكبير كنيسة في الفاتيكان خصصها باسم القديس بولس تذكاريًا لنصره المجيد على مكسانتيوس والأعجوبة الفائقة التي ظهرت له، وفي تلك السنة أقام الشعب تمثالاً لإكرام هذا الملك العظيم الشأن.

سنة ٣٣٠ ب.م: جعل هذا الملك الذي اعتاد المسيحيون على تلقّيه بالكبير والعظيم البيزنطية مركزاً لملكه ودعاهما القسطنطينية باسمه فتألبت المسؤولية في أيامه شديداً لإنجاز الأعمال العظيمة التي عزم على إنشائها، وكانت كنيسة أوجيا صوفيا التي أمر بإنشائها سنة ٣٢٦ أول كنيسة بُنيت في القسطنطينية وأنشئت مدرسة أخرى لطائفة البناءين وامتزج الخط الروماني واليوناني بالخط العربي، ونشأ عن هذا الامتزاج الخط البيزنطي الذي لم يظهر بكل أبهة وعظمة قبل الجيل الثامن.

وكان هذا الملك الذي اعتنق النصرانية قد أمر أن يُتَّخذ علامة الصليب شعاراً للكنيسة وعلامةً فارقة للألوية التي تقدم جيشه، ولكي يزيّن عاصمتها الجديدة أرسل فاستجلب من رومية وأثينا ورودس وصاقس وقبرس وسسيليا وإيطاليا كل ما فيها من الآثارات الجميلة والزخارف البدعة الصنع، وهذه كلها أدخلها إلى مملكته لتبقى فيها بعد ذلك لا ينazuها منازع ولا يعارضها معارض.

وكان البناءُون المسيحيون الذين هربوا من الاضطهاد ولجئوا إلى سوريا والبلاد العربية يشيدون الكنائس إتماماً للأوامر المعطاة لهم من قسطنطين الملك. وفي زمن وجيز أصبحت أورشليم وبعلبك وببيت لحم وأنطاكية أماكن تضرب بعظمتها الأمثال لكثرة ما شيد فيها من البيع والكنائس وُشيدت كنيسة القبر المقدس في أورشليم بذلك الوقت.

سنة ٣٤٠ ب.م: ازدادت الماسونية رفعاً وإعزازاً في البيزنطية (القسطنطينية) التي أصبحت مهدًا لها ومحطاً لرحلاتها، ولم تمض على هذه المدينة عشر سنوات وهي عاصمة البلاد حتى شيد داخل أسوارها ثلاثة وعشرون كنيسة عظيمة عدا الكنائس الصغيرة.

تشتت الماسون

سنة ٣٥٥ ب.م: حكم الإمبراطور جوليانوس على غاليا فأمر بتشييد هيكل عظيم في باريزي التي جعلها عاصمة بلاد غاليا ودعاعها بارييس، وذلك بعد انتصاره على الفرنك وأمر بتشييد كنائس عديدة مكان الهياكل الوثنية.

سنة ٣٨٠ ب.م: كانت البلاد عرضة لهجمات الأعداء الجermanيين الذين كانوا يهددونها من كل جهة ومكان، فتفرق الماسونية وطراً عليها عامل التشتيت فلجلأت إلى الأديرة لتنجو من ال�لاك المحيق الذي كان يهددها، وهناك أخذ عنها الرهبان أسرارها وحفظوها عندهم طويلاً.

سنة ٤١٠ ب.م: ظل الاسكتسيون يهددون الرومانيين في أملاكهم البريطانية ويشنون الغارة عليهم من يوم إلى آخر فيهدمون العاقل والمحصنون والبناءُون يشيدونها، ولكن عددهم لم يكن كافياً ليりد هجمات الأعداء العدودين فارتأى الرومانيون أن يتخلوا تماماً عن تلك البلاد ويخلونها وشأنها وهكذا فعلوا.

الماسونية العملية من السنة الأولى المسيحية إلى الألف بعد المسيح

وإذ رأى البناءُون أنفسهم وحيدين لا دولة لهم تحميهم ويتمتعون بامتيازاتهم هاجروا إلى بلاد الغال واسكتسيا وأدخلوا إليها الديانة المسيحية وعلم البناء محفظين تمام المحافظة على التقاليد القديمة التي تلقنوها، والتي عليها تأسست محافلتهم.

مساعدة الباباوات للماسون

سنة ٤٣٠ ب.م: فرغماً عن المساعدات العديدة التي أحرزتها الماسونية وع ضد الباباوات لها لم تعد تظهر كالأول في مظاهر عظمتها؛ إذ إن هجمات البرابرة، والذين عاثوا في إيطاليا فساداً أبدلوا عظمة رومية وحسن رونقها بالهوان.

ولكن لكثرة ما اجتهد الباباوات في هذا الأمر واهتموا بهذا الشأن أخذت تسير إلى الأمام شيئاً فشيئاً، وهدمت الهياكل الوثنية الأئية وأخذت منها زخارفها، وشيدت بها كنائس لعبادة المسيحيين.

البرابرة وromية والماسون

سنة ٤٥٥ ب.م: هاجم البرابرة رومية ثانية تحت قيادة جانسيريك Genseric وهدموا كل ما فيها من المباني العمومية الجميلة، وهذا العمل أضرّ بالماسونية كثيراً، ولم تنشأ بناية جديدة في تلك البلاد مدة مديدة.

سنة ٤٧٦ ب.م: هاجم البرابرة رومية للمرة السادسة في قرن واحد، وكانت مهاجمتهم الأولى تحت قيادة الإريك سنة ٤١٠ وجنسيريك سنة ٤٥٥، وهذه السادسة بقيادة أدوacker Odoacre، وكانت هذه أشد الضربات وأثقلها على البلاد الرومانية، فهدمت الهياكل ودمرت البلدان، وتشتت جماعات البُنائين، وزُرِّئت البلاد رزءاً عظيماً. ورأى البناءُون هذا البلاء فاجتنبوه كي لا تدرس صناعتهم الشريفة فهاجروا إلى أربعة أقطار العالم فساروا إلى اليونان ومصر وسوريا، حيث شادوا الأماكن العظيمة والمياكل الأئية.

سنة ٥٠٠ ب.م: ولبثت الماسونية في رومية خاملة حتى هذا العهد ظهر بعض شتات من تلك الجمعيات العظيمة فشمروا عن ساعد جدهم واجتهادهم وتآلبوها يدًا واحدة

واعتصبوا فكراً واحداً ليعدوا لل MASONIّة شرفها الأول وعظمتها الأولى، فشيدوا الهياكل وبنوا بعض كنائس عظيمة.

هم الماسونيّين

سنة ٤٥٢ ب.م: اقتدت غالباً برومية وقام البناءُون فيها بهمة شماء وهدموا الهياكل الوثنية التي لبّثت قائمة، رغمَّا عن هجمات الأعداء، وشيدوا مكانها كنائس عظيمة جدًا. وفي زمن تسلط شيلديريك من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٤٨١ وكلوفيس من سنة ٤٨١ إلى سنة ٥١١، وكلوتير من سنة ٥١١ إلى سنة ٥٦١ ظهرت MASONIّة بأبهى حل جلالها وجمالها، وأُعيدت لها كل الامتيازات والحقوق الرومانية التي كان نوماً بومبليوس قد منحها إليها.

الماسون في الشرق

سنة ٤٥٣ ب.م: تقدّمت MASONIّة في سوريا تقدماً عظيماً، فأقيمت المدن والهياكل والمباني العمومية الكثيرة، واستدعت الدولة الساسانية التي كانت مالكة إند ذاك على الفرس هؤلاء الجهابذة إلى بلادها ليشيدوا معالمها ويقيموا حصونها وقلاعها وبينوا هياكلها ومعابدها، وامتزج هناك الخط اللاتيني والبيزنطي بالخط الفارسي وأصبحت MASONIّة على درجة من العظمة لا تنازع.

اشتهر المهندس النقاش أنتيموزيوس والنقاش أيزيدور دي ميلي في هندسة ونقش كنيسة أجيا صوفيا في القسطنطينية وهي الكنيسة العظيمة التي كان قد بناها قسطنطين سنة ٣٢٦ كما تقدم.

بعد احتراق كنيسة أجيا صوفيا التي كان أنشأها قسطنطين الكبير قام القيصر بويستينيانوس الأول وأمر البناءين بتشييدها ثانيةً، وكان عدد الذين اشتغلوا بهذا البناء العظيم مائة أستاذ، ولكل أستاذ مائة تلميذ، وكان خمسة آلاف عامل يشتغلون في الجهة اليمنى وخمسة آلاف في الجهة اليسرى، وانتهت بعد ستة عشر عاماً من بدء العمل بها، وحين نجز بناؤها ضحى الملك ألف ثور وعشرة آلاف كيل وستمائة غزال وألف خنزير وعشرين ألف دجاجة وثلاثين ألف كيل حنطة وُزّعت هذه كلها على الفقراء. وإذا كان قد صرف على بنائها مبالغ طائلة التزم أن يجعل ضرائب على

الماسونية العملية من السنة الأولى المسيحية إلى الألف بعد المسيح

الشعب ليخفف أثقال المحن التي ألمت به لهذا السبب، وكان كما قيل قد صرف ٤٥٢ قنطاراً ذهباً، ولم تعلُ هذه البناء الجسيمة سوى بضعة أمتار فقط. وعندما افتتح محمد الثاني القسطنطيني حَوْلَ هذه الكنيسة إلى جامع، وهو أشهر الجوامع في البلاد الإسلامية من حيث العظمة والاتساع.

سنة ٥٥٧ ب.م: ذهب أوستين Austin وهو راهب من رهبان ماري مبارك إلى بريطانيا ليبشر الأنكلوساكسون ويدعوهم إلى الديانة المسيحية، وإن كان بارغاً في النقش رأس جماعة البنائين وحرّك فيهم عامل النشاط ونشر الماسونية من وھدة الخمول التي ألقها فيها الحروب الأخيرة.

سنة ٥٨٠ ب.م: كانت الجمعيات الماسونية في بريطانيا قليلة العدد لا تفي بالملحوظ منها من إنشاء المباني العظيمة، فكان الكهنة يذهبون من يوم إلى آخر قاصدين رومية بدعوى استجلاب الآثارات الثمينة منها، ولكنهم كانوا يقصدونها ليأتوا بالبنائين ليجعلوا بريطانيا زاهية زاهرة، وكان البعض الآخر الذين يرأسهم الأسقف ويرموث Wermuth، فذهبوا إلى غاليا واستصحبوا معهم عدداً غفيراً أحلوهم بريطانيا.

سنة ٦٠٠ ب.م: أُنشئت كاتدرائية كنتربري وبعدها بستين؛ أي سنة ٦٠٢، أقيمت كاتدرائية رووستر المشهورتان في إنكلترا.

سنة ٦٠٤ ب.م: شُيِّدت كاتدرائية ماري بولس سنة ٦٠٤ في لوندرا وكاتدرائية سان جان دي ونشستر سنة ٦٠٥.

الماسونية والرهبان

سنة ٦١٠ ب.م: توفي أوستين الأستاذ الماسوني الشهير الذي سُمي بعد قديساً باسم أوغسطينوس.

سنة ٦١١ ب.م: اشتهر بنت كاهن ويرال مفتاح البنائين العام.

سنة ٦٢٠ ب.م: تحوَّرت الماسونية بما كانت عليه قبلًا، ولكنها لبَّثت محافظة على قواعدها وشرائعها الأصلية، فكانوا يدعونهم في إيطاليا مدارس البنائين أو النقاشين، وفي غاليا إخوة بنائين، وفي بريطانيا بنائين أحجاراً؛ نظرًا للامتيازات التي أحرزوها، وكانت كل هذه الجمعيات مرئوسه من أستاذ أعظم ورؤساء، وكانوا يدعون الرئيس

المحترم، وكان هذا تارةً كاهاً فيدعى إذ ذاك الأب الرئيس المحترم، وأخرى غيره فيدعى الرئيس المحترم.

سنة ٦٦٠ ب.م: فكانت الماسونية كل مرة ترى ذاتها مهددة من الاضطهادات أو الحروب الوطنية تجأً إلى الأديرة، حيث تحتمي وتري ملجاً أميناً وحرزاً حريزاً، وكان الرهبان رأوا فضل هذه الجمعية وعظم تعاليمها فانتظموا بأجمعهم في سلوكها، وأقبلوا على درسها والتمعن بها حتى إنهم بمدة وجيزة نبغوا فيها وصاروا آية في التفنن الذي يبهر العقول. وقد نشأ من هؤلاء رجال عظام كالقديس إلوا Eloi أسقف نوايون سنة ٦٥٩ ب.م والقديس فيرون النقاش أسقف ليماوج Férol Limoges، والقديس دمالك النقاش أسقف رويس واغر يقولا النقاش أسقف شالون من سنة ٦٨٠ إلى سنة ٧٠٠ ب.م، وغيرهم من الجهابذة العظام الذين شادوا البناء الضخمة في غاليا وبريطانيا.

سنة ٦٨٠ ب.م: أمست الماسونية في بريطانيا بعد وفاة أوستين بلا رئيس لها، وكان كنرد ملك موريسيانا حامي البنائين في بريطانيا ينشطها كثيراً لتقوى وتصبح على درجة عظيمة من الفخر والصولة، فعين الأب بنت أسقف ويرال مفتشاً عاماً للماسونية ومديراً لأعمالها، ولكنها مع ذلك لبثت في تأخر نحو جيل.

سنة ٦٨٥ ب.م: أحرز البناءون الذين هاجروا رومية وأتوا إلى الشرق واستوطنوا القسطنطينية شهرة عظيمة، فكانوا يستدعونهم إلى كل الجهات من الفرس وببلاد العرب وسوريا، حتى إن الخليفة الوليد بن عبد الملك استدعى قسماً منهم ليبنيوا له جوامع في المدينة ودمشق وأورشليم.

نجاح الماسونية في بريطانيا

سنة ٧٠٠ ب.م: وصلت الماسونية في بريطانيا إلى درجة من الكمال رفيعة، فكانوا يشيدون الكنائس على نمط اسكتوسيا المنبع وفضل قسم منها تخصيص نفسه لدرس البناء الاسكتلندي وتحسينه ورأوا وجوب الاجتماع في محل خاص بهم ليمارسوا هذه المهمة فاختاروا لذلك وادي غلانبيك في شرق اسكتوسيا الشمالي المقابل لجزيرة سكاي، وهناك كانوا يتلقونون ويقررون ما يجب إجراؤه.

الماسونية العملية من السنة الأولى المسيحية إلى الألف بعد المسيح

سنة ٧٢٠ ب.م: أوقفت هجمات العرب طويلاً **الماسونية** عن التقدم في غاليا، وبقيت هكذا لا تأتي بشيء يذكر حتى أواسط هذا القرن.

سنة ٧٤٠ ب.م: طلب ملوك الساكسون من شارل مارتل ملك غاليا إرسال بنائين إلى بريطانيا لينظروا في تقدم هذه الصناعة هناك.

الماسونية في البلاد العربية

سنة ٧٥٠ ب.م: أزهرت **الماسونية** في بغداد كثيراً أيام سلطان الخلفاء العباسيين، فكانت بلاد العرب مظهر التمدن ومهد العلوم ومحط الصنائع والفنون، وبعد سقوط القياصرة من الغرب انتقل البناءون إلى سوريا ولبلاد العرب، وساعدوا كثيراً بصناعتهم وعلومهم على تقدم **الماسونية** في بلاد العرب.

سنة ٧٧٥ ب.م: دخلت البناءية العربية إلى إسبانيا في عهد الخلفاء الأمويين، فكانت البناءيات تشييد تحت مراقبة الجمعيات **الماسونية** واستدعي الخلفاء كثيراً من البناءين من بغداد وأحلوهم كوردو التي بناها الرومان سنة ٢٥٢ ق.م فأنشئوا بنايات عظيمة وبلدان كثيرة وجامعات أنيقة كلها على النمط البيزنطي، واشتهرت قرطبة في ذلك الزمان بصناعتها وعلومها وتقدم البناء فيها فقصدتها البناءون من سائر أنحاء العالم.

وإذا كانت أعمال هذه الجمعية وأسرارها مجھولة التزمرت أن تحور قليلاً من قوانينها وشرائعها قبل أن تمتد في البلاد لتوافق طبائع الأهالي وأرائهم، وكان المسلمون في ذلك العهد ذوي سطوة عظيمة، وكان تقدمهم في التمدن والحضارة عظيماً لا ينافى، وانضمَّ كثيرون منهم إلى البناءين.

وفي زمن تسلط عبد الرحمن الأول الذي اشتهر بغناه المفرط ومحبته للعلوم والصناعات كانت إسبانيا التي دُعيَت من ذلك العهد أندلسًا زاهية زاهية بعلماءً وأعلام، وأصبحت كوردو محطة رحال علم البناء، فكان يتقاطر إليها الطلبة من أربعة أقطار العالم ليقتبسوا من سناتها ويتدربوا على النمط الأندلسي الذي أنشأ في ذلك العهد.

الماسونية في فرنسا وبريطانيا

سنة ٧٨٠ ب.م: عادت الماسونية فأزهرت في فرنسا أيام تملّك عليها شارلaman الذي عُرفت محبته للعلوم وتنشيطه للصناعات والفنون واستدعي من لومبارديا كثيراً من البنائين الذين دعوا ناحتي الحجارة.

الفرد الكبير

سنة ٨٧٥ ب.م: تملّك على بريطانيا أشهر ملوك السكسونيّين، وهو الفرد الكبير أو الأعظم فامتدت الماسونية في أيامه امتداداً عظيماً، وأنشئت الكنائس والقصور والمعلم والحسون، ورممت المباني القديمة التي كان حرقها الدانوان Danois في حربهم مع السكسونيّين، ودُعي الفرد الكبير حامي الماسونية في بريطانيا.

ولد الفرد الأعظم سنة ٨٤٩ مسيحية، وجلس على كرسي الملك سنة ٨٧١، ولم يكن هو الوارث الحقيقي للملك، بل ابن أخيه أثولود الذي كان لا يزال حياً يرزق، وقد اختاره أعيان مملكته لاحتياجهم إليه في ذلك الزمان، فحارب الدنمارك بـراً وبـحراً وانتصر عليهم مراراً.

وكان ماسونياً عاملاً فاحشاً الصناعة وحصناً بلاده فبني فيها القلاع المنيعة واهتمَّ بالبنائين اهتماماً خصوصياً واعتنى بالمعارف فوضع للمدارس قوانين ونظمات وألف كتاباً متنوّعاً للتعليم وجعل بيته كمدرسة للاستفادة وفرض على أشراف وطنه وجوب تعليم أولادهم، وأسس مدرسة أكسفورد الشهيرة.

وكان يقسم يومه ثلاثة أقسام: الأول للصلة والمطالعة، والثاني للنظر في شئون مملكته، والثالث للنوم والراحة والطعام، وكان ينير الشمع فيحسب احتراق كل قيراط من الشمعة بعشرين دقيقة ويجري في عمله على هذا القياس، ووضع قانوناً بلاده بغاية الصرامة والعدل، ولم يسبقه إلى مثله أحد في ضبط الأرضي الإنكليزية وحافظ على السلام حتى اشتهرت أيامه بالأمن. ولقب بالكبير لعظمة أعماله، وتوفي في فارندون بولاية يوركشير ودفن في ونشستر (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصحون في مشاهير الماسون»).

وتولى بعد «الفرد الكبير» ابنه «إدوارد» الملقب بالأكبر، وذلك سنة ٩٠١، وهو أول من دُعي ملك إنكلترا، وكان يدعى نفسه أحد ملوك سكسونيا الغربية، وقد

أسس مدرسة كمبردج الجامعية وخلف أولاً كثرين. وبعد وفاته سنة ٩٢٥ تولى ابنه «أثلستان» الملك، وكان من مشاهير المasons، وقد ترجم الكتاب المقدس في أيامه وانتشرت الماسونية انتشاراً مهماً. انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصنون في مشاهير المasons».

سنة ٨٧٦ ب.م: اشتهر القديس سوينين الذي كان كاهناً ونقاشاً في بريطانيا ... إلخ.

سنة ٩٠٠ ب.م: سمي إثلورد Ethelward، وصهره إثرد Ethred اللذان نبغا في صناعة النقش مراقبين لطائفة البنائين.

انتشار الماسونية من بريطانيا في العالم

سنة ٩٢٥ ب.م: أخذت المدن البريطانية تنشئ كل واحدة محفلاً خاصاً لها، ولكن وجد رغماً من قوانينها وشرائطها القاضية عليها بالوفاق التام والاتحاد المكين والمحبة العظمى تراخٍ في هذه الأمور، ولم تعد العلاقة كال الأول متينة، وكان المسبب لهذا الانقسام الحروب الداخلية التي دامت خمسة أجيال، وقسمت المملكة البريطانية بسببها إلى أقسام جعل عليها ملوك مستقلون مما لا دخل لتفصيله في هذا الكتاب، وما أشرنا إليه إلا لسبب الخسائر الماسونية واحتراق أوراقها التي كانت محفوظة إلى ذلك العهد، وفي مدة ملك الفيرد الكبير الذي ذكرناه سابقاً، وابنه إدوارد الأكبر الذي عين أخيه إثلورد وزوج أخيه إثرد مراقبين للبنائين زهت الماسونية وتقدمت لأن إثلورد كان عالماً بارعاً ونقاشاً ماهراً، وهو الذي بمعرفته بُنيت كلية كمبردج وغيرها من المباني الفخيمة.

سنة ٩٢٤ ب.م: ولما توفي إدوارد سنة ٩٢٤ وتولى الملك بعده ابنه أثلستان سنة ٩٢٥ مسيحية كانت الماسونية قد انتشرت في سائر الأنحاء، فحافظ أثلستان على مبادئها وجعل مركزها العمومي في مدينة يورك، وكان هذا الملك محبوباً من جميع رعاياه وموثقاً من كبارهم وصغارهم حتى كان للجميع على اختلاف طبقاتهم كأخت وصديق فجاءه أمراء المملكة ونواب الأمة والأمراء الموالون له من أوروبا كلها بالهدايا الثمينة والتحف النفيسة علامة حبهم واحترامهم له فكانوا يفاخرون به وبآدابه وعدله وبره في رعيته والتاريخ الإنكليزي الماسوني يمدحه ويطنب في مدحه كل الإطناب، وفي تلك الأثناء أدخل أخاه أدون في الماسونية.

أثليستان وأخوه البرنس أدون^١ الأستاذ الأعظم

ولما كان أثليستان ملكاً، وكانت حقوق الملك تستدعيه إلى القيام بواجباته ووقته لا يسمح له بالاجتماع مع المasons كثيراً عين أخيه البرنس أدون رئيساً على المasons ورسم له الخطة التي ينبغي أن يسير بموجبها وأمره أن يعقد كل سنة اجتماعاً حافلاً في مدينة يورك، ودعا المحفل الماسوني هناك المحفل الأعظم الذي يحمي بقية المحافل الماسونية التابعة له.

سنة ٩٢٩ ب.م: في هذه السنة انتخب البناءون البرنس أدون رئيساً للمحفل الأعظم نظراً لأهليته ول谊اقته وما نظروا فيه من حُسن الشمائل ومحمي الخصال، فبذل غاية جهده لإنجاح الماسونية وشغل كثيرين ببناء الكنائس والمعابد وترميم المباني التي خربت أثناء الحروب مع الدانين وغيرهم من الأمم المتواحشة ووالى الاجتماع مع المasons، فأزهرت الجمعية في أيامه.

واستدعي أدون سائر رؤساء المحافل المعروفة في ذلك الزمان إلى مدينة يورك وعقد مجمعاً ناب فيه كل رئيس عن محفله وقدم له أوراق كثيرة وبقايا عن الماسونية باللاتينية واليونانية ولغات أخرى مختلفة، وبحث الإخوان الموجودون في ذلك المجمع عن الماسونية وما هي ومتاريخها، وتناقشوا في توحيدها وقرعوا الأوراق التي لديهم كلها فاستخلصوا منها شرائع وقوانين ماسونية أساسية سموها «لائحة يورك»، كما ترى في [الباب الأول، الفصل السادس] من هذا الكتاب، وتعهدوا بعضهم لبعض بحفظها والسير بموجبها (اقرأ ترجمة أثليستان وأدون في كتابنا «الجوهر المصنون في مشاهير المasons»).

سنة ٩٣٠ ب.م: بعد تنازل كونراد ملك جermania عن الملك لخصمه هنري الأول الذي كان أميراً لساكسونيا وصار ملكاً على جermania طلب هنري جماعة البناءين من بريطانيا ليبنيوا له الكنائس والأسوار والقلاع ونحوها، فساروا إلى هناك جماعة بعد

^١ ذكرنا في [الباب الأول، الفصل السادس] من هذا الكتاب أن المجمع الماسوني العام انعقد سنة ٩٢٦، والصحيح سنة ٩٢٩، وقلنا: إنه كان برئاسة البرنس أدون ابن الملك أدلستون، والصواب أنه ابن إدوارد، وشقيق أثليستان وليس أدلستون ونفس هذا الغلط وقع في [الباب الأول، الفصل الثالث والفصل التاسع].

الماسونية العملية من السنة الأولى المسيحية إلى الألف بعد المسيح

أخرى على توالى الأيام والسنين وشيدوا كاتدرائية مكديورغ وميسين ومرسبورغ وغيرها.

قصر الحمراء بالأندلس

سنة ٩٣٦ ب.م: بدأ البناءون من العرب بإنشاء قصر الحمراء في الأندلس زمن تسلُّط الأمير عبد الرحمن، وكان هذا القصر أنيقاً عظيماً مشيداً على أربعة آلاف وثلاثمائة عمود من الرخام الثمين الناصع البياض، وقد استحضر عبد الرحمن أمهر البناءين من بغداد والقسطنطينية وباتحادهم مع بنائي بلاده أتموا بناء ذلك القصر الملكي الدال على مهارة البناءين وكَرَمِ الأمير.

سنة ٩٣٨ ب.م: في هذه السنة توفي البرنس أدُون الأستاذ الأعظم للماسون المذكور آنفًا، واختلف المؤرخون بسبب وفاته، فذكروا أموراً كثيرة بالإضراب عنها أولى من ذكرها؛ لأنها غير مثبتة ولا تصدق عن الشهم الفاضل الملك أثيلستان الذي اتُّهم بقتله لسماعه أنه تأمر على خلعه من الملك، ولا يُعقل أن أحدًا فاضلاً عالياً يأمر أتباعه أن يأخذوا أخيه بمركبٍ ويجهوه حتى من عزة نفسه يلقي ذاته في البحر فيموت غرقاً. والروايات الكثيرة التي ذُكرت عن موت هذا الفاضل وسيرة أثيلستان المبرورة تنفي هذه التهمة، وقد تبرأ صاحب التاريخ الماسوني الإنكليزي من تصديق هذا الخبر، ولام الذين دُونوه ونفاه، وقال: إنه ليس لدينا خبر أكيد ولا التواريُخ بيَّنت كيف مات أدُون، ولكننا نعلم أنه بعد وفاته عاد أثيلستان فتولى الرئاسة العظمى على الماسون مكان أخيه، وقد كان الحزن عاماً على أدُون اللطيف الهمام.

سنة ٩٤٠ ب.م: وفي أيام الملكة برتا Berthe ملكة برغونيا Bourgogne التي قصدت إحياء عالم بلادها وبنياتها بعد الحروب التي حصلت فيها استدعت من إنكلترا معلمين وصناع من المasons، وبأمرها برئاسة ماكتري رئيس الشغل الإسكتلندي الماهر بنوا كنائس وأديرة ومحلات من أعظم بناءات ذلك الزمان، وأكثر هذه الأعمال العظيمة كانت بإدارة الأب ماجولس دي كلوني Majolus de Cluny فشيَّد دار أسقفية وكنيسة البنيدكتن في بايرن Payerne، وفي هذا العهد انتشرت الماسونية من إنكلترا إلى بقية العالم، وكانوا يسمون أنفسهم إخوة ماري يوحنا.

سنة ٩٤١ ب.م: في ٢٥ أكتوبر (ت١) من هذه السنة توفي الملك أثلستان في غلوستر فحزنت الأمة عليه عموماً والبناؤون خصوصاً، وفي ترجمة حياته بكتابنا «الجوهر المason» الكفاية عنه. وبعد وفات أثلستان تشتت الماسون وأضطربت أحوالهم ولم يشتهر أحد سوى ماكنبri البناء الاسكوتسي والنقاش الماهر، وبقيت الماسونية متأخرة، وتولى الملك بعد أثلستان إدْمند بن إدُورْد الأَكْبَر سنة ٩٤١، وهذا حارب الدنماركيون، وانتصر عليهم وقتل سنة ٩٤٦ وهو يتعشى، فتولى الملك أخيه إدُورْد، وتوفي في ونشستر سنة ٩٥٥، وتولى مكانه أدوبي بن إدْمند حفيد أثلستان فثار أهل مُرسيا ونوثمبريا عليه (أدوبي) لسوء أدبه فأنزلوه عن الملك، وأقاموا مكانه أخيه إدُغر سنة ٩٥٨، ومات أدوبي حزناً سنة ٩٥٩.

سنة ٩٥٩ ب.م: اشتهر دونستان (القديس دونستان) رئيس أساقفة كنتربري الذي كان رئيساً أعظم للماسون، ومن بعد موت أثلستان إلى هذا التاريخ كانت الماسونية منحطة؛ لأنها لم تلقَ عضداً، ومع أن دونستان لم شعثهم وشغلهم في بناء بعض المعابد لم ينجحوا (انظر ترجمة دونستان بـ «الجوهر المason»).

سنة ٩٦٠ ب.م: هاجر كثيرون من الماسون إلى ألمانيا وغيرها ودعوا أنفسهم إخوة ماري يوحنا، وظلوا بهذا الاسم في ألمانيا.

سنة ٩٧٥ ب.م: وتوفي إدُغر سنة ٩٧٥ وبقيت الماسونية منحطة إلى أوائل الجيل العاشر.

الفصل الثالث

المسؤولية العملية من سنة ١٠٠١ إلى سنة ١٧١٧ بعد المسيح

عصر الظلمات

سنة ١٠٠١ ب.م: زعم الناس في هذا العصر أن الألف سنة المذكورة في الكتاب المقدس مضت، وأنه سيأتي المسيح الدجال، ويملك سنتين ونصف، فلا يسلم العالم من شروره فتهلك الدنيا بما فيها وينبعث الموتى من قبورهم ليحضرها يوم المشهد العظيم، فاضطربت الأحوال وتأخرت الأعمال واعتلى العالم الغربي خمول عظيم، فتفرقت الجمعيات وترك الناس الصنائع والفنون، ولم يعد أحد يهتم في بناء ليشيدها، وكانت البناءيات تتلاشى، وما من آسفٍ عليها يجدد بناءها، وتقهقرت أوروبا كلها وبقي البناءُون بلا عمل فوقعوا في الرزایا والضيقات.

وظللت بعض المدارس في لومبارديا وبافيا وكوم، كما كانت في السابق ولم تقرف من الطلاب، وكان العلماء الذين فيها يدرّسون الفلك والطبيعيات حتى نبغوا فيها، ولم يشاركو الشعب في أفكارهم وتخميناتهم، وكانوا يعلمون أسرارهم وتعاليمهم طالبي الانتظام في سلوكهم.

سنة ١٠٠٣ ب.م: هدأ الاضطراب في هذه السنة، وابتدا دور التمدن والحضارة في الغرب، وصار الناس يُقبلون أثوابًا للانضمام إلى جماعة البناءين، وزال ما ألم بالسيحيين من الخوف والرعشة، فعادوا إلى أعمالهم ساخرين بجبارتهم السابقة، وشمرروا عن ساعد الجد والاجتهاد لتعويض ما خسروه أثناء السنين الماضية. وسنة ١٠٠٥ جدد البناءُون بناء كل الكنائس والمعابد التي كانت من خشب فهموها وشيدوا مكانها غيرها ذات متنانة وفخامة.

الماسونية في لومبارديا

سنة ١٠١٠ م: وفي السنة الأولى والعشرة بعد المسيح كانت المدارس التي في لومبارديا لا تزال زاهرة، وكانت لومبارديا في ذلك العهد مهد التمدن ومركز الحضارة، ولبنت على ما كانت عليه رغمًا عن الحروب الداخلية والاضطرابات والقلق، ودامـت مدارس البنائين محافظة على تعاليمها وقوانينها واعتقاداتها واتخذـت لها اسم الجمعية الحرّة، فأـتـها عـدـد عـدـيد من الإـكـلـيـرـيوـس ليـدرـسـوا عـلـم الـبـنـاء وـيـتـضـلـعـوا فـيـهـ.

وكانت مدرسة كوم أـشـهـر هـذـه الـمـارـسـ وـأـعـظـمـهـا، وكان يـأـتـيـها الـبـنـائـونـ منـ سـائـرـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ، وـخـصـوصـاـ مـنـ إـسـبـانـياـ وـإـلـيـونـانـ لـاـكتـسـابـ أـشـيـاءـ جـدـيـدةـ مـنـهـاـ ماـ كانـ أـسـاتـذـتهاـ يـتـفـنـنـوـنـ بـهـ وـماـ اـسـتـنـبـطـوـهـ مـنـ النـوـعـ الـجـدـيـدـ الـذـيـ كـانـ فـيـ غـاـيـةـ مـنـ الـجـمـالـ، وـقـدـ سـمـوـهـ رـوـمـانـ Romanـ.

سنة ١٠٤٠ م: في هذه السنة امتدت الماسونية امتداداً عظيماً، وفي مدةٍ وجيدة ازدانت إيطاليا كلها ولوبارديا، خصوصاً بالكنائس والمعابد وغصنـتـ البـلـادـ بـجـمـاعـةـ الـبـنـائـينـ حـتـىـ ضـاقـتـ عـلـيـهـمـ بـمـاـ رـحـبـتـ فـتـأـبـلـوـيـدـاـ وـاحـدـةـ لـيـرـوـاـ إـلـىـ أـمـرـهـمـ مـصـيـرـاـ فـقـرـأـ رـأـيـهـمـ أـنـ يـتـفـرـقـوـاـ جـمـاعـاتـ إـلـىـ بـلـادـ أـخـرـىـ غـرـيـبـةـ يـبـثـوـنـ فـيـهـاـ رـوـحـ الـتـعـالـيمـ الـمـاسـوـنـيـةـ، وـاجـتـمـعـ جـمـاعـةـ كـبـرـىـ مـنـهـمـ، وـأـلـفـواـ جـمـعـيـةـ عـظـيـمـةـ لـيـذـهـبـوـ وـيـجـبـوـ الـعـالـمـ الـمـسيـحـيـ فـيـشـيـدـوـ الـكـنـائـسـ وـالـأـدـيرـةـ وـمـحـلـاتـ الـعـبـادـةـ، وـطـلـبـوـ مـنـ الـبـابـاـ أـنـ يـمـنـحـمـ اـمـتـيـازـهـمـ الـقـدـيـمـةـ وـيـسـاعـدـهـمـ عـلـىـ إـتـامـ هـذـاـ الـعـلـمـ الـمـجـيدـ، فـخـوـلـهـمـ مـاـ طـلـبـوـ وـزادـ عـلـيـهـ أـنـ خـصـصـهـمـ وـحـدـهـمـ بـبـنـاءـ الـكـنـائـسـ وـالـأـدـيرـةـ وـأـعـفـاهـمـ مـنـ الـضـرـائـبـ الـتـيـ كـانـتـ مـوـضـوعـةـ عـلـىـ الشـعـبـ وـحـفـظـتـ لـهـمـ هـذـهـ الـإـمـتـيـازـاتـ مـرـعـيـةـ الـجـانـبـ مـنـ جـمـيعـ الـشـعـوبـ وـسـائـرـ الـمـلـوـكـ.

الملك إدوارد المعترف Edward the Confessor

سنة ١٠٤٢ م: ولد هذا الملك سنة ٤١٠٠ م في أسلب كونتيه أكسفورد، وجلس على تخت الملك سنة ١٠٤٢، وتوفي في ٥ يناير سنة ١٠٦٦، وله ترجمة في كتابنا «الجوهر المصور في مشاهير المasons». وقد رأس الماسونية في أول ملكه فنبذ كثيراً مما لم ير له لزوماً في الجمعية، وأعاد لها رونقها فرمم كنيسة وستمنستر الشهيرة التي يتوج ملوك إنكلترا فيها الآن، وساعدـهـ لـفـرـيـكـ أـرـلـ أـفـ كـوفـنـتـريـ Leofrieq of Coventryـ.

في أعماله الماسونية فأقامه إدورد رئيساً أعظم على الماسون فأتمَّ هذا الأرل بنايات عديدة، وكان إدورد حامياً للماسونة كل تلك المدة.

سنة ١٠٦٠ ب.م: في هذه السنة تفرق البناءون من لومبارديا فذهبوا إلى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من البلدان والممالك، وبashروا أعمالهم فيها بالهمة والنشاط.

وليم الظافر William the Conqueror

سنة ١٠٦٦ ب.م: في سنة ١٠٢٧ ولد وليم الظافر، وهو أول ملوك الدولة النورماندية، وحكم سنة ١٠٦٦، ومات سنة ١١٠٧، وبعدما جلس على عرش الملك تتوج يوم عيد الميلاد في كنيسة سترنستون وعيّن غوندولف Gondulph النقاش الشهير أسفقاً على روشستر، وجعل رoger منغميري أرل أوف شروبوري أستاذًا أعظم للماسون فتقدمت في أيامهما الأعمال المدنية والحربيّة، واشتغل البناءون في قلعة لندن التي تمَّ بناؤها في أيام وليم روفس الذي جدّ جسر لندن بالخشب، وأقام قصر ودار سترنستون سنة ١٠٨٧.

وأمر وليم أن يهدموا الكنائس والمعابد القديمة ويشيدوا مكانها أخرى تكون أنيقة تفوق ما تقدمها وما عاصرها من البناءات في بريطانيا، وظهرت البلاد المسيحية في ذلك العهد بمظاهر واحدة من حب التقدم والعمان.

سنة ١٠٨٠ ب.م: واشتهر في هذه السنة بيشيت نقاش كاتدرائية بيز، وفي هذه السنة دخلت طائفة من البناءين بلاد البلجيك واستوطنوها وأقاموا بها معابد وكنائس كثيرة. وأراد لفيفك أسقف دونرشت أن يبني في بلاده كاتدرائية عظيمة فطلب من النقاش البارع بيل الهولندي Plebel، وهو أحد المشاهير في تلك الأيام، أن يرسم له خطة البناء فامتثل ما أمره ورسم ما طلب منه، ولكن الأسقف لم يكُفِّ ما فعل، بل أراد أن يتحل لنفسه فخر التشييد والبناء، بغير أن يتزاح لدرجات الجمعية، ولكلثرة ما وعد وتوعَّد ابن بيل المذكور أنَّا أطلاعه جهلاً منه على أسرار الصناعة ومكوناتها ودرَّبه في كيف يضع الأساس ويُشيد البناء، وكانت أسرار بناية الكنائس والمعابد محفوظة بغاية الضبط تحت طي السر العميق، فلا يجسر على الإباحة بها أحد.

ورأى بليل كيف أن الأسقف خدع ولده وسرق منه الأسرار التي لا ينالها المرء إلا بكل صعوبة، فحقق أشد الحقن وعزم أن يحفظ هذا السر فقتل الأسقف. واشتهر في تلك السنة ريمي دي فيكان الذي كان كاهناً ونقاشاً.

هنري الأول ملك إنكلترا

سنة ١١٠٠ ب.م: سنة ١١٠٠ كان هنري الأول ملك إنكلترا حامياً للماسونية، وهو ثالث أولاد وليم الفاتح ولد سنة ١٠٦٨ وتوفي سنة ١١٣٥، وفي مدة ملكه نال الماسون تمام الحرية، وكانت المجتمعات الماسونية في عز نموها وحسن رونقها (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصور»).

سنة ١١٢٥ ب.م: في هذه السنة هاجر كثيرون من البنائين إلى ألمانيا، وكانوا يلقبون أنفسهم إخوة ماري يوحنا، ويدعون محافلهم محافل ماري يوحنا، وهذا اللقب قديم بين الماسون، لأنهم كانوا يدعون إخوة ماري يوحنا في بريطانيا في الجيل الرابع، وسببه أن الماسون قبل ظهور الديانة المسيحية كانوا يعيدون كل سنة في الانتقال الشمسي باحتفال عظيم، ولما انتشرت النصرانية بينهم ألغوا ذلك العيد واختاروا بدله عيد ماري يوحنا الموافق لعيد جانوس الإله الروماني الواقع في الاعتدال الشمسي في ٢٤ يناير، ولم يحوروا سوى ما لا يوافق روح الديانة المسيحية، ومن هؤلاء نشأ جماعات ماري يوحنا الذين امتدوا إلى ألمانيا وعموا ببريطانيا. واشتهر في تلك السنة «هنري دي بلو» الذي كان كاهناً ونقاشاً لكنيسة الصليب المقدس قرب ونشستر.

سنة ١١٣٥ ب.م: وسنة ١١٣٥ خلف «هنري الأول» ستيفن، وأشغل البنائين ببناء معبد في وستمنستر وغيرها فتم بناء ذلك في أيام غلبرت دي كلير Gilbert de Clare مركيز بمبروك سنة ١١٣٦ الذي كان في ذلك الوقت رئيساً أعظم للمحافل الماسونية الإنكليزية.

سنة ١١٥٠ ب.م: جاء البناؤن من لومبارديا وأقاموا الكنائس والمعابد في إنكلترا وبنوا دير كلوين (انظر [الباب الثاني، الماسونية العلمية، روبرت بروس الأول ملك اسكتلندا]) الذي صار فيما بعد محلّاً لاجتماعهم.

سنة ١١٥٢ ب.م: اشتهر دجوتié سالفي نقاش كنيسة بيز.

هنري الثاني ملك إنكلترا

سنة ١١٥٢ ب.م: ولد هنري الثاني في مان سنة ١١٣٣ وحكم سنة ١١٥٤، وتوفي في شنيون سنة ١١٨٩، كما ترى في ترجمته بـ «الجوهر المصنون» مفصلاً، وتولى حماية المasons بنفسه، وكان أستاذًا أعظم للبنائين ورئيساً أعظم للفرسان الهيكليين، ومن أخباره أنه اهتمَ بالهيكليين فأمرهم ببناء هيكلهم في فيلستريت، وزهت الماسونية في مدة حكمه شأنها في أيام كل ملك حر يحب خير الإنسانية، وفي أيامه جُعلت لندن عاصمة مملكة الإنكليز ولا تزال إلى الآن.

سنة ١١٧٥ ب.م: جاء فرنسا جماعة من البنائين وخصصوا أنفسهم لبناء الجسور (الكباري) وهم الذين بنوا جسر أفينيون سنة ١١٨٠، ثم بنوا كل جسور البروفنس واللورين. واشتهر في هذه السنة غيليوم دي سانس الناقد الإفريقي الذي بني كاتدرائية كنتربري.

رتشرد (ريكاردوس) قلب الأسد

سنة ١١٨٢ ب.م: ولد رتشرد الأول الملقب بقلب الأسد في أكسفورد في ١٣ سبتمبر سنة ١١٥٧، وحكم سنة ١١٨٩ بعد وفاة والده هنري الثاني السابق ذكره، وتوفي سنة ١١٩٩، وهو ثاني ملك إنكلترا من عائلة بلانتاجنيت. ولما تولى الملك انتخبه جماعة الهيكليين الذين يدعون فرسان ماري يوحنا رئيساً عليهم وانتخبه المasons أستاذًا أعظم أيضًا للمحافل البريطانية، وظلّ يسوس الجمعيتيين كل حياته. وفي أيامه جاءت طائفة من البنائين السوريين إلى أوروبا لرواج الأشغال فيها واتساع نطاق الأعمال وساعدوا في بناء كنيسة في فيلستريت. وظهر من هيئة البناء أن هذه الجمعية حافظت على كل التعاليم والتقاليد الرومانية التي تعلموها بغير تغيير، وكان رتشرد عاصداً لهذه الجمعية بكل إمكانه وفي ترجمته بكتابنا «الجوهر المصنون» ذكر أخباره وحربه الصليبية مع السلطان صلاح الدين الأيوبى وغيره.

سنة ١١٩٩ ب.م: ولما توفي رتشرد أوصى بملك أخيه يوحنا دوق مورتاني المولود سنة ١١٦٦ فنُوِّج في ويستمنستر سنة ١١٩٩ ملِّكاً على إنكلترا. وفي ذلك العهد عيَّن بطرس كولتشرش أستاذًا أعظم للمasons فجَّد بناء جسر لندن بالحجر، وتمَ بناؤه في أيام وليم الكمين الناقد الإنكليزي الشهير، وذلك سنة ١٢٠٩.

سنة ١٢٠٩ ب.م: وخلف بطرس كولتشيرش بطرس ريببيس في الرئاسة على الماسون ونائبه في الرئاسة جيوفري فيتس بيير الذي كان موكلًا على أشغال الملك. وتحت عنانة هذين الشهرين زهر الماسونية. وبقيت زاهية في حكم يوحنا سنتر الذي توفي سنة ١٢١٦، وهنري الثالث الذي ولد سنة ١٢٠٧ وحكم سنة ١٢١٦، وتوفي سنة ١٢٧٢.

سنة ١٢٢٥ ب.م: ظلت لومبارديا مهدًا لصناعة البناء ومحطًا لرحال الطالبين الذين كانوا يتقدّرون من أربعة أقطار العالم ليقتبسوا من الماسونية تلك الأنوار التي أشرقت وأنارت العالم بأسره، وجاء البناءُون البيزنطيون والذين تخرّجوا من مدرسة كوردو ورأوا أعمال البناءين اللومبارديين وما يأتون من عجائب الصناعة، فعدّلوا عن طريقتهم التي تكثر فيها الزخرفة والتنميق، ورأى اللومبارديون أن أعمالهم عطلة عن كل زخرفة وزينة، فأدخلوا إليها قليلاً من أعمال أولئك فنشأ عن هذا الامتزاج طريقة جديدة دعواها الكوتيك gothique، وهي غاية في الرقة والجمال، وقبل هذا النمط فيما بعد في جميع بنايات الكنائس والأماكن المسيحية إلى القرن الخامس عشر.

سنة ١٢٢٨ ب.م: اشتهر النقاشان روبرت لوزارخس ونوماس كورمون سنة ١٢٢٠ إلى سنة ١٢٢٨.

سنة ١٢٣٤ ب.م: اشتهر جفتروي فتز بتر الأستاذ الأعظم.

سنة ١٢٤١ ب.م: اشتهر روبرت دي كوت نقاش كاتدرائية ريم التي بدأ إنشاؤها سنة ١٢١٤، وانتهت سنة ١٢٤١.

سنة ١٢٤٨ ب.م: اشتهر جيار نقاش كاتدرائية ريم التي حرقّت سنة ١٢٤٨، وأُعيد بناؤها سنة ١٢٤٨.

سنة ١٢٥٠ ب.م: اشتهر إدي دي مونترييل النقاش الإفرنجي بإنشائه ستة مدارس.

سنة ١٢٥١ ب.م: دعا لويس التاسع ملك فرنسا (وهو القديس لويس) النقاش إدي دي مونترييل Eudes de Montreuil ليحضر ميناء يافا في سوريا، وقد رافقه في سفرته هذه كثير من الإخوة البناءين.

إدورد الأول ملك إنكلترا

سنة ١٢٧٢ ب.م: تبأ إدورد الأول ملك إنكلترا أريكة الملك، وانتُخب ولترجفورد أسقف يورك أستاذًا أعظم لللماسون، وغَلَبَتْ دِي كلير أُول أوفر كلوسستر نائِبًا له، ورالف لورد أوفر مونت همر جد عائلة مونتاغيو وكيلًا للأستاذ الأعظم. وهؤلاء النقاشون أتموا بناء كنيسة وستمنستر التي ابتدئَ ببنائها سنة ١٢٢٠، والكنيسة المدرسية التي في وستمنستر على اسم القديس استفانوس، وكان قد ابتدأ الملك إدورد بترميمها ثانيةً، وبقي اللماسون يعملون فيها نحو سنتين، وليس لنا خبر حقيقي عن تمام بنائِها، ولكننا نعرف أنه أثناء الحريق الذي حدث في وستمنستر حرقَتْ هي أيضًا، وليس ثمتْ خبر أن بناءها أعيد في عهد إدورد الأول؛ لأنه كان مشغولاً بالحروب فلا وقت عنده ولا مال لبنائِها.

سنة ١٢٧٥ ب.م: اجتمع اللماسون من أربعة أقطار المعهور في ستراسبورج بناءً على طلب الأخ أروين دي ستينباخ Erwin de Stinbach ليتقاكرُوا في أمر إتمام كاتدرائية ستراسبورج، فإنهم كانوا قد انقطعوا عن البناء فيها طويلاً وقرروا أن تكون بنائيتها أعظم من التي وضعَتْ أولًا؛ أي سنة ١٠١٥، فحضر الأساتذة إلى ستراسبورج، وهناك بنوا لهم محفلاً وحلفو اليمين العظيم أن يبقوا أبدًا محافظين على القوانين والشرائع اللماسونية، وأن لا يبوحوا لأحد بسر ما يأتونه من الأعمال المجيدة، وبنوا قرب الكاتدرائية المئوي إنشاؤها محفلاً من خشب يجتمعون فيه ويقررون أعمالهم وانتُخِبوا أروين دي ستينباخ أستاذًا لهم لأجل أتعابه ومكافأةً عليها وخصصوا له نقل السيف بيده اليمنى، وأن يجلس على منبر عاليٍّ عن الآخرين، وكان هذا الأخ مهندسًا ونقاشًا لكاتدرائية ستراسبورج التي بدأ بإنشائِها سنة ١٢٧٥. وشكلوا في ذلك الزمان إشارات يتعرّفون بها، ويميزون بعضهم بعضاً، وكان معظم هذه الإشارات والكلمات مأخوذ عن الطريقة البريطانية، فكان الأساتذة والمعلمون والتلامذة يتدرجون في المراتب كلُّ منهم بحسب استحقاقه وأهليته، وكان لكل درجة من هذه الدرجات احتفالات وأعمال تمثل أعظم الأسرار اللماسونية (انظر [الباب الأول، الفصل التاسع]).

سنة ١٢٨٨ ب.م: اشتهر رينو دي كرمون نقاش كاتدرائية أميانس التي نجز بناؤها في هذه السنة.

سنة ١٢٩٠ ب.م: اشتُهر جان دي شيل النقاش الإفرنسي الذي بني جزءاً من كاتدرائية باريس.

سنة ١٣٠٠ ب.م: توفي أرنولف دي لا بو نقاش كاتدرائية فلورنسا.

سنة ١٣٠٧ ب.م: وفي حكم إدوارد الثاني^١ اشتغل الماسون في بناء كلية إكستر وكلية أورييل وكلية أكسفورد وكلية هول وكلية كمبردج وبنيات أخرى كثيرة تحت عناية ولتر ستابلتون أسقف إكستر الذي عُيِّن أستاذًا أعظم سنة ١٣٠٧.

سنة ١٣١٠ ب.م: نجز بناءً كاتدرائية كولونيا العظيمة التي بدأ البناءُون بإنشائها سنة ١٢٤٨ وأهَلت بعظمتها محفلاً بناها إلى أعلى درجات العز وأسمى معارج الفخر، فصارت كولونيا مقرًا للعلوم البنائية إليها كان يتقاطر البناءُون أفواجاً ليروا هذا العمل الجيد ويتفحصوه ورأي ماسون ألمانيا قصورهم وعجزهم عن الإتيان بمثله فأقروا برئاسته ودعوه المحفل الأعظم الكولوني هبتهوت Haupthutte، وأحرز رئيسه الرئاسة على كل المasons الألمانين ودعي أستاذًا أعظم.

سنة ١٣١٢ ب.م: أثار فيليب ملك فرنسا الاضطهاد على فرسان ماري يوحنا، وكان اضطهادًا شديداً أوصلهم إلى دركات الهوان، وكان يعينه على عمله البابا كليمانت الخامس فهرب هؤلاء ولجُّنوا إلى المحافل الماسونية بعد وفاة أستاذهم الأعظم جاك دي مولاي Jacques de Molay سنة ١٣١٤ فرأوا فيها حرزاً من الاضطهاد حريراً.

روبرت بروس الأول ملك اسكتلندا

سنة ١٣١٤ ب.م: اشتهر روبرت بروس الأول ملك اسكتلندا الذي كان من سلالة ملوكية تولى الملك سنة ١٣٠٦، وتوج في سكوني، وكان في أول عمره في بلاط إدوارد الأول الملقب بذى الساقين فعندما هاجم إدوارد الثاني ابن إدوارد الأول الاسكتلنديين بمائة ألف مقاتل من الإنكليز كان روبرت بروس رئيساً لقومه الاسكتلنديين فقابل إدوارد بثلاثين ألف مقاتل وفتَّ بجيشه خصوصهِ الكبير العدد، وغنم غنائم كثيرة

^١ ولد في ٢٥ أبريل سنة ١٢٨٤، وجلس على تخت الملك سنة ١٣٠٦، وُقتل في ٢١ سبتمبر سنة ١٣٢٧، وكان سيئ السيرة.

منهم، فُقِلَ إدورد بالخيبة والفشل، وكان ذلك في ٢٤ يونيو سنة ١٣١٤، وقيل: إنه قُتِلَ ثلاثون ألف نفس من الإنكليز في تلك الموقعة التي لم يسمع بخسارة الإنكليز مثلها، وساعد الماسون روبرت بروس بإخلاص في تلك الحرب وفي الغاية التي كان ينافع عليها لنيل تاج الملك بعد وفاة حفيده مرغريت، ولما رأى ما أتوه نحوه من المبرات، وكيف أنهم أنجذبوه في حربه حتى فاز على أعداده أراد مكافأتهم على أعمالهم كي لا يعد كنوداً فصيّر محفل كلويين Kilwinning الذي تشييد عند بناء الكاتدرائية عينها محفلًا أعظم ودعاه مجمع هيرودوم الملوكي الأعظم Grande Loge royale de Hérodom وحفظ لنفسه حق الرئاسة على الماسونية بشروط فقبلها الإخوة، ومن هذه الشروط؛ أولًا: أن تبقى الرئاسة العظمى إرثية منه لبنيه. ثانياً: أن يكون نائبه رئيساً على المحافل التي يوجد فيها، وشرط أن ينتخب نائبه من الإكليريос أو الأشراف، وحفظ لنفسه حق قبوله أو رفضه. وتوفي روبرت بروس سنة ١٣٢٩، وكانت الماسونية زاهية مدة ملكه.

سنة ١٣١٨ ب.م: توفي الفاضل أروين دي ستينباخ المشهور الذي التأم مجمع ستراسبورج إجابةً لطلبه فحزن عليه عموم الماسون في ذلك الوقت، وتولى بعده جان دي ستينباخ فأنجز بناء كاتدرائية ستراسبورج سنة ١٣٣٨.

سنة ١٣٢٠ ب.م: توفي جان دي بيز نقاش كامبو سانتو.

سنة ١٣٢٨ ب.م: توفي جيوجيو نقاش بيز الذي بنى جزءاً من كاتدرائية فلورنسا بعد أرنولف دي لابو المار ذكره.

سنة ١٣٣٨ ب.م: اشتهر إنكيران نقاش كاتدرائية بوبي التي بدأ بإنشائها هذه السنة.

داود الثاني ملك اسكتلندا

سنة ١٣٤١ ب.م: ولد داود بروس المعروف بداود الثاني سنة ١٣٢٤، وتوج في سكون سنة ١٣٣١، وفي السنة التالية من ملكه خلعه إدورد باليول فالتجأ إلى فرنسا. وسنة ١٣٤١ طرد باليول من اسكتلندا، فعاد داود إليها وحمى الماسونية في بلاده. وسنة ١٣٤٦ شن داود الغارة على إنكلترا لغياب ملكها إدورد الثالث بفرنسا، فهزمه في دورهام وأسر وبقي مسجوناً في برج لندن إلى سنة ١٣٥٧، ثم أطلق سبيله بشرط

أن يدفع مائة ألف ماركة في عشرين قسطاً. وتوفي داود في إدنبرو سنة ١٣٧٠، ولم ينجح في مدة ملکه ولا ترك أثراً يذكر فيشكـر.

سنة ١٣٥٠ ب.م: كان جان دي سبولي أستاذًا أعظم للماسون.

إدوارد الثالث ملك إنكلترا

سنة ١٣٥٠ ب.م: هو أكبر أولاد إدوارد الثاني وابن إيزابلا الفرننساوية ولد في وندسور في ١٣ نوفمبر سنة ١٣١٢، ونودي باسمه ملکاً لإنكلترا في ٢٥ يناير سنة ١٣٢٧، وتوفي في شين التي اسمها الآن رتشمند في ٢١ يونيو سنة ١٣٧٧ (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصور في مشاهير الماسون»).

دخل الماسونية في الحادية والعشرين من عمره سنة ١٣٣٣ وتولى رئاستها فزهـت في أيامه وأينـعت المـعارف لـتشجـيعـه إـيـاهـا وـتنـشـيـطـه المـدارـس وـمسـاعـدـتها.

وقد ترتبـتـ المـاسـونـيـةـ وـتـنـظـمـتـ مـدةـ مـلـكـهـ وـواـظـبـ عـلـىـ الـعـلـمـ بلاـ مـلـلـ مـحـافـظـاـ علىـ مـبـادـيـ الجـمـعـيـةـ وـخـيـرـهاـ فـحـوـرـ لـائـحةـ يـورـكـ الـقـدـيمـةـ التـيـ وـضـعـهاـ أـدـوـنـ شـقـيقـ أـلـسـتـانـ سنـةـ ٩٢٩ـ،ـ وـأـضـافـ إـلـيـهـ الـمـوـادـ الـمـدـرـجـةـ [ـالـبـابـ الـأـوـلـ،ـ الـفـصـلـ السـادـسـ،ـ إـضـافـةـ مـهـمـةـ]ـ مـنـ هـذـاـ الـكـتـابـ.ـ وـقـدـ أـيدـ الـمـحـافـلـ وـعـضـدـهاـ وـعـينـ خـمـسـةـ مـفـتـشـينـ لـلـاحـظـةـ أـعـمـالـ الـبـنـائـينـ الـمـفـتـشـ الـأـوـلـ يـوـحـنـاـ دـيـ سـبـوليـ الـذـيـ رـمـ كـنـيـسـةـ مـارـيـ جـرجـسـ فيـ وـنـدـسـرـ،ـ وـفيـ ذـلـكـ الـوقـتـ أـنـشـئـواـ وـسـامـ السـاقـ)ـ (ـأـوـ رـبـاطـ السـاقـ)ـ سنـةـ ١٣٥٠ـ بـعـدـ الـمـسـيـحـ،ـ وـالـمـفـتـشـ الثـانـيـ وـلـيمـ يـوـاـكـيمـ الـذـيـ صـارـ بـعـدـ ذـلـكـ أـسـقـفـ وـنـشـسـترـ وـهـوـ الـذـيـ رـمـ قـلـعـةـ وـنـدـسـترـ،ـ وـكـانـ رـئـيـساـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ عـلـىـ أـرـبـعـ مـائـةـ مـاسـونـيـ يـشـتـغلـونـ بـهـاـ سنـةـ ١٣٥٧ـ،ـ وـالـمـفـتـشـ الثـالـثـ روـبـرتـ بـارـنـهـامـ الـذـيـ أـتـمـ كـنـيـسـةـ مـارـيـ جـرجـسـ،ـ وـكـانـ يـرـأـسـ ٢٥٠ـ بـنـاءـ وـعـمـالـاـ غـيرـهـمـ فـيـ الـقلـعـةـ (ـسـنـةـ ١٣٧٥ـ)،ـ وـالـمـفـتـشـ الـرـابـعـ هـنـريـ بـُولـ الـمـكـتـوبـ عـنـهـ فـيـ المـاسـونـيـةـ الـقـدـيمـةـ أـنـهـ بـنـاءـ الـمـلـكـ،ـ وـبـنـىـ أـعـظـمـ الـبـيـوتـ وـالـدـاوـاـوـيـنـ مـثـلـ تـشـارـتـرـ هـوـسـ وـقـصـرـ الـمـلـكـ وـالـقـاعـةـ الـمـلوـكـيـةـ فـيـ كـمـبـرـدـجـ،ـ وـبـنـىـ قـصـرـاـ لـلـمـلـكـةـ وـرـمـ كـنـيـسـةـ مـارـ إـسـتـفـانـوسـ^٢ـ وـوـسـتـمـنـسـتـرـ وـغـيرـهـاـ،ـ وـالـمـفـتـشـ الـخـامـسـ سـمـعـانـ لـانـهـاـمـ رـاعـيـ

^٢ ذكر في التاريخ الماسوني الإنكليزي أنه في ٢٧ ماي سنة ١٣٣٠ من ملک إدوارد الثالث كان البناءون يتقدمون في بناء كنيسة مار استفانوس وكليتها. ويوجد في قلعة لندن كتابة جلية تبين أنه لم يتم بناء

وستمنستر، وهو الذي رمم كاتدرائية وستمنستر، ولا تزال على ما كانت عليه إلى الآن، ثم ارتقى فصار أستاداً أعظم سنة ١٣٨٧. وتعددت المحافل مدة وجود هؤلاء المفتشين وزادت اجتماعات الإخوة، وزهرت الماسونية تحت رعاية ذلك الملك.

انتشار الماسونية في أوروبا

سنة ١٣٦٠ ب.م: في سنة ١٣٦٠ وما بعدها لم يبق في ألمانيا بلدة إلا تأسس فيها محفل ماسوني، إذ إن البناءيات والكنائس كانت تشييد بسرعة والبناءون يشتغلون بهمة شماء لا تعرف الملل ولا يعروها الكل، وكانت المحافل الألمانية تزهو وتزيد مثل المحافل البريطانية وعدّت مثل المحافل العظمى ولبث محفل كولونيا Cologne طويلاً معدوداً أعظم المحافل الماسونية وأشهرها وأستاذه الأعظم رئيساً عاماً للماسونيين إلى أن قام محفل سترايسبورغ Strasbourg، وناظمه الرئيسة، فأصبح رئيساً لمحافل ألمانيا العليا، ومحفل كولونيا لألمانيا السفلية.

وكانت ألمانيا تحوي خمسة محافل عظيمة: محفل كولونيا وسترايسبورغ وبرن Berne وفيينا Vienna ومكديبورغ Magdebourg، وكانت محافل فرنسا وبليجيكا Belgique تابعة لمحفل كولونيا ومحافل هيسبانia Suabe وتورنج Thuringe وفرانكونيا Franconie وبافاريا Bavière، وقسم من محافل فرنسا Hnogrie معترفة برئاسته محفل سترايسبورغ ومحافل النمسا Autriehe وهنكاريا Styria خاضعة لمحفل فيينا، ومحافل سويسرا لبث تابعة لمحفل برن Zurich طالما كانت تبني كاتدرائيتها، أخيراً نقلت مركزها إلى زوريخ Zurich سنة ١٥٠٢، وانفصلت محافل الساكس Saxe عن محفل سترايسبورغ لتتبع محفل مكديبورغ.

هذه الكلية إلا لمدة سنتين مضت، وفيها كلام الملك بوضوح أنه أمر بإتمامها. وفي أول يناير سنة ١٣٥٢ أعطى قطعة أرض من التي فيها الكنيسة لقبيلة الدانوا ممتدة إلى نهر التيمس ليبنيوا فيها مدرسة، وأعطياهم قسماً من البيوت المجاورة، ووضع للمدرسة عدة قوانين، وعيّن جان دوق أوف لنكستر أميناً على المدرسة وسلمه كل أمورها وسلمه وكالة كلية مار استفانوس السابق ذكرها، وهي التي صارت محلًّا لاجتماع الوزراء والأمراء فيما بعد.

روبرت ستواتر الثاني ملك اسكتلندا

سنة ١٣٧١م: ولد هذا الملك سنة ١٣١٦، وقبض على زمام الملك مدة أسر خاله داود بروس، ثم خلفه سنة ١٣٧٠، وتولى رئاسة الماسون سنة ١٣٧١، وثبت أركان دولته رغمًا عن وليم دوغلاس، واتحد بفرنسا وحارب إنكلترا فانتصر في معركة أوتر بربن سنة ١٣٨٨، حيث عقد الصلح، وتوفي سنة ١٣٩٠.

رتشرد الثاني ملك إنكلترا

سنة ١٣٧٧م: خلف رتشرد الثاني جده إدوارد الثالث ملك إنكلترا سنة ١٣٨٨، وكان وليم يواكيم أسقف ونشستر لا يزال رئيسًا على الماسون فرمم قاعة وستمنستر على الهيئة الباقية لآن، وشغل الماسون في بناء الكلية الجديدة في أكسفورد وكلية ونشستر، وهاتان الكليتان بنيتا على نفقة وليم يواكيم الخصوصية.

سنة ١٣٨٠م: نجز بناء قصر الحمراء في غرانطة وهو الذي بدأها بإنشائه سنة ١٢٤٨ وأتموه هذه السنة، وكان هذا القصر بدعة من بدائع الزمان، وأية في الجمال والأبهة والجلال، لم يبن مثله من قبل، وقد اشترك في بنائه قوم من كل النحل والملل حتى ظهر أخيرًا وعدًّا من غرائب الزمان.

سنة ١٣٨٠م: في هذه السنة انتخب هنري بكلي أستاذًا أعظم للماسون في بريطانيا.

روبرت ستورت الثالث ملك اسكتلندا

سنة ١٣٩٠م: بعد وفاة روبرت الثاني سنة ١٣٩٠ خلفه على أريكة الملك ولده ستورت الثالث المولود سنة ١٣١٦، فانتخب أستاذًا أعظم للماسون في تلك السنة، وقد كان بينه وبين هنري الرابع ملك إنكلترا معارك واختلافات شتى ولم تنجح الماسونية في أيامه لأنهما كانا بأمور مختلفة، وهجر الملك ورحل إلى جزيرة بورن، ومات حزياناً على ولديه سنة ١٤٠٦.

هنري الرابع وهنري الخامس ملكا إنكلترا

سنة ١٣٩٩ ب.م: اغتنم هنري دوق أوف لنكستر فرصة غياب رتشرد في أيرلندا، فعقد اجتماعاً من محازبيه وخلعوا رتشرد عن الملك وقتل (رتشرد) بعد ذلك بقليل. وجلس دوق أوف لنكستر على سرير الملك، وسمى هنري الرابع^٣، فعين توماس فتز ألن أرل أوف سوروي أستاذًا أعظم للماسون سنة ١٣٩٩، وبعد ظفره العظيم في الحرب على شروبرى أقام الكنائس وبنى غلدهول في لندن، وتوفي سنة ١٤١٣ فخلفه في الملك ابنه البكر هنري الخامس^٤ سنة ١٤١٣، وفي تلك السنة عُين هنري تشيتشيأس أسقف كنتبرى أستاذًا أعظم للماسون، وكان البناءون يجتمعون بنشاط تحت رئاسته وروح المحبة والاتحاد سائدان عليهم.

جمس الأول ملك اسكتلندا

سنة ١٤٢٤ ب.م: جمس الأول ابن روبرت الثالث هو ثالث ملك من عائلة ستورت، ولد في انفرملين سنة ١٣٩٤، وقتل في بريث في ٢١ فبراير سنة ١٤٣٧. تربى على أيادي أسقف ماراندراوس، وبينما هو ذاهب إلى فرنسا سنة ١٤٠٥ قبضت بارجة إنجليزية على السفينة التي كان فيها، وأسر عند الإنكليز، وبقي ١٩ سنة في الأسر، فأحسن هنري الرابع وهنري الخامس ملكا إنكلترا معاملته وتربيته، وسنة ١٤٢٤ أعيد من أسره إلى بلاده فجلس على عرش الملك، وكان حامياً للماسونية ومثالاً لشعبه في الصبر والفضيلة، وقد أثرت في أخلاقه حُسن المعاملة التي عامله بها ملكا الإنكليز مدة أسره واقتبس كثيراً من عوائدهم الحسنة، ورأى فضائل الماسونية في بلادهم فشجع قومه على اتباعها، وكان يحضر بنفسه الاجتماعات الماسونية واقتدى به رجال بلاطه الملوكى وأعيان البلاد، فصاحت اسكتلندا إنكلترا في محافلها

^٣ ولد هنري الرابع سنة ١٣٦٧، وجلس على سرير الملك سنة ١٣٩٩، وعيّن حامياً للماسون بهذه السنة، ومات سنة ١٤١٣ (انظر ترجمته في كتابنا الجوهر «المصون في مشاهير الماسون»).

^٤ ولد هنري الخامس ملك إنكلترا سنة ١٣٨٨، وتولى الملك سنة ١٤١٣، وعيّن حامياً للماسونية بهذه السنة، وتوفي سنة ١٤٢٢ (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصون في مشاهير الماسون»).

وأجتماعاتها. وسَنَّ هذا الملك الفاضل للماسونية لواحٍ وقوانين وأحكاماً زادتها كمالاً، وفرض على من يطلب الانظام في سلكها أن يدفع مبلغاً من المال، وأن يجمع من كل أستاذٍ فيها مبلغاً معيناً سنويًا يسلّم للأستاذ الأعظم الذي ينتخبه المحفل الأكبر ويوافق على انتخابه أحد أعضاء العائلة المالكة، أو أحد كبار الإكليلوس من الماسون. وكان مركز هذا الملك يخوله أن يرتب بين الماسون ما كان خارجاً عن شرائع بلطه الملوكى من القوانين، فكان الأمراء والعلماء والبناءون من الماسون يأتون إليه فيفصل الاختلافات بينهم، وفي غيابه ينوب عنه بمثل هذه الأمور أحد كبار بلطه أو ياوره الذي كان ساكناً بالقرب منه.

هذا وتجد ترجمة حياته مفصلاً في كتابنا «الجوهر المصور».

هنري السادس ملك إنكلترا: والحوادث الماسونية في بلاده ومدة ملكيه

سنة ١٤٢٥ ب.م: ولد هنري السادس ابن هنري الخامس في ٦ ديسمبر سنة ١٤٢١ وتوفي والده وهو ابن تسعه أشهر، فتولى عمه دوق بوفورد نيابة الملك، وذهب إلى فرنسا؛ لأنَّه كان في ذلك الوقت قسم كبير منها تابعاً لإنكلترا، وعمه همفري دوق أوف كلوسيستر الوصاية عليه^٠. وتتبرير أمور الحكومة في إنكلترا، وتولى هنري بيوفورت أسقف ونشستر تربيته وهو عم دوقي كلوسيستر وبوفورد، وكان مقدراً في قواه العقلية، ومحترباً أحوال المملكة حق الاختبار، لكنه كان رديء الطبع، نذيمُ الخلق، خبيث الطوية، وصفه التاريخ الماسوني الإنكليزي بأقبح الصفحات، وذمَّ عدره ومكره وخداعه والوسائل التي استحلها لقهر خصمه، وأحبَّ هذا الأسقف المداخلة في شؤون المملكة لما رأى الملك قاصراً فمنعه ابن أخيه دوق كلوسيستر عن قصده فزادت النفرة بينهما حتى اضطر البيلان للمداخلة في الأمر.

ويقول التاريخ الماسوني الإنكليزي: إنَّ الكردينال هنري بيوفورت وجماعته الذين لم تقبلهم الماسونية لسوء خلقهم كانوا يقولون: إن لهم الحق في الاطلاع على كل ما

^٠ جاء في التاريخ الماسوني الإنكليزي أنَّ همفري دوق كلوسيستر كان عالماً فاضلاً ومهندساً أكثر من كل إنسان آخر في زمانه بملكه الإنكليز كلها، وأنَّه أنشأ مكتبة عظيمة لم يجمع أحد مثلاً لها في بلاده، وكان مثالاً حسناً لجميع شعبه، وساعد الماسونية في بداية حكم هنري السادس مساعدة تذكر فتشكر.

يفعله الماسون، وأن الواجب عليهم أن يعترفوا لهم بما يفعلونه، ولكن الماسون كانوا ينفرون منهم ويحتقرنهم؛ ولذلك كانوا يشعرون أن وجودهم في المملكة خطر على الملك والشعب، فأثار هذا الكلام في البرلمان فعقد اجتماعاً بوسائط هذا الكريدينال^٦ ومداخرته سنة ١٤٢٥، وقرر منع الاجتماعات والاحتفالات الماسونية زعماً منه أنها تلقي العراقييل بين العمال وتشوش نظام المملكة، وأصدروا أمراً بإلغاء الماسونية من المملكة بمصادقة الملك، وإذا عقد اجتماع أو احتفال يعاقب المجتمعون بالسجن والغرامة، وسُنوا شرائع وقوانين بهذا الشأن فاحتاج الماسون على هذا العمل المنافي للعدل والصدق، ولم يجد احتجاجهم نفعاً، فداوموا اجتماعاتهم سرّاً غير مبالين بتلك الأوامر، وكانت المحافل تجتمع بنظام أكثر من العادة، وسادت المحبة بين الإخوان، واتحدوا برابطة الإخاء، وأنشئت محافل شتى فيسائر أنحاء المملكة، فأنتجت المضادة خيراً لها ودامت الحال على هذا المنوال زمناً طويلاً والمحافل الماسونية لا تزال تجتمع برئاسة هنري تشيتشيلي أسقف كنتربري الذي قيل عنه في السجل اللاتيني لوليم مُرِئيس كنتربري: إنه الرجل الحر الصادق الأمين.^٧

ولم تخف كل هذه الاجتماعات عن الحكومة وعن هنري بيوفورت، ولكنهم لم يستطعوا أن يؤذوا أصحابها بشيءٍ، وكان بيوفورت يظن أنه بواسطة قرار البرلمان وكلام الإكليلوس يحرّك الماسونية، فجاءت النتيجة بالعكس، وزادت الشحنة بينه وبين دوق كلوسيستر وزينت له نفسه الخبيثة الاستثنائية على لندن ومضائق الدوق المذكور وقهـر الماسونية فدرى بأمره دوق كلوسيستر فبعث رسولـاً بالسرعة إلى محافظ لندن، وكان يتغدى صباح عيد مار سمعان بعدهما رجع من المحافظة في وستمنستر، وطلب منه أن يحضر إليه حالاً فأتاه اللورد المحافظ على الفور فأخبره أن المدينة في خطر وأنه ينبغي ملاحظتها كل الليل المقبل؛ لأنـه علم أنـه عمـه هـنـري بيـوفـورـت مـزمـعـ

^٦ لما اجتمع البرلمان حضر خدم وأتباع الأشراف مدججين بالسلاح، ومعهم العصي والنبايات حتى إذا لم يقر البرلمان على ما يرغبون فيه يكردون السلام بتعدياتهم.

^٧ ذكر في السجل اللاتيني لوليم ملـر أنه في عهد قصور البرنس هـنـري السادس سنة ١٤٢٩ اجتمع محفل ماسوني يعتبر في كـسـنـتـرـبـرـي بـرـئـاسـةـ الكـرـدـيـنـالـ هـنـريـ تـشـيـتشـيلـيـ وـحـضـرـهـ الأـسـتـاذـ تـوـمـاـ سـتـيـلـيـوـنـ المـنـبـهـ الأولـ وـبـوـحـنـاـ مـوـرسـ المـنـبـهـ الثـانـيـ لـلـمـحـفـلـ معـ خـمـسـةـ عـشـرـ أـخـاـ منـ المـاسـونـ وـدـخـلـ حـيـنـئـ ثـلـاثـةـ إـخـوـانـ فيـ المـحـفـلـ ذـكـرـتـ أـسـمـاؤـهـمـ بـتـقـيـيقـ.

أن يدخلها ويمتلكها بالقوة، فبقي المحافظ كل الليل سهران، وثاني يوم الساعة التاسعة صباحاً جاء الكردينال بيوفورت ومعه خدامه وأتباعه وحاولوا دخول المدينة من باب الجسر فرددُهم الأهالي بالقوة، فاغتاظ الكردينال العاتي، وعاد فجمع قوة أعظم وأتى ب الرجالها مسلحين وهجم على باب الجسر، ولما علم الأهالي بعملهم أغلقوا محلات أشغالهم وتجمهروا على الجسر لصدتهم، وكادت تحدث مذبحة هائلة لولا وصول محافظ لندن في تلك الدقيقة وتفریقه تلك الجماهير بالقوة. ووْجَدَ في ذلك الوقت الكردينال كنتربري وبطرس دوق أوف كويمبرا الابن الأكبر لملك البرتغال فتدخلوا في الأمر، وسكنوا الهياج وحجبوا سفك الدماء بعد الجهد الجهيد.

وعاد الكاردينال إلى بيته وقلبه ملآن حقداً ومكرًا وفَكَرَ ماذا يفعل حتى يغطي دوق أوف كلوسيستر فكتب إلى دوق بدفورد نائب الملك بفرنسا يقول:^٨

**Right high and mighty prince, and my right noble, and after
one leivest (earthly) lord**

I recommend me unto your grace with all my heart. And as you desire the welfare of the king our sovereign lord, and of his realms of England and France, your own weal (health), with all yours haste you hither; For, by my troth, if you tarry long, we shall put this land in jeopardy (adventure) with a field; such a brother you have here; God make him a good man. For your wisdom well knoweth that the profit of France standeth in the welfare of England etc. The blessed Trinity keeps you. Written in a great haste at London, on Allhalloweneven.

the 31st of October, 1425
By your servant, to my lives end
Henry Winchester

^٨ صورة الكتاب بالحرف الواحد منقولة عن التاريخ الماسوني الإنجليزي.

أيها الأمير السامي القدير ومولاي الشريف الأرضي

إني أسلم نفسي لسموكم بكل قلبي، وبما أنك ت يريد خبر ملتنا وملكتيه إنكلترا وفرنسا، فمصلحةك ومصلحة من لك تدفعنا إلى ذلك بسرعة وبالحق أقول لك: إنك إذا تأخرت كثيراً (عن الحضور إلينا) جعلنا هذه البلاد في خطر الحرب، وما هذا الأخ الذي لك أصلاح الله حاله، وأنت تعلم أن خير فرنسا موافق لخير إنكلترا ... إلخ - ليحفظك الثالوث الأقدس.

كتب بسرعة في لندن في ٣١ أكتوبر سنة ١٤٢٥
عبدك إلى الممات
هنري ونشستر

سنة ١٤٢٦ ب.م: ولما وصل الكتاب إلى بلفورد أسرع وجاء إلى لندن في ١٠ يناير ١٤٢٦ وعقد عدة اجتماعات للتسوية بين عمه الكريدينال وأخيه، وأخر مرأة اجتمع البرلمان^٩ للبحث في كتاب الكريدينال الذي بعثه لبلفورد بفرنسا، وسبب قوله: «وبالحق أقول لك: إذا تأخرت كثيراً جعلنا هذه البلاد في خطر الحرب». وسألوا الكريدينال بماذا يجيب مما كتب؟ فأجاب: إنه كان خائفاً من الماسونية وأمثالها لئلا تسبب خراب المملكة لحقها من قرار البرلمان السابق ذكره بإلغائها وتعطيل اجتماعاتها؛ ولذلك كتب ما كتب.
ولما كانت السلطة بيد أوف كلوستر كان قادرًا على تنفيذ قرار البرلمان بإلغاء الماسونية، ولكنه كان عالماً ببراءتها وحسن نيتها وطويتها، وأن ما أصابها كان بدسائس الكريدينال وانقىاد البرلمان لآرائه السافلة فأخذ الجمعية بحمايته وبرأها مما اتهمها به أعداؤها، وألقى التهمة على الكريدينال وأتباعه.

سنة ١٤٣٧ ب.م: وعلم الكريدينال أنه مخطئ لدى الشريعة فتدخل مع كثirين حتى جعل البرلمان يستعطف الملك فغدا عن أعماله السيئة واعتداءاته المضادة لشريعة

^٩ كان اجتماع البرلمان في ٢٥ يونيو سنة ١٤٢٦ في ليفربول، وجاء أحزاب الفريقين بالعصي والحجارة حسب المعاد، ولكن حكمة دوق بلفورد حافظت على السلام بين الفريقين.

البلاد، وبعد خمس سنين نال من الملك عفواً عن كل ذنبه من يوم خلق إلى ٢٦ يوليو سنة ١٤٣٧.

ومع كل الاحتياطات التي عملها الكردينال وجد «دوق كلوسيستر» منه أمرًا توجب العقاب فشكاه إلى الملك بنفسه والملك حوال الشكاوى إلى محلات اختصاصها فعين مجلساً لحاكمية الكردينال، وكان أكثر أعضائه من حزبه وبعد المحاولة والمطاولة حكموا ببراءة ساحتِه، فاتخذ الحكم ببراءته وسيلةً للإضرار بدوقة كلوسيستر.

وصمم هذا الكردينال على الورقيعة برجل اشتهر علمه وفضله. وبدهائه وخراب ذمته استحضر جماعة من أمثاله يشهدون له بما يضر بدوقة كلوسيستر واتهامه بخيانةٍ فاجتمع البرلما في أدموندسبري سنة ١٤٤٧، ولما حضر الدوق سجنوه، وثاني يوم وجدوه ميتاً في السجن فأشاعوا أنه مات موتاً طبيعياً لعدم وجود آثار في جسمه فحزن عليه الشعب حزناً عظيماً واعتقدوا أنه مات ظلماً وذهب فريسة غدر الكردينال الخائن، وبعد ذلك اتهموا خمسة من الخدم أنهم شركاؤه بالخيانة، فحكموا عليهم بالموت، وذلك بأن يقطعوا إرباً وهم أحياً فعلقوهم وعرّوهم ورسموا على أجسامهم محلات التقطيع، ثم عفي عنهم فنجوا من الموت.

وسببَ موت الدوق كلوسيستر حزنًا عالًّا في المملكة ورثاه الشعب زمناً طويلاً ولقبوه بالرجل «الصالح»؛ لأنَّه كان محباً لبلاده حاميًّا للماسونية وللفضيلة مثلاً للعلم منشطاً للصناعة. أما الكردينال الخائن فمن كثرة توبخ ضميره له ومراجعة سيرته الفاسدة توفي بعد شهرين من قتل دوق كلوسيستر وسمعوه يقول قبل وفاته بدقاقةً: لماذا أموت أنا الرجل الواسع الثروة إذا كانت المملكة تنقذني من الموت أحفظها بسياستي وأشتريها بمال؟! ألا يُفدي الموت بمال الذي يقولون إنه يفعل كل شيء؟ وقد وصف شكسبير الشاعر الإنكليزي الشهير موت هذا الكردينال وصفاً مدققاً.

واستمر الماسون على اجتماعهم بلا خوف ولا ممانعة ودخل الملك الماسونيَّة سنة ١٤٤٢ ودرس قوانينها وشرائعها القديمة والحديثة ووهبها هبات عظيمة ومنحها امتيازات خصوصية فتهذبت المدارس وزادت البناءيات وارتقت الصناعة وثبتَّ المحافل بأوامر عالية وشجع الأشراف للانتظام في سلوكها فأقبلوا إليها أفواجاً،^{١٠} ثم إنَّ الملك

^{١٠} نظروا في السجل الماسوني القديم المحفوظ لأنَّ الماسونيين في أيام هنري السادس كانوا يجتمعون بكل وقت في السنة الثانية عشرة من ملكِه السعيد سنة ١٤٣٤، وأنَّ شرائع وقوانين الماسون تثبتت

نفسه رأس المحاول وحمها وعَيْنَ وليم وانفليت أُسقف ونشستر أستاداً أعظم فبني على نفقتهِ الخصوصية المدرسة المجلدية الكلية في أكسفورد ومعابد كثيرة، وبني وانفليت في مدة حكم هذا الملك كلية أتون بقرب وندسور وكلية الملك في كمبردج، وبني هنري كلية المسيح في كمبردج، وبنت الملكة كلية الملكة في نفس المدرسة الجامعية. وبالإجمال إن الماسونية زهرت في مدة هذا الملك، ولكنَّ الحروب التي حدثت في المملكة والظروف المحيطة بالملك جعلت حكم إنكلترا على فرنسا يزول شيئاً فشيئاً من ذلك الوقت، وتوفي هنري السادس في ٢٢ مايو سنة ١٤٧١.

سنة ١٤١٥ ب.م: احترقت مكتبة الزاوية والبركار في براك، وهي المكتبة الشهيرة التي وقفها المعلم المشهور في الماسونية «يوحنا هيس» لمحفل الزاوية والبركار.

سنة ١٤٢١ ب.م: اشتهر «ماتياس هنتر دي ستراسبورغ» نقاش كاتدرائية برن في تلك السنة.

سنة ١٤٤٢ ب.م: اشتهر جان دي كولونيا وابنه نقاشاً كاتدرائية برغوسه.

جسم الثاني ملك اسكتلندا

سنة ١٤٤٤ ب.م: إن «جسم الثاني» هو الولد الوحيد لجسم الأول ملك اسكتلندا المذكور آنفًا، ولد سنة ١٤٢٠ وتولى الأحكام سنة ١٤٤٤، وبينما كان سنة ١٤٦٠ يتقدَّم البطاريات انفجر مدفع فأصابته قطعة منه ألقته قتيلاً.

وكانت الماسونية الاسكتلندية قد انتخبته رئيساً أعظم وحامياً لمحافلها في تلك الأيام، وذكر في التاريخ الماسوني الفرنسي لعمانوئيل ريبولد المطبوع في باريس سنة ١٨٥١ صفحة ١٩،^{١١} أن الماسون اجتمعوا في كلوين في أيام جسم الثاني، وقرروا أن كل أستاذ أعظم يُنتخب حديثاً يدفع للبلاد أربعة دنانير اسكتلندية،

وتصدق عليها بواسطة هذا الملك واللورديات الذين كانوا في مجلسه الملوكي وأعلنوا أنها واجبة الاتباع، فانضموا إلى الماسونية فكانوا قدوة للآخرين، وتمسكون بتلك الأحكام كما أخذوها وجمعوها من السجلات القديمة، ومن هذا السجل يظهر أن الماسونية كانت محترمة يُنظر إليها بعين الاعتبار قبل الحوادث التي انتابتها في بداية حكم هذا الملك وهو صغير.

.Histoire Générale de la Franc-Maçonnerie par Emmanuel Rebord en 1850 ١١

وقرر الأستاذ الأعظم فرائض أخرى على بقية الماسون، وُشكّلت محاكم مخصصة للبنائين الأحرار في معظم البلدان الكبرى باسكتلندا، وعُيّن الملك جمس وليم سانكلار بارون دي روسلين Guillaum de Sinclair baron de Roslin أستاذًا أعظم ببراءةٍ رسميةٍ^{١٢}، وجعل له هذه الرئاسة إرثيةٍ يتعاقبها الخلف عن السلف مع كامل حقوقها وامتيازاتها مكافأة له على خدماته الصادقة للمملكة والأمة، ويوجد نسخة من هذه البراءة في مكتبة المحامين في أيدنبرج مؤرخة سنة ١٧٠٠.

أما بقية ترجمة جمس الثاني فمذكورة في كتابنا «الجوهر المصنون في مشاهير الماسون».

سنة ١٤٤٥ ب.م: توفي هذه السنة «نقولا دي بورن» الناقد الشهير الذي ابتدأ بنقاش كاتدرائية كولونيا سنة ١٤٣٧، وتولى بعده كونراد كوين.

سنة ١٤٥٩ ب.م: التأم مجمع ماسوني في راتسبرون بناءً على دعوة الأخ جوبس دوتزنجر Jobs Dotzinger أستاذ محفل ستراسبورغ الأعظم، وهو الذي شيد كاتدرائيتها فدعا الإخوة الألمانيين لكونه أستاذًا أعظم لهم وأوجب عليهم الانقياد لأمره والإذعان لما يطلبه، فاجتمع هؤلاء وقدم كلُّ منهم تقريره عن حالة النقش والصناعة في تلك الأيام خصوصًا إبانتهم عن المشاكل والعقبات التي تعرقل سعيهم وتؤخرهم عن إتمام البناءيات التي كانوا قد بدءوا بإنشائها.

جمس الثالث ملك اسكتلندا

سنة ١٤٦٠ ب.م: «جمس الثالث» هو ابن «جمس الثاني» ولد سنة ١٤٥٣، وتُوج في دير كلسو سنة ١٤٦٠ وسنة ١٤٦٩، تزوج مرغريتا الدنماركية، وقد وُصف بالضعف، ولكن سياسته وأحكامه تدل على آرائه السديدة وعقله النير، وكان من همه المحافظة على السلام ومحالفته إنكلترا، وكان جماعة من قومه يكرهونه لحبه السلام وولعه بالأدب والصناعة، وقد اشتهر هذا الملك بحمایته الماسون كما اشتهر

^{١٢} بقيت الرئاسة لعائلة روسلين إلى سنة ١٧٢٦ حينما تأسس المحفل الأكبر في إدنبرج، وقد وقع خطأ في التاريخ في [الباب الأول، الفصل الثامن] من هذا الكتاب صوابه ما هو في هذه الصفحة.

غیره قبله وبعده من ملوك اسكتلندا الذين زهت هذه الجمعية بمدة ملکهم، وفيما هو هارب إثر انكسار حزبه الملكي في معركة سوكيبرن قُتل بيد رجل غير معروف، وذلك سنة ١٤٨٨.

«إدورد الرابع» ملك إنكلترا

سنة ١٤٦١ ب.م: ولد «إدورد الرابع» في روان في ٢٩ أبريل سنة ١٤٤٣، وحكم سنة ١٤٦١، وتوفي في ٩ أبريل سنة ١٤٨٣ (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصنون»). وقد ذُكر في السجل الماسوني الإنكليزي القديم «أنه في أيام إدورد الرابع كان جماعة البنائين الملقبين بالأحرار في إبان زهوتهم، وكانوا يتسابقون في الفضائل وهم نظير إخوة يحبون بعضهم بعضاً ويفعلون الخير».

وجاء في التاريخ الماسوني الإنكليزي أن الماسونية تأخرت أثناء اضطراب السياسة والحروب التي جرت بين «بيت يورك» و«بيت لانكستر»، ولكنها عادت فنمت سنة ١٤٧١ برئاسة رتشرد بيوتشارمب أسقف ساروم الذي عينه إدورد الرابع أستاذًا أعظم وشَّرفه بأحسن الألقاب، فرمم هذا الأسقف قصر وندسور وكنيسته وعمل أعمالاً أخرى تُذكر فتشكر.

سنة ١٤٦٤ ب.م: التأم المجمع الماسوني في راتسبون وثابر على جلساته متداولاً بشأن البناء وما صارت إليه الصناعة في تلك الأيام، وقرر أخيراً أن يمنح للمحافل الخمسة الكبرى وهي محفل كولونيا وستراسبيوغ وفيينا وبرن ومكديبورغ حقوقاً متساوية من حيث المركز والنفوذ والأمر والنهي، وفي هذا المجمع انتخب الأستاذ «كونراد كوين Conrad Kuyn» نقاش كاتدرائية كولونيا أستاذًا لمحفلها الأعظم (انظر [الباب الأول، الفصل التاسع]).

سنة ١٤٦٩ ب.م: اجتمعت المحافل الماسونية في سبير فقدم محفل كولونيا الأعظم تقريراً عن أعماله وحساباته وأحوال الجمعيات الماسونية في جهات مختلفة وماهية الأماكن التي توقف عملها وما أشبهه انظر [الباب الأول، الفصل التاسع].

وتوفي هذه السنة كونراد كوين الأستاذ الأعظم بكولونيا الذي ابتدأ سنة ١٤٤٥ بنقاش كاتدرائية كولونيا وتولى مكانه على كاتدرائية كولونيا جاك دي فرانكبرج النقاش المشهور.

سنة ١٤٨٠ ب.م: كان الشعب يتحمل نفقات جمة ويتجشم أخطاراً كثيرة لينشئ الكنائس والمعابد، فبدأ يتذمر ويشكو من هذا الأمر وحدث أن الباباوات والكهنة تغيرت مفاصدهم من جهة الماسونية فبدعوا يجاهرون بعدائها وينسبون إليها كل بذيئة دنيئة، وهي كما علم الله وشهد الناس براءً منه فتأخرت لهذا السبب الأعمال كثيراً. وليس المعنى أنه لم يعد يشيد محل جديد ولا كنيسة جديدة، بل إن الأماكن التي بدأ البناءُون بإقامتها لم يتمموا لقلة ذات اليد والعسر العمومي الذي طرأ على البلد.

ورغمًا عن الأمر الذي أصدره الإمبراطور «مكسيميليان» سنة ١٤٨٩ الذي منح به الماسونية كل حقوقها وامتيازاتها القديمة كان عدد الإخوة يقل شيئاً فشيئاً، وأصبحت امتيازاتهم كأنها لم تكن فاضطروا أن يتداخلوا في البناءات العادلة التي أرفع شأنها.

«جسم الرابع» ملك اسكتلندا

سنة ١٤٨٩ ب.م: كان ميلاد جمس الرابع سنة ١٤٧٢ وتوج في سكون سنة ١٤٨٨ وقتل في معركة فلورن سنة ١٥١٣، وقد أصلح كثيراً في مملكته، وكان رئيساً أعظم لل MASON في اسكتلندا (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصنون»). وفي مدة حكم إدوارد الخامس ورث شرد الثالث أخذت الماسونية في إنكلترا بالانحطاط، وكانت تزهو في اسكتلندا وألمانيا وغيرهما من المالك الأوروبية، وما لبث أن عادت فزعت ونهضت في إنكلترا بجلوس هنري السابع على سرير الملك.

هنري السابع ملك إنكلترا

سنة ١٥٠٠ ب.م: ولد هذا الملك سنة ١٤٥٨، وتوفي سنة ١٥٠٩، وكان أول ملك من العائلة التيودورية، ويحصل نسبه بابن إدوارد الثالث، وقبل أن يجلس على عرش الملك كان يُدعى الكونت دي ريشمون، وبعد انكسار اللانكستريين في نيوكسبرى سنة ١٤٧١ جاء إنكلترا بجيشه عرماً فحارب رث شرد الثالث وقهره سنة ١٤٨٥، وقتل رث شرد في تلك المعركة فانتخب هنري ملكاً على إنكلترا وتزوج إليصابات ابنة إدوارد الرابع، وبذلك حقن الدماء بين عائلتي يورك ولانكستر بعدما كادتا تهلكان في حرب

الوردتين الشهيرة بالتاريخ التي دامت أكثر من ثلاثين سنة، وهكذا بسببها ألف من العائلتين وأحزابهما. وبزواجه هذا أخذ حقوق العائلتين المتنازعتين، وناعمه كثيرون الملك فحاربهم هنري وانتصر عليهم. وكان يكره الحروب والفتنة وهو الذي جعل إنكلترا قاعدة سارت عليها من ذلك الحين، وهي أن لا تشهر الحرب عاجلاً، بل يجب أن تستعمل الإناءة لأجل المداولات واتخاذ وسائل السلم أولاً، ثم توسط الغير لإزالة الموانع قبل المبادرة إلى سفك الدماء، وربما اقتبس ذلك من المبادئ الماسونية الطاهرة. ولا يبعد أن تحالفه مع جمـس الرابع مـلك اسـكتلـانـدا الرـئـيس الأـعـظـم للمـحـافـل المـاسـوـنـيـة فيها وـتزـوجـه بـابـتـه مـرـغـرـيـت نـجـمـاً عـن اـتـفـاقـ مـاسـوـنـيـ أو فـكـرـة سـلـمـيـة لـتوـطـيـد الـأـمـنـ. وكان هـنـري يـحب تـخـفـيف سـطـوـة أـشـرـافـ الـبـلـادـ فـأـدـخـلـ أـوـاسـطـ الـشـعـبـ بـالـخـدـامـاتـ الـأـمـيرـيـةـ، وـرـقـىـ كـثـيـرـينـ حـتـىـ أـوـصـلـ مـقـامـاتـهـ إـلـىـ مـقـامـاتـ أـبـنـاءـ الـأـشـرـافـ.

وكان يميل إلى حشد المال؛ ولهذا السبب قبل من «شارل الرابع» مـلك فـرـنـسا أربعـمـائـةـ أـلـفـ لـيرـةـ وـأـخـلـىـ مـقـاطـعـةـ بـرـيـتـانـياـ، وـهـيـ أـمـلـاـكـ إنـكـلـنـتـراـ الـوـحـيـدـةـ التـيـ كـانـتـ باـقـيـةـ لـهـاـ فـرـنـساـ، وـقـيـلـ إـنـهـ وـجـدـ فـيـ قـصـرـهـ بـعـدـ مـوـتـهـ مـبـلـغاـ يـضـاهـيـ الـعـشـرـةـ مـلـاـيـنـ لـيـرـةـ إنـكـلـيـزـيـةـ.

وكان لفـرـطـ ماـ وـعـاهـ مـنـ الـمـالـ أـغـنـىـ مـلـوـكـ الـعـالـمـ فـيـ وـقـتـهـ وـكـانـتـ مـلـذـتـهـ أـنـ يـرـىـ الـذـهـبـ مـكـدـسـاـ أـمـاـمـهـ يـتـلـذـذـ بـمـرـآـهـ وـلـهـ قـصـصـ مـخـتـلـفـ يـطـولـ شـرـحـهـ ذـكـرـتـهـ التـوـارـيـخـ فـيـ مـحـلـاتـهـ.

وـكـانـتـ الـمـاسـوـنـيـةـ فـيـ بـدـاـيـةـ عـمـرـهـ تـجـتـمـعـ تـحـتـ رـعـاـيـةـ أـسـتـادـ مـارـ يـوحـنـاـ وـيـعـضـدـهـمـ تـلـمـذـتـهـ فـيـ أـعـمـالـهـ، وـكـانـتـ اـجـتـمـاعـاتـهـ فـيـ روـدـسـ (ـمـالـطـةـ الـجـديـدـةـ).

وـسـنـةـ ١٥٠٠ـ اـنـتـخـبـواـ «ـهـنـريـ»ـ حـامـيـاـ لـهـمـ، فـقـبـلـ ذـلـكـ بـسـرـورـ، فـعـادـتـ الـمـاسـوـنـيـةـ إـلـىـ عـقـدـ اـجـتـمـاعـاتـهـ بـنـجـاحـ مـدـةـ حـمـاـيـتـهـ لـهـاـ.

سـنـةـ ١٥٠٢ـ بـ.ـمـ:ـ وـفـيـ ٢٤ـ يـوـنـيوـ سـنـةـ ١٥٠٢ـ اـجـتـمـعـ رـؤـسـاءـ الـمـحـافـلـ الـمـاسـوـنـيـةـ وـكـبارـ موـظـفـيـهاـ فـيـ قـصـرـ الـمـلـكـ هـنـريـ، وـكـانـ هوـ نـفـسـهـ رـئـيـسـاـ عـلـيـهـمـ فـعـينـ «ـيـوحـنـاـ أـسـلـبـ»ـ كـاهـنـ وـسـتـمـنـسـتـرـ وـالـسـرـ رـجـيـنـالـدـ بـرـايـ منـ فـرـسانـ رـبـاطـ السـاقـ حـارـسـينـ لـذـلـكـ الـاجـتـمـاعـ وـخـرـجـ بـاحـتـفـالـ عـظـيمـ وـحـولـهـ الـجـمـاهـيرـ إـلـىـ الـجـانـبـ الـشـرـقـيـ مـنـ وـسـتـمـنـسـتـرـ أـبـيـ وـوـضـعـ حـجـرـ الـزاـوـيـةـ لـكـنـيـسـةـ الـمـعـرـوـفـ بـكـنـيـسـةـ هـنـريـ السـابـعـ إـلـىـ الـيـوـمـ،ـ وـقـدـ أـتـرـ

هذا الاحتفال التأثير اللازم في الشعب وجعل للماسونية اسمًا عظيماً. وقد وصف التاريخ الماسوني هذه الكنيسة، فقال:

بنيت هذه الكنيسة على النسق الغوطى الجميل، وهي قائمة على أربع عشرة قائمة كلها منقوشة بأبهى النقوش وبارزة البناء على زوايا مختلفة، ويدخلها النور من صفين من الشبابيك يضيئان إلى الداخل فيبهران الناظر من هيبة المكان وعظمته، وقوائمها متصلة بالسقف وعلىها قنطرة غوطية لتمكين المكان، ويدخل إليها من الشرق بدرج من الرخام الأسود تحت قنطرة عظيمة موصولة إلى الكنيسة وأبوابها من النحاس ومقاعدتها على الجانبين من خشب السنديان، وكذلك مقاعدها الداخلية وأرضها مبلطة بالرخام الأبيض والأسود، وبالإجمال إنها بدعة من بدائع الزمان.

وجاء في التاريخ الماسوني الإنكليزي المطبوع في لندن لوليم بريستون صفحة ١٥٢ أن هذه الكنيسة شيدت بعنابة وليم بلتون الذي كان رئيس العمل بإرادة الملك هنري السابع ويلقبها ليلاند «أعموبة العالم»، وقيل إنه لم يوجد نقش مثل نقشها ولا مهارة هندسة مثل هندستها في كل ما تقدمها من الأبنية.

وبعنابة السر «ريجينالد براي» المذكور آنفًا بُني قصر رتشموند وبنيات أخرى. وقد تم في حكم «هنري» أيضًا بناء كلية بريزن نوز في أكسفورد وكلية المسيح وكلية مار يوحنا في كمبردج وغيرها من البناءات والأعمال الماسونية.

سنة ١٥٠٢ ب.م: وفي سنة ١٥٠٢ نقل محفل برن مرکزه إلى زوريخ.

هنري الثامن ملك إنكلترا

سنة ١٥٠٩ ب.م: وخلف «هنري الثامن» أباه سنة ١٥٠٩ وعين الكردينال ولسي أستاذًا أعظم على الماسون فبني الكردينال همبتون كورت وهو يت هو وكنيسة لكلية المسيح في أكسفورد وغيرها من البناءات سنة ١٥٣٠. وخلف الكردينال ولسي ثوماس كرومويل أوف إسكس فصار أستاذًا أعظم وشغل الإخوة في بناء سراي مار يعقوب، واستبدالية المسيح والقلعة الخضراء.

سنة ١٥١٠ ب.م: وسنة ١٥١٠ تشكّلت محافل كثيرة في بلدان عديدة وانتظم في سلوكها كثير من السراة والأشراف بهيئة أعضاء منتخبين فكانوا يقدمون آرائهم ويدرسون الصناعة ويتعلّمون بها، ولكن في ذلك العصر عصر الجهالة والتلوّح لم يكن أحد له حرية بفعل ما يشاء فثار عليهم اضطهاد بعواصفيه وزعاعجه الشديدة فاضطرّ هؤلاء إلى التحفظ في أعمالهم والتستر العميق.

جمس الخامس ملك اسكتلندا

هو ابن جمس الرابع، ولد سنة ١٥١٢، وتوفي سنة ١٥٤٢، وألبس التاج في سكون، وجعلت أمّه نائبة له لحداثة سنِّه، وكان يعتبر خدمة الدين الكاثوليكي، واضطهد البروتستانت والقائمين بدعوتهم، وأحرق كثريين منهم، وأضطرّ آخرؤن إلى الهرب من أعماله، وكان البابا بولس الثالث يحبه واستعماله إليه ولقبه بـ«ناصر الإيمان». وسنة ١٥٣٦ تزوج مادلين ابنة فرنسيس الأول، فماتت بعد قليل فتزوج بغيرها. وسنة ١٥٤٠ حارب الجزائر الغربية، ففاز فوزاً عظيماً ونشط الصناعة، ودعا كثريين من مهرة الصناع الغربياء إلى بلاده، فأقبل كثيرون من الماسونين إليها، وكان رئيساً أعظم للمحافل الماسونية، ومات بحالة اليأس لمخالفة الأشراف لرأيه بمحاربة الإنكليز. وجاء عنه أنه قال قبل وفاته عندما بُشّروه بولادة ابنته ماري: « جاءَ التاج مع فتى وسيذهب مع فتى ». والتاريخ لا يمدح اضطهاده لتابعٍ للإصلاح.

اضطراب الماسونية

سنة ١٥٣٥ ب.م: وإن رأى الكهنة حالة هذه الجمعيات السرية وأن أعمالها مستورّة لا يظهر منها شيءٌ لأحد أياً كان ما لم يكن منتظمًا في سلوكها ثار غضبهم عليها وهددوها بالخراب المحيق، ولم يكتفوا بما أتوه من المظالم نحو هذه الفتنة الشريفة حتى شکوها سرّاً وجهراً لغضدها مبادئ «لوثيريوس» المدعي للإصلاح ونادوا بتظلمهم منها، وطلبو ملاشاتها بأي وجهٍ كان ولم يختشو في ذلك عتاباً ولم يرهبوا عقاباً. وكان من جملة الذين انصاعوا لتعاليم «لوثيريوس» قوم من الإكليلوس فاتهمهم الكهنة باشتراكهم في هذه الجمعيات وشكوهُم بأنهم يدخلون إلى تعاليم الكنيسة ما لا يجوز إدخاله من التعاليم الخفية المضادة للأوامر الإلهية، ونسبوا إليهم بعض

الرئاسة الزمنية والروحية مدّعين أن هذه الجمعيات هي بقية جمعيات فرسان مار يوحنا، وقد أرادت الانتقام لرئيسها الأعظم المقتول ظلماً بقتلهم الملوك سلالة أولئك الأمراء بقتله.

سنة ١٥٣٥ ب.م: واجتمعت المحافل الماسونية في كولوني برئاسة «هرمانوس الخامس» أسقف كولوني (انظر [الباب الأول، الفصل التاسع]) يوم ٢٤ يونيو سنة ١٥٣٥ نفسها، وأذاعت منشوراً أظهرت فيه شيئاً من تعاليمها لتنافي قول المعدين، ونشرته على الملأ حتى إذا جرى الاضطهاد عليهم في تلك البلاد شديداً تمكناً من المهاجرة إلى حيث يريدون، وهناك يثبتون تعاليمهم الشريفة في أربعة أقطار العمور. وفي هذه السنة ترك ملك إنكلترا والبرلمان طاعة البابا وسمى الملك نفسه رأس الكنيسة وحول ٩٢٦ محلًّا للعبادة إلى أماكن للحكومة.

سنة ١٥٣٩ ب.م: وسنة ١٥٣٩ تلاشت كثير من المحافل الماسونية لقلة ذات يدهم وعسر معاشهم، فتعدرت عليهم أسباب الأشغال فعادوا يسيرون القهقرى بعد تقدمهم العظيم. وكانت هذه الجمعيات – وقد بقي منها أثر قليل لا يعتد به – قد قامت يدًا واحدة لنصرة بعضها البعض علّها تفوز بإرجاع عظمتها الأولى، وذهب بعض أعضائها ليكرزوا في أربعة أقطار فرنسا، ويحثوا الناس على التكافؤ والانتظام في سلك هذه الجمعية الشريفة، وكادوا يفوزون بمازفهم لو لا أمر أصدره فرنسو الأول منع به كل اجتماع سري خصوصاً جماعة الماسون من أي نحلة كانوا.

سنة ١٥٤٠ ب.م: وسنة ١٥٤٠ قتل «توما كرومويل» الأستاذ الأعظم في إنكلترا وخلفه يوحنا توشت لورد أولي أستاداً أعظم على الماسون وشغل الماسون في بناء كلية المجدلية في كمبردج وبنائيات أخرى.

سنة ١٥٤٠ ب.م: وفي هذه السنة اشتهر إصلاح «لوثيروس» في ألمانيا وغيرها فزعزع أساس السلطة البابوية ورمي الماسونية بمقلع المصائب والرزايا ورشقها بسهام الانشقاق الميتة، فتأخرت الأشغال والأعمال مما كانت عليه كثيراً وتوقف الشعب المسيحي عن بناء الكنائس والمعابد في ألمانيا؛ فأغلقت المحافل الواحد بعد الآخر حتى إنه بمنة وجيزة تناهى الجميع البناء العظيم وكيفيته وقام مقامه البناء البسيط، ولم يكن الحال كذلك في إنكلترا، بل كانت الماسونية زاهية فيها.

إدورد السادس ملك إنكلترا

سنة ١٥٤٧ ب.م: وتبأ الملك «إدورد السادس» سنة ١٥٤٧، وكان قاصراً فعِّين وصيَّاً له إدورد سيمور دوق أوف سومرست فأخذ على نفسه ترتيب الماسون، وبنى بيت سومرست في ستريند. وُقتل هذا الدوق سنة ١٥٥٢؛ لأنَّه كان مخلصاً لعائلة ستورت، وبعد قتله أخذت الحكومة بيته، ثم عُيِّن يوحنا بوينت أسقف ونشستر رئيساً على المحافل الماسونية إلى حين موت الملك سنة ١٥٥٣.

سنة ١٥٥٣ ب.م: ولَا توفي إدورد السادس في ٦ يوليو سنة ١٥٥٣ جعلت «حنة غراري» حفيدة «هنري السابع» ملكة إنكلترا، واستمرَّ ملكها عشرة أيام فقط وتشتت حزبها، وجلست ماري بكر هنري الثامن مكانها، فقتل دوق نورثمبرلند وحنة وزوجها، وما ت على إثر انتصار الفرنسيين في كالي في ١٧ نوفمبر سنة ١٥٥٨ بعدها أحرقت كثرين وظلمت ظلماً فاحشاً.

سنة ١٥٥٨ ب.م: وبقي الماسون بلا أستاذ أعظم إلى أن جلست إلیصابات على سرير الملك بعد وفاة ماري في ١٧ نوفمبر سنة ١٥٥٨، فعين السر توما ساكفيل أستاداً أعظم، وكانت المحافل تجتمع في كل جهات إنكلترا بلا ممانعة ولا معارضة، وكان مركز المحفل الأكبر في يورك، حيث كان الإخوة أكثر عدداً من بقية الجهات، وكانوا مشهورين بغيرتهم فاعتبروا كثيراً.

سنة ١٥٦١ ب.م: وسنة ١٥٦١ ثار المفسدون فأضروا فؤاد الملكة «إلیصابات» غيظاً على الماسونية واتهموا البنائين الأحرار وجمعياتهم بالتشييع والأغراض، وأنها لم توجد إلا للخراب والدمار، وزادوا لها الوشاية عن الجمعية أنها تجتمع سراً لأمور لا تتوافق الملكة، وكانت إلیصابات تخاف من الجمعيات السرية فأوجست منها شرراً. ودرى الأستاذ الأعظم بوشایات المفسدين، فتدبر الأمر بحكمته وعقله، وأدخل ضباط العساكر وأصحاب المناصب العالية في المحافل الماسونية بعدما صادقهم وعاشرهم وامترج معهم.

سنة ١٥٦١ ب.م: وفي ٢٧ ديسمبر سنة ١٥٦١ أرسلت الملكة قوة مسلحة إلى يورك لقفل المحفل الماسوني ومنع الإخوان من الاجتماع، فأحاطت العساكر بالمحفل ومنعوا افتتاحه. ولكن الضباط الذين كانوا يقودونهم عادوا إلى الملكة ورفعوا لها التقارير الحسنة عن الجمعية فصدقُتهم واقتصرت بحسن نية الجمعية، فأصدرت

أمرًا ثانِيًّا يخالف أمرها الأول ومنحthem كل امتيازاتهم وحقوقهم القديمة، ولم تعد إلى معارضتهم في كل مدة حكمها. وفي مدة حكم هذه الملكة حدثت مذبحة مار بريثولماوس في فرنسا، حيث قُتل جمهور غفير من البروتستانت وبينهم جماعة من الماسون، وكان هؤلاء يأتون من ألمانيا وهولندا وفرنسا وغيرها ويستجرون بإنكلترا فتحميهم من الظلم، فأدخلوا معهم كثيرًا من الصنائع والفنون إلى البلاد الإنجليزية. وأدخل الهولنديون الشاي إلى إنكلترا والجرمانيون الساعات، وأدخل أحد أمراء الإنكليز التبغ والبطاطا، وسنة ١٥٨٠ عملت المركبات وسنة ١٦٠٠ أُسست شراكة الهند الشرقية التي دخلت بلاد الهند بسببها في طاعة بريطانيا.

سنة ١٥٦٢ ب.م: وفي سنة ١٥٦٢ ب.م التأمت الجمعيات الماسونية المنقطعة لبناء الجسور وانتخبت جان دي ميديسيس أستاذًا أعظم لها.

محفل ستراسبورج الألماني الأعظم

سنة ١٥٦٣ ب.م: وسنة ١٥٦٣ اجتمع محفل ستراسبورج الألماني الأعظم بعدما نازع محفل كولوني الرئاسة طويلاً، وطلب في تلك السنة اجتماع مجمع عام، فالتأم ماسون ألمانيا وسويسرا في بال وقرعوا التقاضير والفصول المطلولة عن حالة البناء والصناعة، وما وصلت إليه في تلك الأيام وبحثوا طويلاً ليروا الوسائل المهددة للعقبات الحائلة دون إتمام بنيات الكنائس والمعابد، إذ كان يضاههم الكهنة بذلك (انظر [الباب الأول، الفصل التاسع]).

سنة ١٥٦٤ ب.م: وسنة ١٥٦٤ اجتمع الماسون في ستراسبورج أيضًا وقرر أن المحافل الباقي ترفع قضيتها فيما بعد لمحفل ستراسبورج الأعظم وهو يرى بها ولا يتعرض فيما بعد لمجالس أخرى، فصار محفل ستراسبورج مركزاً لأعمالهم بدلاً من محفل كولوني.

وبقي السر توما ساكفيل أستاذًا أعظم للمحافل الإنكليزية إلى سنة ١٥٦٧ فاستُعفيَ وصار رئيسًا مكانه فرنسيس رولس أوف بدنورد والسر ثوماس جريشام أحد التجار المشهورين وتولى الأول رئاسة الماسون في الجهة الشمالية.

والثاني الرئاسة في الجهة الجنوبية؛ لأن الماسون كانوا قد زادوا بسبب التقرير الحسن الذي تقدم للملكة إلصايبات عنهم وارتياحها إليهم كما ذكرنا آنفًا. وبقي الاجتماع السنوي يعقد في يورك، حيث تحفظ كل التقارير والسجلات، وحيث تُفصل كل المشاكل والأشغال المهمة.

وبنى السر ثوماس جريشام سوقاً للبورصة غاية في الإتقان اشتغل فيها جماعة الماسون ووصفها التاريخ الماسوني الإنكليزي وصفاً مدققاً فلم نر حاجة لذكر فخامتها، وإنما نقول: إنها كانت تحتوي على مائة وعشرين دكاناً^{١٣} عدا البناء الأخرى.

وزارت الملكة إلصايبات السر ثوماس جريشام وتغدت عندـه ثم زارت السوق وسررت من إتقانها وترتيب بضائعها، وأمرت أن تصبح الموسيقى العسكرية فيها وحينئذ ظهر السر ثوماس بملابسـه الماسونية أمام جميع الناس، وأعلن أنه رئيس الماسونية فسررت الملكة، وتأكدت أن الجمعية مؤلفة من بنائين ماهرين ومن غير بنائين من لهم شغف وحب للبناء، وأن لا دخل للسياسة فيها، ورأى الشعب ذلك فنمت الجمعية وأنشئت المحافل في كل جهات المملكة وكثير عدد الماسون في لندن وضواحيها وأتموا أعمالاً عظيمة بتنشيط السر ثوماس جريشام المشار إليه.

سنة ١٥٣٨ م: وخلف السر ثوماس في الرئاسة على الماسون بالجهة الجنوبية تشارلس هوـرد أـرل أوـف اـثنـاهـام، وبـقـي يـرـأس تـلـكـ المـحـافـلـ إـلـىـ سـنـةـ ١٥٨٨ـ، فـانتـخـبـواـ جـورـجـ هـاستـنسـ أـرـلـ أوـفـ هـانـتـدـونـ، وبـقـيـ فيـ هـذـاـ منـصـبـ إـلـىـ وـفـاةـ الـمـلـكـةـ إـلـيـصـاـبـاتـ فيـ ٢ـ٤ـ مـارـسـ سـنـةـ ١٦٠٣ـ، وـقـدـ دـامـ حـكـمـهـ ٤ـ٥ـ سـنـةـ فـيـ أـثـنـائـهـ قـتـلـتـ مـارـيـ سـتوـرـتـ مـلـكـةـ اـسـكـوـتـلـانـدـ أـمـ جـمـسـ السـادـسـ بـعـدـمـ أـبـقـتـهـ أـسـيـرـةـ عـنـهـاـ ١٩ـ سـنـةـ، وـعـمـلـتـ أـعـمـالـاـ عـظـيمـةـ، وـزـادـ مـجـدـ شـعـبـهـاـ بـمـسـتـعـمـرـاتـهـ الـتـيـ أـسـتـ فيـ جـهـاتـ الـأـرـضـ الـمـخـالـفةـ، وـانـقـرـضـتـ دـوـلـةـ تـيـوـدـورـ بـوـفـاتـهـاـ بـعـدـمـ مـلـكـتـ نـحـوـ ١١٨ـ سـنـةـ.

^{١٣} احترقت هذه السوق سنة ١٦٦٦، وأقاموا بناية مكانها واحتـرقت سنة ١٨٣٧ وبنـيـتـ غـيرـهـاـ.

المملوك جمس ستورت السادس لاسكوتلندا والأول لإنكلترا

سنة ١٦٠٣ ب.م: ولد جمس ستورت الملك السادس لاسكوتلندا والأول لإنكلترا في ١٩ يونيو سنة ١٥٦٦ في مدينة أيدنبرج باسكوتلندا وملك على اسکوتلندا في يوليو سنة ١٥٦٧، وبعد وفاة إلیصابات في ٢٤ مارس سنة ١٦٠٣ خلفها ملکاً على إنكلترا وتوج في ٢٥ يوليو سنة ١٦٠٣ بكنيسة وستمنستر، وكانت إلیصابات قبل موتها قد أقرّت له بالخلافة من بعدها؛ لأنّه كان ابن ابنة هنري السابع ملك اسکوتلندا التي قطعت إلیصابات رأسها، ومن ذلك الوقت انضمت اسکوتلندا إلى بريطانيا وصارت مملكة واحدة وتوفي جمس في قصر ثيوبليس سنة ١٦٢٥ (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصنون»).

وقد ابتدأ مُلک جمس عندما خلعت أمه ماري ستورت ملكة اسکوتلندا وانتقلت السلطة إلى أيدي البروتستانت فجعل الوصي عليه أرل مار، وعين العالم جورج بوكانان أستاذًا له، وسنة ١٥٧٧ استلم جمس السلطة وسنة ١٥٨٢ عقد محالفه بالنيابة عن البروتستانت مع إلیصابات ملكة إنكلترا التي كانت الدول الكاثوليكية تتهدّدها، وسعى في نجاّة أمه من الموت عندما صدر الحكم عليها بالقتل في إنكلترا فلم ينجح، واتحد مع إنكلترا عند خروج الأسطول منها.

سنة ١٥٨٩ ب.م: وسنة ١٥٨٩ سافر إلى الدنمارك وتزوج بحنة ثانية بنات فردريريك الثاني، وألّف كتابه المعروف بـ«باسيليون دورن» لتعليم ابنه هنري، وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٥٩٩.

سنة ١٦٠٣ ب.م: وحاول إرجاع الطريقة الأسفافية فخاب مسعاه. وفي ٢٤ مارس سنة ١٦٠٣ نادى المجلس الملكي باسمه ملکاً لإنكلترا ضد وصية هنري الثامن، وكانت إلیصابات قد اعترفت له بهذا الحق كما تقدم. وفي ٥ أبريل سنة ١٦٠٣ خرج من أيدنبرج قاصداً لندن، وكان جسمه ضخماً وعوائده خشنة قبيحة وهيئته مكربة فلم تحبه رعيته الجديدة كما يجب، ولكنَّ المسؤولية التي كان منها عضدت أعماله الأدبية، ولا سيما عند المباشرة بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنكليزية تحت نظره وتدبّره، وكان عالماً عارفاً حذقاً أدبياً بارغاً في العلوم والمعارف يحب المطالعة والتأليف ويعرف اللغة العبرانية واليونانية واللاتينية مغرماً بالتكلم بها حتى إن وزراءه كان يصعب عليهم أحياناً أن يفهموا كلامه، وكان يبغض الحروب ولذلك قضى معظم حياته بالسلم.

سنة ١٦٠٧ ب.م: وسنة ١٦٠٧ انتخب الملك «جمس» حاميًّا لللماسونيَّة في إنكلترا فزاد عدد المحالف في أيامه؛ ولذلك بعد إعلان حكمه على إنكلترا واسكتلندا وأيرلندا نَمَتِ اللماسونيَّة كثيرًا في إنكلترا واسكتلندا، وكانت المحالف تجتمع تحت عنایته. وعاد كثيرون من الماسون الذين تفرقوا في جهاتٍ أخرى، وقد زادوا اختبارًا ومعرفةً فأحיוوا ما كان قد اندرس من اللماسونيَّة الرومانية واليونانية القديمة وجلبوا معهم رسومًا وكتبًا وأشياء مختلفة لفن البناء، وجاء بينهم الماسوني الشهير أنيكوجونس ابن أنيكوجونس من أهالي لندن، وهو الذي كان يتعلم صناعة النجارة. وبرع هذا الشاب في أعماله، وكان يميل ميلًا خصوصيًّا لفن الرسم والتلوين، فبرع بهما وأتقنهما على يد المعلم وليم هربرت، ثم على يد الأرل أوف بمبروك، فلما رأى هذا براعته وأمياله الخصوصية إليهما أرسله على نفقة إلى إيطاليا، وهناك أتقن هذا الفن على أحد تلامذة أندريا بلاديو المشهور، وعاد إلى إنكلترا وتعاطى فن البناء والنقوش، ففاق الأقران وزاحم مَهْرَة الإيطاليين.

سنة ١٦٠٧ ب.م: ولا كان الملك «جمس الأول» حاميًّا لللماسونيَّة ونموها يزيد في أيامه سُمَّي «أنيكوجونس» المذكور مهندسًا عموميًّا له وعيَّنه أستاذًا أعظم على المحالف اللماسونيَّة في إنكلترا فانضم إليها كثيرون من المتعلمين، وازدادت أهمية الجمعية وشهرتها، وأتى كثيرون من النقاشين والبنائين إلى إنكلترا من الخارج فقوبلوا بالترحاب ولقوا كل تشجيع.

وزادت العلاقات اللماسونيَّة بين الإنكليز والطليان، ونظمت المدارس على نسق مدارس إيطاليا وبنيت المباني الفخيمة بعنایة الملك وأمر أنيكوجونس أن يبني للملك قصرًا جديًّا في هوَيَّتهول يليق بسكنى الملوك.

سنة ١٦٠٧ ب.م: وفي هذه السنة جاءَ الملك «جمس» بحضور «جونس» الأستاذ الأعظم و«وليم هربرت» و«أرل أوف بمبروك» المبنيَّ والأستاذ نقولا ستون وكثيرين من الماسون، وكانوا جميعهم بملابسهم اللماسونيَّة الرسمية. وجاء كثيرون من غير الماسون بالدعوة أيضًا لمشاهدة الاحتفال فتقدم الملك بعد تقديم الفروض اللماسونيَّة ووضع بيده حجر الزاوية لتلك البناء التي لم يقم أكبر من قاعتها من أيام أغسطس قيصر وجعلت لمقابلة السفراء، وقد نقشها السر بطرس بولس رو宾سن (الذي كان سفيرًا لإنكلترا في أيام تشارلس الأول)، وقد صارت الآن كنيسة للعبادة، وكان لهذا العمل تأثير عظيم في كل المملكة.

سنة ١٦١٨ ب.م: وبقي «أنيكو جونس» أستاذًا أعظم للماسون إلى سنة ١٦١٨ وخلفه أرل أوف بمبروك، فانضمَّ إلى الماسونية كثيرون من الموسرين وأشراف الأهالي بمدة الرئاسة.

سنة ١٦٢٥ ب.م: وتوفي جمس سنة ١٦٢٥ غير محمود في سياسة المملكة الداخلية والخارجية، وتبوأ تخت الملك بعده ابنه تشارلس الأول.

سنة ١٦٣٠ ب.م: وبقي أرل أوف بمبروك أستاذًا أعظم للماسون إلى سنة ١٦٣٠، حيث استُعْفِيَ وخلفه على الرئاسة العظمى في المحاول الإنكليزية أرل أوف دانبي هنري دانفرس.

سنة ١٦٣٠ ب.م: وفي هذه السنة (١٦٣٠) كانت الماسونية في اسكتلندا لا تزال على حالها واجتمع الإخوة الماسون وقرروا إثبات وراثة الرئاسة العظمى لورثة وليم سانكلار بارون دي روسلين التي كان جمس الثاني ملك اسكتلندا قد منحه إياها مكافأةً له على أعماله المجيدة (انظر [الباب الثاني، الماسونية العلمية، جمس الثاني ملك اسكتلندا)، وبقي هذا القرار معمولاً به إلى سنة ١٧٣٦.

سنة ١٦٣٣ ب.م: وبقي أرل أوف دانبي هنري دانفرس أستاذًا أعظم على المحاول الإنكليزية إلى سنة ١٦٣٣ وخلفه ثوماس هورد أرل أوروندل، جد عائلة نورفوك وخلفه سنة ١٦٣٥ فرنسيس روسل أرل أوف بدنور، وكان أنكوجونس يعهد المحاول بتلك المدة فانتخب ثانيةً إلى الرئاسة العظمى في سنة ١٦٤٦، وبقي رئيساً إلى يوم وفاته من تلك السنة فحزن الناس عليه حزنًا شديداً ودفنته بالإكرام اللائق بمقامه، وكانت أعماله العظيمة وبنياته الجميلة أعظم أثر له ولا يزال التاريخ يذكر بالثناء شارع الملكة العظيم والمستشفيات والبنيات التي بناها أنكوجونس في لندن وغيرها، ويطنب في مدح هذا المفضل.

إلياس أشمول

سنة ١٦٤٦ ب.م: وبقيت المحاول الماسونية في اسكتلندا وفرنسا وألمانيا وغيرها من المالك تجمع حسب عادتها بنجاح مستمر فانتظم في سلوكها السراة والأشراف والأغنياء والعلماء، ومن ذلك الوقت أخذ موضوع الجمعية يتغير بما كان عليه وصار أكثر عملها رمزيًا لا عمليًا، وقام إلياس أشمول العالم بالآثار، والذي أسس متحف

أكسفورد ونوح قوانين جمعية الصليب الأحمر التي أنشئت في لندن وطبقها على تعاليم الجمعية الماسونية العملية، وغيرَ وبَدَلَ في إشاراتها ورموزها حتى صارت تقرب من رموز البنائين وإشاراتهم، إلى غير ذلك مما يطول شرحه، فقبلت تلك الجمعية عمله بالشكر، وصارت تعقد جلساتها في محالف البنائين الأحرار. والتاريخ الماسوني الإنكليزي يمتحن اجتهاد هذا الأخ الفاضل، ويقول إنه خدم الماسونية بكل جهده وجمع كثيراً من بقایاها فعلم أنها تشبه ما هي عليه الآن من جهة أسرارها وإشاراتها وأقسامها وكل أعمالها، وتحقق قدmitها حسبما دوناه في هذا الكتاب، ويتصفح من كتابات الدكتور نيب من كنيسة المسيح في أكسفورد أنهم وجدوا مجموعات ثمينة من تاريخ الماسونية نسقها ورتبتها ونوحها إلياس أشمول وعليها عوّل المؤرخون وصدقّوها لانتظامها على حالة الجمعية في كل زمان ومكان، والتاريخ الفرنسي يمدح هذا الأخ، ويقول إنه لما رأى نجاحه في العمل خطر في باله أن يحور في الدرجات التي كان يُقبل الطالب بها فنوح فيها كثيراً، ووافت المحافظ البريطانية على كل ما ارتاه حسناً وعوّلت عليه من ذلك الحين، وتوفي سنة ١٦٤٦ فحزن عليه المasons حزناً عظيماً.

تشارلس الأول ملك إنكلترا

أما تشارلس الأول فولد في مدينة دنفرملين في ١٩ نوفمبر سنة ١٦٠٠، وهو الولد الثاني لجنس ستورت، ولما توفي أبوه في ٢٧ مارس سنة ١٦٢٥ جلس تشارلس مكانه وكان محبوباً عند الأمة يدهش الناس بجماله وظرافته، وكان متوسط الجسم عذب المنطق، بارعاً مهذباً يميل إلى ركوب الخيل، ويحب الاستبداد، وتزوج البرنس هنريتا ابنة هنري الرابع ملك فرنسا فأدت معها بقصوس وخدم فرنسيوسين، فأغروا تشارلس بأمر لم يستحسنها الإنكليز. وكان بينه وبين البرلمان مقاومة وخصوصة واستبد في سلوكه فنفر الناس منه. وسنة ١٦٤٢ حدث حرب أهلية بين حزب الملك وحزب المجلس، وانتصر «أوليفر كرومويل» على الملك فقبض عليه وأبقاءه في قصره.

سنة ١٦٤٩ ب.م: وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٦٤٩ أمر «كرومويل» فأُتي بالملك للقتل والعسكر حوله بالسلاح فتقديم نحوهم بثبات وهدوء، وقال: لقد نزعوا عنِي تاجي الذي يفني، ولكنني ذاهب لأنّال تاجاً لن يفني، ثم جثا على ركبتيه وصلّى والتفت نحو

الشعب ووَدَّعُهم فَأَثْرَ ذلك بهم أشد تأثير، ولا سيما بجماعة الماسون الذي كان منهم، وأمر كرومويل فوضع عنق الملك على خشبة ورفع الجلاد فأساه وقطع بها رأسه، فقد الماسون من تلك الساعة على كرومويل، ولكنهم لم يجسروا على مقاومته، بل أخفوا ابن تشارلس عنه لئلا يودي به كأبيه. واستولى كرومويل على زمام المملكة وألقى مهابته في قلوب الناس وجعل إنكلترا جمهورية، وسنة ١٦٥٤ نودي به حاكماً وبقي أربع سنين ثم مات بالحمى سنة ١٦٥٨ وعمره ٥٩ سنة، وخلفه ابنه رتشرد في ذلك المنصب وبقي أربعة أشهر فقط.

منهاج جديد في الماسونية

سنة ١٦٥٠ ب.م: وكانت الماسونية من سنة ١٦٥٠، أي بعد مقتل «تشارلس الأول» قد نهجت منهاجاً جديداً بخلاف عادتها؛ لأنها لم تعد تحتمل الظلم – قال صاحب «التاريخ الماسوني الفرنسي»: إن ماسون إنكلترا عموماً وماسون اسكتلندا خصوصاً استاءوا من ظلم كرومويل المغتصب وابتدعوا يشتغلون سراً وجهراً ليلاً ونهاراً ليりدوا إلى سرير الملك الوريث الشرعي لتشارلس الأول، ويخلعوا «كرومويل» فاستخدموا لذلك الإشارات والرموز المستعملة عند الماسون للتعرف ليتمكنوا من الاجتماع والمداولة فيما ينبغي عمله، ولما كان بينهم مبتدئون وأشخاص ضعفاءً أديبياً لا يمكنهم أن يطلعهم على هذا السر العظيم شكلوا درجات عالية لقبول من يروا فيه اللياقة للعمل وقبلوه في سلكهم فرحين، وفي خلال هذه المدة أدخلوا تشارلس الثاني ابن تشارلس الأول في محافلهم الماسونية وأطلاعوه على ما ينون.

سنة ١٦٦٠ ب.م: وسنة ١٦٦٠ كان الجنرال «جورج منك» الماسوني الشهير الذي كان صاحب سطوة وهيبة في العسكرية قد دعا بكر تشارلس الأول الذي كان مختفيًا ليعود إلى لندن، ويستلم زمام الملك فأتاهما، وفي ٨ مايو سنة ١٦٦٠ سُمي ملكاً على إنكلترا باسم تشارلس الثاني.

وخلع «كرومويل» وقتئذٍ فقدر «تشارلس» ذلك للماسون حق قدرهم واندفع من ذلك الوقت أشد الاندفاع لخدمة هذه الجمعية، وكان يسميه الصناعة الملوكيَّة، ويجتمع مع الإخوان في المحافل فنَّتْ وزَهَّتْ في أيامه بعدما كانت قد تأخرت في أيام «كرومويل» المغتصب وترقى الجنرالِ منهك وغيره وعقب قتله أبيه.

سنة ١٦٦٣ ب.م: وفي ٢٧ ديسمبر سنة ١٦٦٣ اجتمعت الماسونية الإنكليزية اجتماعاً عمومياً في مدينة يورك برئاسة «تشارلس الثاني»، فانتخبوا «هنري جرمين أول أوف سانت ألباño» أستاذًا أعظم وهو اختار «يوحنا دنهام» نائبًا له والسر «خريستوفور ورن»^٤ الذي منحه «تشارلس الثاني» رتبة البابا منبهاً أول، و«يوحنا وب» منبهاً ثانياً، وفي تلك الجلسة عمَّ الاتحاد المحالف كلها وتقرر اتباع المواد الآتية فيسائر المحالف، وهي:

- (١) لا يُقبل أحد في الماسونية مهما كان مقامه إلا في محفل قانوني مؤلف من رئيس سابق أو حالي ومنبهين وموظفيين أصoliين.
- (٢) لا يُقبل في الماسونية إلا أقوياء الجسم المعروف لهم والدان شرعاً (أبناء حسب ونسب)، وينبغي أن يكون صيتهم حسناً وسيرتهم طاهرة ويحافظون على شرائع المملكة.
- (٣) لا يَقبل محفل ماسوني إلحاقي آخر فيه من محفل آخر ما لم يكن معه شهادة من محفله الأصلي موضح فيه اسم المحفل وتاريخ القبول، وقبل قبوله يكتب الرئيس اسمه ويعرضه في كل اجتماع، ومتى قُبِل يُكتب اسمه بين الأسماء الملحة ويُحفظ في سجل المحفل.
- (٤) على كل ماسوني يرغب زيارة أي محفل غير محفله أن يجلب معه شهادة من محفله لكي يُقبل كأخٍ في المحالف التي يزورها.
- (٥) يتعين أستاذ أعظم للمحالف ويحكم عليها بنظام من الآن فصاعداً، وفي الاجتماع السنوي لكل محفل ينتخب له الموظفون للسنة كلها.
- (٦) لا يُقبل أحد في الماسونية قبل بلوغه الحادية والعشرين من العمر.

^٤ ولد خريستوفور ورن سنة ١٦٢٢ وهو الولد الوحيد للأسقف ورن فرباه والده إلى أن بلغ الثالثة عشرة من العمر، فظهرت عليه مخايل النجابة والليل الشديد إلى العلوم والفنون ودخل المدرسة الكلية في إكس سنة ١٦٤٦، وترعرع بعناية الدكتور جون ولكنز وغيره من المعلمين فاخترع عدة اختراعات مهمة، وألف كتاباً كثيرة في مواضيع شتى، ومن جملة اختراعاته آلة الفلكية التي كانت واسطة عظمى لتوسيع نطاق علم الفلك، وأله لتقسيم أوقات النهار بالتساوي، وهو الذي اكتشف طريقة البناء تحت الماء وكيفية بناء السدود في البحر والصعود في الأنهر بالقارب، وهو الذي بحث عن أصل الأثير وحسن في نوع البناء وعمل أعمالاً عظيمة يذكرها له العلم والتاريخ بالفخر والشكر مدى الدهر.

سنة ١٦٦٦ ب.م: وفي شهر يونيو سنة ١٦٦٦ خلف أرل أوف سانت ألبانو ثوماس سافاج أرل أوف ريفرس، وانتخب السر خريستوفور وَرِن ناثاً لـه أيضًا، وأظهر خريستوفور وَرِن أهلية وليةاقة في الماسونية دلّت على أنه أهل لكل اعتبار، ونجمت المحافل التي كانت تجتمع في ذلك الوقت باهتمامه، خصوصًا محفل مار بولس ومحفل أنتكتوتي الذي رأسه أكثر من ثمانية عشر عامًا، وبرهن في كل أعماله على ثقة الماسونية به، وظهر من مراجعة سجلات محفل أنتكتوتي أنه كان يحضر كل اجتماعاته القانونية وأهدى إليه ثلاثة شمعدانات من خشب الماهوكونو لا تزال محفوظة تذكار شرف وكنزًا ثمينًا يردد الرحمة عليه لأجلها كل ماسوني يقرأ عنه في كتابات الأحرار.

تشارلس الثاني ملك إنكلترا

سنة ١٦٦٦ ب.م: ولد تشارلس الثاني بكر تشارلس الأول في مدينة دنفرملين في ٢٩ مايو سنة ١٦٣٠ وعندما قُتل أبوه في ٣٠ نوفمبر سنة ١٦٤٦ طلبه كرومويل ليلاجه بأبييه؛ لأنه خاف من هياج العساكر وبقاء الشعب عندما قطع رأس تشارلس الأول، وكان جماعة الماسون قد أبعده وحدثت حروب وفتن أثناء ذلك الوقت لا محل لذكرها في هذا الكتاب. وجاء تشارلس إلى اسكتلندا فأدخلوه الماسونية وتوجوه ملگاً عليها، وحارب إنكلترا سنة ١٦٥١ بالجيش الاسكتلندي الذي كان عنده لعله يعود إلى ما كان عليه والده فُغلب وهرب إلى فرنسا، ودُوَّخ كرومويل اسكتلندا، وبقي تشارلس في فرنسا وهولندا وغيرها إلى أن تغيرت الأحوال وجاء الجنرال منك بسبعة آلاف فارس في ٣ فبراير سنة ١٦٦٠ من اسكتلندا ودخل لندن، حيث حادث البرلمان بعودة الملك تشارلس الثاني وجلوسه على عرش الملك فقرر البرلمان ذلك.

وفي ٨ مايو سنة ١٦٦٠ أُعلن تشارلس الثاني ملگاً لإنكلترا واسكتلندا فأحضره الجنرال منك من هولندا إلى إنكلترا في ٢٩ مايو الذي هو يوم عيد ولادته فدخل لندن باحتفال عظيم وسط تهليل الأمة، وكان حَسَنَ الخصال حميد السلوك، ولكنه لم يُحسن التصرف بالملك كما ينبغي وأمر فنبشوا قبر كرومويل وغيره من الذين قتلوا أبيه تشارلس الأول وصلبهم وعاقب الأحياء منهم.

وفي بداية ملکه على إنكلترا تأسست فيها الجمعية الملكية سنة ١٦٦٠، فكانت سببًا لتقدير العلوم والمعارف في تلك البلاد.

وتزوج كاترينا بрагنر ابنة ملك البرتغال سنة ١٦٦٢ فجلبت صداقها خمسمائة ألف ليرة ومستعمري طنجة في أفريقيا وبمباي في الهند فترك تشارلس طنجة لعدم انتفاعه منها وأعطى بومباي للشركة الشرقية الهندية.

وسنة ١٦٦٣ كان أول ضرب الجندي الإنكليزي، وسميت «جنيه» بسبب جلب الذهب من غينيا بمعرفة أرباب الشركة التجارية الأفريقية. ونشط الجمعية الماسونية أي تنشيط، وكان رئيساً عليها مدة حياته.

وأجرت حروب وقلائل في مدة ملكه وأمور عظيمة جداً، وتوفي بداء السكتة في ٦ فبراير سنة ١٦٨٥ (انظر ترجمته في كتابنا «الجوهر المصنون في تراجم مشاهير المasons»).

حريق لندن

سنة ١٦٦٦ ب.م: وفي سنة ١٦٦٥ حدث وباء في لندن أهلك نحو مائة ألف نسمة، وفي ٢ سبتمبر سنة ١٦٦٦ حدث حريق هائل فيها أيضاً ابتدأ في بيت خباز وامتد إلى البناء الخشبية واندلع لسان اللهيب فالتهمت النار كل ذلك الشارع، وامتدت بسرعة إلى جهات لندن الأربع على مساحة متسعة فاحترق ثلاثة عشر ألف بيت و٨٩ كنيسة من جملتها كنيسة مار بولس الشهيره عدا عن بيوت العبادة الصغيرة، ولم ينجُ من الحريق سوى ١١ حياً من أحياe المدينة.

وبعد هذا المصاص العظيم عزموا على بناء المدينة بحجر وقرميد عوضاً عن الخشب، وعيّن الملك «تشارلس الثاني» الأستاذ الأعظم «ديبوتي ورن» ليخطط المدينة ويجعل شوارعها متسعة فاستعان ورن بروبرت هوك أستاذ الهندسة في كلية جريشام فخطط بيوت الأهالي، وورن خطط عموم المدينة والكنائس والمعابد وكل محلات الحكومة المهمة ورفع خريطة إلى الملك فلقي ورن أشد المعارضات من أصحاب الأملاك، ولم ينجح في إقناعهم بتوسيع الشوارع وفات لندن فرصة لو اغتنموها وكانت بهجة الدنيا، ولكنهم أصرّوا على عنادهم وأعادوا البناء على الأسلحة القديمة.

سنة ١٦٦٧ ب.م: وفي ٢٣ أكتوبر سنة ١٦٦٧ وضع الملك بيده حجر الزاوية للرويال أكستشانج. وفي ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٦٩ احتفل بها محافظ لندن بحضور أعيان

المدينة، وكان في وسطها تمثال الملك الحالي من الرخام الأبيض صنع جيبونس المنبه الأول الأعظم للمحفل الأكبر وتماثيل بقية الملوك.

سنة ١٦٦٨ م: وسنة ١٦٦٨ شرع في بناء كُمْرُك لندن الذي احترق فيما بعد وأقيم مكانه بناءً جميل، وشروعوا في بناء مسرح التمثيل في أكسفورد على نفقه جلبرت شلدون أسقف كنتبريري في ٩ يوليو سنة ١٦٦٩، وفي ذلك الوقت بنيت الأنتخانة على نفقة الشعب بجانب المسرح.

سنة ١٦٧١ م: وسنة ١٦٧١ شرعوا في إقامة نصب تذكاريٌ للحريق ولتجديد مدينة لندن، وانتهى بناؤه سنة ١٦٧٧.

ثم تحول فكر الجمهور إلى بناء كنيسة القديس بولس فاشتغل أساتذة الماسون بعمل الرسوم المختلفة على أبدع الأساليب وأنقن الصناعة. وبعدما وافق الملك والأساقفة على أحسن رسم قدم لهم، باشروا العمل سنة ١٦٧٣ وحُفِظَ هذا الرسم إلى الآن في إحدى غرف الكنيسة.

وقد احتُفل بوضع حجر الزاوية بحضور جمهور عظيم من اللوردية والأسراف والأعيان والإكليرicos والمهندسين والنقاشين، وسَلَّمَ الرئيس الأعظم ريفر المطرقة للملك تشارلس الثاني فوضع الملك حجر الزاوية بيده ودقه بالمطرقة (باسم مهندس الكون الأعظم)، وناول المطرقة إلى السر «خريستوفور وَرن» الرئيس الأعظم السابق فحفظها ثم أهداها إلى محفل القديس بولس الذي يدعى الآن محفل الآثار (الأنتيكة)، ولا تزال محفوظة هناك إلى اليوم. وكان رئيس العمل الدكتور «ورن» الرئيس الأعظم السابق والمنبهون المستر «إدورد ستُرن» وابنه. وقد وصف هذه الكنيسة سعادة الأخ المحترم أمين باشا فكري ناظر الدائرة السنوية في كتابه المطبوع في مصر في مطبعة المقتطف المسمى «إرشاد الأَلَّا إِلَى مَحَاسِن أُورُوبَا» صفحة ٤٦٢ قال:

«كنيسة القديس بولس الكاتدرائية» هي أفحى المباني التي تستوقف الأنظار وتحار عندها الأفكار، قائمة على مرتفع يشاهد من بعيد، وكان بمكانها في الأصل هيكل لعبادة بعض الآلهة في الأزمان الخالية، ففي سنة ٦٠٣ بني بعض الملوك فيه كنيسة استمرت إلى سنة ١٦٦٦، فاحتُرقَت بتمامها وبقي محل خالياً تسع سنين حتى شُرع في وضع أساس هذه الكنيسة الحالية يوم ٢١ يونيو سنة ١٦٧٥، وانتهت في سنة ١٧١٠ بعد

أن ضربت الدولة لأجل إتمامها ضريبة على معادن الفحم الحجري، وبلغت نفقاتها نحو ٧٤٨ ألف جنيه.

وهي على هيئة صليب تشابه كنيسة القديس بطرس في رومه، وإن كانت أصغر منها، ويبلغ طول صحنها ١٥٢ متراً، وعرضه ٣٦ متراً، وارتفاع قبتها من الداخل ٦٨ متراً، ومن الخارج ١١١ متراً.

وهي أكبر الكنائس بعد كنيسة القديس بطرس بروميه كما تقدم وبعد كنيسة ميلانو الكاتدرائية، والناظر إليها من قريب لا يتحقق جسامتها لإحاطة الأبنية بغالب أطرافها فلا يتحقق من ذلك إلا إذا كان بعيداً عنها. ومنظر وجهتها من الخارج جميل جداً، عرضها ٥٥ متراً وأمامها سفينة محمولة على اثنى عشر عموداً من الرخام يُصعد إليها بسلم له اثنان وعشرون درجة وبمقدمة بنية مثلثة بها صور كثير من القديسين ناتئة في الحجر من صنع أحسن الصناع وأشهرهم.

أما من الداخل فهي خالية من النقوش والزخرفة كعادة البروتستانت في كنائسهم وبها كثير من قبور مشاهير الإنجليز وقواهم جرياً على عادتهم في دفن المشاهير من موتاهم في الكنائس تعلو قبورهم فيها الصور والتمايل، فمن ذلك قبر الأميرال رودني وبجوار قدميه تمثلاً شخصين يحيكى أحدهما للأخر حديث غزوات الأميرال المذكور على قصد أن الحاكى هو النصر والمحكى له هو التاريخ.

ولا يمنع إنسان من التفرج على ما بهذه الكنيسة من التحف والآثار في كل وقت غير أوقات الصلوة ويُعمل بها في كل سنة احتفالان عظيمان في شهري مايو ويוניوب أولهما لمساعدة أرامل القسس وأيتامهم، والثانى لمساعدة المدارس المجانية. انتهى.

والقسم الأسفل من هذه الكنيسة على الشكل الكورنثي ودشنت أول مرة في ٢ ديسمبر سنة ١٦٩٧، والحجر الأخير الذي عليه الفانوس وضعه حفيد ورين سنة ١٧١٠.

ولما كانت كنيسة مار بولس تبني كان آخرون يبنون بنايات أخرى مثل مستشفى بيت لحم الذي وضع أول حجر منه سنة ١٦٧٥ والمدرسة الكلية للأطباء

وغير ذلك من البناءات العظيمة الكثيرة، وقد ذكر بعضها بريستون في تاريخه الماسوني.

وبينما كانت هذه المباني الفخيمة تشارف في لندن تحت مراقبة السر خريستوفور ورن أمر الملك تشارلز الثاني السر وليم بروس بارت الرئيس الأعظم في اسكتلندا أن يرمم سراية هوليود في أيدنبرج ويعمم الإصلاح في كل البلاد، فبنيت السراي المذكورة على الشكل الأغسطي.

وفي كل هذه المدة لم يهمل شغل الجمعية الخصوصي، بل كان الإخوة يجتمعون في محافل شتى وجدوا عدة محافل وازداد عددهم أيضًا وحافظوا على الدرجتين اللتين أدخلتا على الماسونية بعد مقتل «تشارلز الأول».

سنة ١٦٧٤ ب.م: وفي سنة ١٦٧٤ استُعِيَّ «أرل أوف ريفرس» من الرئاسة العظمى في إنكلترا وخلفه «جورج فيلارس» دوق أوف بوكنهام، وهذا سلم الأشغال لنائب الرئيس الأعظم السر «خريستوفور ورن» والمنبه الأول الأعظم.

سنة ١٦٧٩ ب.م: وسنة ١٦٧٩ استُعِيَّ دوق أوف بوكنهام فسمي هنري بنت أرل أوف أرلينتون رئيساً أعظم مكانه. ومع أن أشغال هذا الأرل لم تسمح له بالحضور في الاجتماعات كثيراً كان الإخوة يواطبوه على الاجتماع وازداد عددهم ودخل بينهم جمهور من الأشراف.

سنة ١٦٨٥ ب.م: وتوفي سنة ١٦٨٥ «أرل أوف أرلينتون» فاجتمع الماسون وانتخبوا مكانه السر «خريستوفور ورن».

وتوفي الملك «تشارلز الثاني» وخلفه على الملك «جمس السابع» لاسكتلندا والثاني لإنكلترا.

جمس الثاني ملك إنكلترا والسابع لاسكتلندا

سنة ١٦٨٥ ب.م: هو ثانٍي أولاد «تشارلز الأول» من امرأته «هنريت دي فرانس»، ولد في ١٥ أكتوبر سنة ١٦٣٢ في قصر سان جمس، وتوفي أبوه وهو صغير لا يتجاوز التاسعة من عمره وانتشتبت إذ ذاك الحروب الأهلية فشهد معركة أوجهل، وكاد يخسر فيها حياته وشهد حصار بريستول سنة ١٦٤٣ وأخذ أسيراً بعد افتتاح أكسفورد سنة ١٦٤٦، وأرسل إلى جزيرة فيرفوكس. وكان يقضي معظم أوقاته في قصر سان

جمس مع أخيه «غلوستر» وأخته «إليصابات» تحت وصاية «أرل نرثمبرلن»، وفي سنة ١٦٤٨ نجا من سجنه وفر إلى ندرلندا، وذهب منها إلى باريس سنة ١٦٤٩ فانتظم في جيشه وحارب أعداءها، وامتاز ببسالته تحت قيادة تورين القائد العام. وفي سنة ١٦٥٥ تصالحت إنكلترا وفرنسا فاضطر جمس إلى ترك فرنسا فدخل في جيش الإسبانيوليين وحارب الإنكليز والإفرنسيين، وكان الإسبانيول يحترمونه كثيراً، وسبب لإنكلترا قلقاً جسيماً خصوصاً لأنضممه إلى الكاثوليك. وفي سنة ١٦٦٠ عاد مع عائلته إلى إنكلترا، وفي ٣ سبتمبر من تلك السنة تزوج بحنة هيyo بنت «أرل كلارندون» فتوفيت سنة ١٦٧١، وتزوج سنة ١٦٧٢ ثانيةً بماريا بياتريس إيليونورا، وهي بربنطة من بيت إستي من مورية، وكانت أصغر منه بـ٢٥ سنة، وكان جمس قد اعتنق في منفاه الديانة الكاثوليكية، ولكنه لم يعترف بها جهراً إلا بعد رجوع الحكومة الملكية ببعض سنين؛ أي في سنة ١٦٧١، وكان له في البلاط سطوة عظيمة، وعند وفاة أخيه تشارلس الثاني سنة ١٦٨٥ خلفه في الملك. ودخل جمس في الماسونية وتولى حمايتها، قال صاحب التاريخ الماسوني الفرنسيو: إن الملك جمس كان الأستاذ الأعظم لجمع هيرودوم الذي كان يدعى محفل كلوين (وهو الذي عززه روبرت بروس ملك اسكتلندا سنة ١٣١٤ وصيّره محفلاً أعظم. انظر [الباب الثاني، الماسونية العلمية، روبرت بروس الأول ملك اسكتلندا])، وجدد جمس دخول درجة القديس أندراوس التي كانت قد أهملت في عهد الإصلاح وضبطت كل أموالها ومقتنياتها، وكان قصده أن يجعل هذه الدرجة علامة مميزة للذين يمتازون عن غيرهم من الماسونيين.

وامتاز جمس بمضاء عزمه وشدة عزيمته على تجديد الحروب الدموية واضطهاد المخالفين له في معتقدِه وقاوم الكنيسة الأسقفية وألغى امتيازات المدارس الكلية؛ فانقسمت إنكلترا إلى حزبين عظيمين فكان الماسون الاسكتلنديون من حزب الملك جمس الثاني (أي من حزب الجزوiet) والماسون الإنكليز، ومن غرضهم خلعه، وكان كلُّ من الحزبين يؤيد مدعاه ففازأخيراً الماسون الإنكليز واضطروا جمس إلى الفرار فهرب ومعه كثيرون من الأشراف والجزوiet وجماعة الماسون المحاذبين له.^{١٥}

^{١٥} انظر الفصل التالي.

وفي ٣٠ يونيو سنة ١٦٨٨ طلب الإنكليز إلى «وليم» الذي كان يدعى «برنس أورانج»، وهو ابن أخي الملك جمس أن يُغير على إنكلترا قصد امتلاكها بدلاً من عمِه فسافر وليم بحراً من هولاندا بجيش مؤلف من ١٥ ألف رجل، ونزل المهاجمون من ترباي في ٢٥ أكتوبر سنة ١٦٨٨ فترك جمس الجميع حتى أخته حنة، وهرب من إنكلترا إلا أنه قُبض عليه وأُرسل إلى لندن، ولكنه تمكّن من الهرب ثانيةً فلجاً إلى فرنسا فقابله «لويس الرابع عشر» بكل إكرام، وعِين له مبلغًا وافرًا لنفقاته، وخصص قصر سان جرمين بإقامته. وابتدأ جمس الثاني يغرى لويس الرابع عشر ويحركه ليحارب عدوه ويعيده إلى سرير الملك فأجابه. وبعد انتصارات قليلة أحرزها جمس الثاني عاد فانكسر انكساراً عظيماً في المعركة الفاصلة التي جرت في برلين في ١ يوليو سنة ١٦٩٠، فرجع إلى فرنسا حزينًا وظل فيها إلى أن مات في ٢ سبتمبر سنة ١٧٠١ بداء السكتة.

وكانت الماسونية في كل مدة حكم جمس الثاني متاخرة وانحطت كثيراً، وخصوصاً في جنوب إنكلترا، ولم يبق إلا سبعة محافل أعظمها محفل القديس بولس الذي كان رئيسه السر خريستوفور ورن، ومحفل مستشفى القديس توما ورئيسه السر روبرت كلايتون. وسنة ١٦٨٩ جلس وليم الثالث وامرأته ماري على سرير الملك.

الفصل الرابع

في طريقة فرسان مار يوحنا أو الستريكت أوبسرفانس^١

سنة ١٦٨٨ ب.م: قال صاحب التاريخ الماسوني الفرنسي إنه عندما هرب جمس الثاني تاركاً سرير الملك تبعه كثير من اللوردات والأشراف والجزويت وشاطروه تعاسته مقسمين معه المنفى، صابرين على بلواهم غير شاكين ولا متذمرين، ولجا كثير منهم إلى رومية وفرنسا ليخلصوا من جور المغتصب، وكان أملهم شديداً أن يعيدوا لعائلة ستورت ملكاً غصب منها.

وكان أملهم هذا يزداد يوماً عن يوم حتى تأصل في قلوبهم وأصبحوا لا يرون بدًّا من إجراء عمل عظيم يقلبون به السلطة المالكة وتيقنوا أنهم لا يفوزون بمبتغاهם ولا يدركون أمنيتهم إن لم ينشئوا جمعية سرية تسير على شرائع وقوانين حكمية. وكان الجزويت وهم أشد الناس ذكاءً في ذلك العصر وأكثراهم مكرًا قد راموا أن يحققوا أمنياتهم و يجعلوا سلطانهم عظيماً في بلاد بروتستانية، فقاموا بأنفسهم في هذا العمل العظيم ونظموا في السر طريقة فرعية أخذوها عن الماسونية.

وأتى هؤلاء بأوراق ماسونية متفرقة وُجدت في بعض أديرة إيطاليا، ولفقوا عليها بعض حكايات من الصليبيين وزادوا عليها ما زادوا من فضلات قريحتهم الشاحنة مدخلين أقوال الأفراح الذين وجدوا في الأعصر الوسطى مشركين هذه الخزعبلات بأسرار

^١ ترجمنا كل ما ذكره المؤرخ الفرنسي في هذا الفصل وتجاوزنا فيه حد تاريخ الماسونية العملية لكي تبقى سلسلة الحوادث متتابعة.

الماسونية، ولشد ما جدوا واجتهدوا أدركوا أخيراً غاية طالما صبوا إليها وشكلوا طريقة دعوها فرسان مار يوحنا.

وإذ كان الجزوiet على حقيقة بيتنة من أفكار العالم، وأنهم لا يذعنون إلا لما يرونه مستغرباً ارتأوا إدخال درجات واطئة ليموهوا على عقول السذج ويتتحققوا أمانتهم وإخلاصهم، ويكونوا على بينة من طاعتهم العمياء، وكانت الطاعة وهي شرط أول يفرضونه على الطالب واعدين بزيادة إيضاح كلما ترقى درجة وأحرز رتبة ينالها بصدق وأمانة، وهكذا توصلوا إلى التلاعُب في تعاليم الماسونية الطاهرة الشريفة وجعلوا الداخل يسلك طريقة باغية تقضي تعاسته على الانتظام في تلك المؤلفة من عشر درجات. ولتبقى أمانة الطلاب على ازيداد ويبقى لهم رغبة في التعمق في الأسرار، ولبيقوها هم آمنين على نفوذهم وسلطتهم فرفضوا على الذين رمى بهم شقاوئهم وأصبحوا هدفاً للتلاعُب قوم ماكرين طاعة عمياء لرؤساء مجهولين يستخدمون الإخوة ليتحققوا أماناتهم العظيمة، ويدركوا غایياتهم السامية، وهي أمنيات وغايات لا تعين إلا للطالب الذي أحرز الدرجة الأخيرة، ومع ذلك لا تعلن له جميعها إن لم يُظهر من الإخلاص وسمو المدارك درجة فائقة.

ولما كانت هذه الطريقة التي وضعها الجزوiet يشتم منها رائحة الدين والتعصب على أمد لم تكن لترضي العmom، ورأى الجزوiet أن نفوذهم كادت تلعب به أيدي الزمان فشحدوا قريحتهم القيادة وشمروا عن ساعد جدهم واجتهادهم ليروا طريقة تخلصهم من هذا البلاء الذي كان يتهددهم وابتدعوا طريقة جديدة نفقت في فرنسا وأفرخت، وتداعى كثير من العظماء للانتظام في سلتها، وظل تاريخ فرنسا الذي ما فتئ مهدأ للتغيرات والعوامل حافظاً أثراً لهذه الطريقة، وهي طريقة الستريكت أو بسرفانس التي نقلها إلى ألمانيا البارون «دي هند» وساعد على انتشارها كثيراً، وأما موضوع هذه الطريقة وآراءها الأساسية فهي أن الماسونية ليست إلا تتمة أعمال فرسان مار يوحنا الجاهيدة بواسل الذين هربوا إلى بريطانيا ولجئوا إلى اسكتلندا ليخلصوا من ظلم الأشرار ويؤمنوا على حياتهم.

ولكي يبقى للجزويت مركزهم الأول وسطوتهم الأولى قسموا المالك إلى تسعه أقسام، وهي المالك التي كانت دائنة لطريقة الستريكت أو بسرفانس؛ أولاً: ألمانيا السفل وبولونيا وبروسيا. ثانياً: أوفرنيا L'auvergne. ثالثاً: أوكيسيتانيا L'accitanie. وهي شرقي فرنسا. رابعاً: إيطاليا واليونان. خامساً: برغونيا وسويسرا. سادساً: ألمانيا العليا. سابعاً: النمسا ولومبardiya. ثامناً: روسيا. تاسعاً: أسوج.

وكان محفل طريقة الستريكت أوبسرفانس الأعظم الإداري في برونسيفيك، وكان يدير أعماله ويدبر شئونه الدوق فرديناند دي برونسيفيك الأستاذ الأعظم وخلفه في هذا المنصب السامي البرنس شارل دي هييس، وكان لكل مقاطعة رئيس يدعى هرميستر Hurmeister، وهو بمثابة جنرال في فرنسا، ومحفل إقليمي وكثير من المحافل الصغرى، وبالإجمال كل ما كان لجمعية فرسان مار يوحنا القديمة.

وكانت طريقة الستريكت أوبسرفانس التي دعيت هكذا نظراً لصرامة الدقة السائدة عليهِ بعكس الطرائق الأخرى التي في إنكلترا، والتي كانت كثيراً ما تتراهل وتدعى لارج أوبسرفانس Large observance، وكانت تستر مقاصد رؤسائها الخفيفين تحت مظاهر علم الكيمياء وغيرها من الخزعبلات، وتعلم أسرار طريقة الصليب الأحمر وغيرها من الجمعيات السرية.

ومع ذلك لم يطل زمن هذه الجمعية المدعوة ستريلكت أوبسرفانس في ألمانيا زمناً طويلاً، إذ لم يتجاوز الخمس سنوات؛ أي من سنة ١٧٦٦ إلى سنة ١٧٧٢، وبعد ذلك سقطت هذه الجمعية من أوج ظهرتها إلى دركات الذل والهوان، ولم يبق من له رغبة فيها وكانت تض محل، ولما بدأ العالم يحذر من رؤسائها المجهولين كالبارون دي هند وجونسون وغيرهما، وكشف القناع عن مكرهم وعرفت غایاتهم بأنها ليست إلا خدمة مصلحتهم الخاصة فصلوا عن المسؤولية باحتقار وابتعدوا بسن شرائع وقوانين تقرب من المسؤولية الحقيقية المتبع إجراؤها في المحافل الإنكليزية وانتخبوا الدوق «فرديناند دي برونسيفيك» سنة ١٧٧٢ أستاداً أعظم لكل المحافل التابعة لطريقة الستريكت أوبسرفانس في أقطار العمور الأربع.

وانتبهت الخواطر في فرنسا أيضاً إلى هذه الجمعية وما تأتيه من الأعمال، فأرادوا درسها والاطلاع على أسرارها ليعلموا إن كانت تحوي حقيقةً علماً خفية، أو كما هو الظاهر منها ومن نتائجها، أي المكر والضلال، وإن كان ثم أثر لما قيل عنها وعن تعاليمها الصنائع والتاريخ وسائل الفنون، فاجتمعت محافل فرسان مار يوحنا الفرنسية في ليون سنة ١٧٧٨ بمجمع خاص وتداكروا في أعمال الجمعية ونتائجها وأقرُّوا على تحوير قوانينها ونص شرائع أخرى وتأليف جمعية على طريقة جديدة تتبع الحق في أعمالها.

ورأى ماسون ألمانيا هذا العمل فثارت في فؤادهم عوامل الغيرة وهبوا من غفلتهم نشيطين ليروا أعمال هذه الجمعية الجديدة ويتحققوا فيما إذا كانت أعمالها موافقة

لل تعاليم الماسونية ويرجعوا إلى المبادئ الحقيقة البسيطة التي تعلمها محافل بريطانيا الماسونية.

واهتمَ الدوق دي برونسفيك بهذا الأمر كثيراً وشمر عن ساعد جده واجتهاده بهمة شماء لا تعرف الملل ولا يعروها الكلل، وعزم أن يتحقق أصل الماسونية ويدرك الغاية التي طالما صبا إليها أسلافه فأذعن لطلبات المحافل قاطبة وألف مجمعًا عامًّا لكل المasonيين في ويلهمسباد، والتأم هذا المجمع للمرة الأولى في ١٦ يوليو سنة ١٧٨٢، وكان حاضرًا فيه مندوبون من كل الأقاليم والمحافل الذين سارعوا ليشتركون في هذا العمل الجيد، وكان الدوق دي برونسفيك الأستاذ الأعظم يصحبه كثير من مندوبي محافل فرنسا جاءوا ليحضروا هذا الاجتماع (انظر [الباب الأول، الفصل التاسع]).

وبعد أن عقدت ثلاثون جلسة طرحت فيها مسائل عديدة وتذكروا في خلالها في أمور جمة عائد نفعها على الماسونية قاطبة كمعرفة أصلها وتعاليمها وتاريخ ظهورها ومبدأ نشأتها وواضعها الأول، ولكن هذه المسائل كلها لبنت بلا جدوى ولم يجب أحد عليها بما يبرد غليلًا أو يبرئ عليًا، وبعد محاورات طويلة ومذاكرات جمة التأم الماسون بناءً على طلب مندوبي فرنسا التابعين لإقليم بورغونيا وقرروا ما يأتي لخير الجمعية الماسونية وواسطة امتدادها وإجلاء لغواصين أسرارها:

إن المasonيين الحاليين هم وحدهم الذين أعطوا علم الحق وتلقنوا الأسرار العظيمة الموحاة إليهم ليعرفوا الحق وليسيروا على موجبه غير متحاملين على أحد ولا شاكين ضرًّا أو ناكرين مساعدة وليسوا من سلالة فرسان مار يوحنا الحقيقيين؛ إذ يستحيل أن يكونوا ماسونًا أهلًا ليقبلوا الثلاث درجات الرمزية، ولكن رغمًا عن هذا المبدأ الشريف قررت الجمعية أن تبقى درجة تاريجية لطريقة فرسان مار يوحنا تعلم في آخر درجاتها.

هذا هو أساس تعليم الجمعية الماسونية الاسكتلندية الجديدة الذي تحور بعد طول جدال ومناضلات وليس غايته سوى الرحمة والحنان.

وكان تحويل طريقة الستريكت أوبسرفانس الذي كانت غايته اتحاد الكلمة الماسونية ولمْ شعثها فلا يبقى فيها انقسام ولا أحزاب فتفاوت النوايا يستوجب اتحاد العمل وباتحاد العمل تحصل القوة العظيمة القاضية على العالم بالعمران بعد خراب عظيم سببه أصحاب المفاسد والغايات.

ولم تظهر هذه الطريقة في بدء نشأتها ذات أهمية عظيمة ولم تمتد بسوى بورغونيا وبقيت منحصرة في محافظها مدة طويلة حتى تشعبت أخيراً ودخلت سويسرا، حيث امتدت امتداداً عظيماً، ورأت تهافت الطلاب عليها تهافت الجياع على القصاع. ولكن لم تحرز في ألمانيا ما أحرزته في غيرها من البلدان، فكثير من المحافل تركها وشأنها وأقبل على الطرق البريطانية القديمة التي تعاليمها بغایة البساطة، وكان المنفصلون عنها كثيرين كمحفلي فرانكفورت وويلزر اللذين أنشأا محفلاً أعظم دعوه بالطريقة الكهربائية وهو ذو ثلاثة درجات.

ولكن بقيت طريقة الستيكت أوبيرفانس أو طريقة فرسان مار يوحنا المحورة ثابتة في فرنسا وألمانيا، رغمما عما طرأ عليها من العوامل والانفعالات، فكان كل محفل يدخل إليه درجات عديدة أو قليلة حسبما تقتضيه الأحوال والأزمان، فكانت الدرجات محصورة بين الدرجة الخامسة والدرجة الثالثة والثلاثين وهكذا، فالمحافل التي أسسها محفل إنكلترا الأعظم القاضية بعدم قبول درجات عالية هذه أيضاً دخل عليها عامل التغيير وطرأ عليها فاعل الغيرة، فأخذت تدخل إليها الدرجات العديدة أسوة بغيرها. وكانت الطريقة الاسكوتلندية الأصلية مؤلفة من سبع درجات منها اثنان أدخلتا على الثلاث الدرجات الأصلية من سنة ١٦٥٠ إلى سنة ١٦٦٠، وقد أدخلها أشياع عائلة ستورت المالكة بعد مقتل تشارلس الأول، ومن سنة ١٦٧٠ إلى سنة ١٦٨٠ قام هؤلاء الأحزاب أنفسهم وأدخلوا درجتين أيضاً وهما بمثابة سلم يرقدى به الطالب إلى كل الدرجات الرمزية.

وامتدت هذه الطريقة كثيراً من سنة ١٧٢٨ إلى سنة ١٧٤٠ بواسطة الدكتور بارون دي راماizi وهو إنكليزي اسكوتلندي ومندوب سري من الجزوiet. أما اليوم فمعظم المحافل الماسونية في العالم تركت هذه الطرق القائلة بكثرة الدرجات التي دخلت على الجمعية الماسونية في أواخر القرن الماضي، ولم تعد تعتبر سوى الدرجات الثلاث الرمزية الأصلية الحاوية بنفسها كل التعاليم والشرائع الماسونية، والمحافل التي لا تزال فيها هذه الدرجات تعتبرها ثانوية بالنسبة إلى الثلاث درجات الرمزية التي عليها المعول في كل العالم.

وليم الثالث ملك إنكلترا

سنة ١٦٨٨ م: وليم الثالث كان يُدعى ببرنس أورانج، وهو ابن أخي الملك جمس الثاني المتقدم ذكره وزوج ابنته، ولد في ١٤ نوفمبر سنة ١٦٥٠، وتربى وترعرع إلى سنة ١٦٦٩ لما قامت الأحزاب بعضها على بعض في إنكلترا وتحزب الكاثوليك والماسون الاسكتلنديون لجمس السابع والبروتستانت والماسون الإنكليز ضدّه فتغلّب الحزب الثاني على جمس، وكانوا قد أرسلوا خفية كتابات من قبل أرلاط تشرسبوري وديفونشير ودامبي والأدميرال روسيل وغيرهم من رؤساء حزب الأحرار إلى وليم الذي كان مقیماً في هولندا يدعونه إلى إنكلترا بقوة مسلحة لتخلیص المملكة من جمس والکاثوليك، فأتتها بأسطول مؤلف من ٧٥٠ سفينة وفيه خمسة عشر ألف عسكري. وجمع جمس قوته وعساكره وخرج من لنдра، وكان الشقاق قد تفاقم بين حزبه وجاء كبارهم إلى وليم ببرنس أورانج في أول الليل، وفي الصباح تبعهم كبار ضباط العساكر حتى إن البرنس جورج زوج ابنة جمس ودوق أرموند وغيرهم انضموا إلى وليم. ولما عاد جمس إلى لندن، ورأى أن ابنته وزوجها والشعب كلّه يتربّح بوليم هرب في ١١ ديسمبر سنة ١٦٨٨ بمركب صغيرة فاشتبه الصيادون فيه وفي الذين معه من جماعة الجزويت فحبسوه عندهم إلى أن أتى «لورد فيفرشام» وحافظ عليه، ثم أعيد إلى لندن وكاد يعود إليه ملكه لو سمع كلام المخلصين، ولكن لشدة ما رأى وسمع من الشعب أن «لا بابا ولا کاثوليك»، وأن اللوردات عينوا حكومة وقتية هرب ثانيةً إلى فرنسا، واعتصم بملكها لويس الرابع عشر فقابلها بالترحيب، وتوفي بداع الفالج في فرنسا كما تقدّم في ترجمتيه. وقرر البريلان بما أن جمس هرب من المملكة وخالف قانونها فيعد هرbe تنازلاً عن تخت الملك، وبعد مداولات كثيرة تقرر أن لا يكون الملك من الآن فصاعداً في إنكلترا إلا من البروتستانت، وأن يتوج وليم وامرأته ماري فتوّجاً في ١٢ فبراير سنة ١٦٨٩. وبعدهما جلس وليم على تخت الملك انقطع دابر الثورة وهدأت الأحوال.

وفي تلك الأثناء اضطرَّت المملكة إلى استئراض دراهم لإصلاح أحوالها، فاستلفت المال من أغنياء بلادها، وكان هذا أول دين على الحكومة أُقيم لأجله بنك إنكلترا سنة ١٦٩٤.

سنة ١٦٩٤م: وانكبَّ وليم على إصلاح داخلية البلاد وأحمد الفتنة، ونمَّت في أيامِه الأقاليم البريطانية، وامتدَّت تجارة إنكلترا وزادت صنائعها. وألغى لويس الرابع

عشر ملك فرنسا الامتيازات التي كان البروتستانت قد نالوها من جده هنري الرابع وضايقوهم في أمور دينهم فهاجر نحو خمسين ألفاً منهم إلى إنكلترا، وكان بينهم جمهور غفير من الماسون وأصحاب الصنائع والحرف المهمة، فكانوا من جملة وسائل تقدم إنكلترا.

وفي مدة حكم وليم نبغ الفيلسوف الشهير «إسحاق نيوتن» وأذاع على المأكشافاته التي لم يسبقها إليها أحد من البشر ومصنفاتِه التي لا تزال إلى الآن يستثير بها العالم بأسره، وكان مع ما وهبه الله من الحكمة والعلم تقىًّا ورعاً مخلصاً وله في المسائل الدينية عدة مؤلفات، وكان الملك وليم يغضّد أعمال هذا الفيلسوف الذي لم يقم أعظم منه إلى أيامنا.

وشيّدت المدارس ومكاتب للصدقة في لندن وضواحيها، وتقرر مبالغ معلومة للملك وعائلته ووجود جيش ثابت للمملكة، وأعطيت الحرية للأديان وغير ذلك من الإصلاحات، وحدث بعض أمور مهمة في المملكة تدبّرت بالحكمة وتغلب وليم على خصومه.

سنة ١٦٩٤ ب.م: وأُصيبت الملكة «ماري» بداء الجدري فتوفيت في ٢٨ ديسمبر سنة ١٦٩٤.

سنة ١٦٩٥ ب.م: وسنة ١٦٩٥ دخل وليم سراً في المحافل الماسونية وعزّزها بهيبيته الملكية، فنمت وارتقت ووافقت على اختيار السر «خريستوفور ورن» رئيساً أعظم وعزّز المحافل بهذا الانتخاب، ولا سيما محفل همبتون كورت الذي رأسه الملك مرات عديدة، بينما كان القسم الجديد من ذلك المحفل يبني. وفي مدة حكمه بُنيَ قصر كنسنتون ومستشفى كلسي وقصر كرينيويج الذي صار مستشفى للبحرية تحت مراقبة خريستوفور ورن.

سنة ١٦٩٦ ب.م: وقام جماعة سنة ١٦٩٦ يرثمون قتل وليم، فُعرفت مكيدتهم وعُوقب بعضهم.

سنة ١٦٩٧ ب.م: وسنة ١٦٩٧ احتفل الماسون احتفالاً عظيماً حضره جمهور غير من الإخوة الأشراف وغيرهم، ومنهم «تشارلس دوق أرتشموند» و«لينوكس» الذي كان رئيساً أعظم لمحفل تشيشستر، وانتُخب الدوق المشار إليه رئيساً أعظم للمحفل الأكبر الإنكليزي في تلك السنة فعيّن خريستوفور ورن نائباً عنه وإدوارد ستُرن سنير،

وإدوارد ستُرُن جنِير منبهين، وبقي رئيساً سنة وخلفه خريستوفور وِرن الذي بقي رئيساً أعظم إلى حين وفاة الملك وليم.

سنة ١٧٠١ ب.م: وسنة ١٧٠١ تفاوض البرلان في خلف وليم على الملكة؛ لأنَّه لم يكن له عقب، فتقرر أن تكون حنة ابنة جمس الثاني الملكة لإنكلترا بعده؛ لأنَّها كانت بروتستانية.

سنة ١٧٠٢ ب.م: وضعف جسم وليم ونحل، وبينما هو راكبٌ على حصانِه كبا به فرماده فانكسر عظمه، وبعد خمسة عشر يوماً توفي في ٨ مارس سنة ١٧٠٢ في الثانية والخمسين من عمره، فحزنت الأمة عليه.

الملكة حنة ابنة جمس الثاني

سنة ١٧٠٢ ب.م: وتبيأً تخت الملك بعد وليم حنة ابنة جمس الثاني سنة ١٧٠٢، فكان حكمها مجيداً، وفي أثنائه استولت إنكلترا على حصن جبل طارق في ٢٣ يوليو سنة ١٧٠٤، واشتهر عصرها بوجود العلماء وال فلاسفة مثل إسحاق نيوتون وجان لوك الفيلسوف الإنكليزي الذي كان ماسونيًّا، وتوفي سنة ١٧٠٤ وملتون وبنيان ودريدن، وألغوا كتبهم المفيدة في الفلك والهندسة والشعر والديانة وغير ذلك، وامتدت بهم العلوم والفنون في سائر أقطار العالم. وكانت اسكتلندا تود أن يكون الملك منها وفيها، وعزمت على القيام ضد إنكلترا فتلافي عقلاء اسكتلندا وإنكلترا المسألة، وعينوا مندوبيين من برلان إنكلترا واسكتلندا فاتحدت المملكتان بمعاهدة أنهمَا تكونان مملكة واحدة باسم بريطانيا العظمى ومصلحتهما واحدة والمالك يكون بروتستانتياً، ومن ذلك الوقت دام الاتحاد إلى الآن. وتوفيت حنة سنة ١٧١٤ وعمرها ٤٩ سنة، وهي آخر من ملك على إنكلترا من عائلة ستُورْت التي كانت بداية حكمها على إنكلترا سنة ١٦٠٣.

الفصل الخامس

الاستعداد لتحويل الماسونية العملية إلى رمزية

وأهملت المجتمعات الماسونية والاحتفالات السنوية وقلّ عدد الأعضاء في المحافل ولم يبقَ إلا محفل القديس بولس وبعض المحافل مواظبة على الاجتماع.

سنة ١٧٠٣ ب.م: فاجتمع الإخوة الماسون الغيورون في سنة ١٧٠٣ بمحفل مار بولس بلندن وتباحثوا في أمر الماسونية والأسلوب الذي ينبغي اتخاذه لنهايتها وتعزيز شأنها فأقرّوا على تغيير موضوع الجمعية من عملي إلى رمزي؛ لكي يتيسّر لهم ضم غير البناءين العمليين إليهم، ولأن كثريين من غير المتعاطفين صناعة البناء كانوا قد دخلوا الجمعية أعضاء شرف واطلعوا على أسرارها، وبعد مباحثات طويلة أقرّوا على ما يأتي:

إن منافع الماسونية وامتيازاتها لا تقتصر من الآن فصاعداً على البناءين العاملين؛ بل تمتد إلى رجال الحرف الأخرى على شرط أن يُصادق على دخولهم في الماسونية.
وهذا نص الجملة كما وردت بتاريخ بريستون صفحة ١٨٠:

THAT THE PRIVILEGES OF MASONRY SHOULD NO LONGER BE RESTRICTED TO OPERATIVE MASONS, BUT EXTEND TO MEN OF VARIOUS PROFESSIONS, PROVIDED THEY WERE REGULARLY APPROVED AND INITIATED INTO THE ORDER.

ولم يمكن تنفيذ هذا القرار بالسرعة؛ لأن الأفكار لم تكن مستعدة لقبوله والإخوة البناءين استغربوه وبعضهم قاومه وحصل انشقاق بسببه بين ماسون إنكلترا، وأما

ماسون اسكتلندا فبقوا زمناً على ما كانوا عليه، وكذلك ماسون بقية المالك، ولكنهم بعد قليل اتبعوا طريقة ماسون إنكلترا فصاروا يقبلون بينهم أصحاب الحرف الأخرى كما سيجيء معنا في الكلام عن الماسونية الرمزية.

سنة ١٧٠٧ ب.م: وسنة ١٧٠٧ كانت المحالف الألمانية الثلاث متمتعة بحقوقها وامتيازاتها فتحكم وتنهي الخلاف بين العملة، ولكنها لم تكن ذات أهمية يعبأ بها، وكان الإخوة لا يزالون يستغلون في كنيسة القديس بولس بلندن من ٢٧ سنة ١٧١٠، حيث انتهوا من العمل فبلغت نفقاتها نحو مليون ليرة.

سنة ١٧١٤ ب.م: وسنة ١٧١٤ توفيت الملكة حنة فجلس على عرش الملك جورج الأول الذي كان يُدعى لويس.

جورج الأول ملك بريطانيا العظمى وأيرلندا

وُلد في إسنابروك بألمانيا سنة ١٦٦٠ وهو أميرٌ من عائلة هانوفر الألمانية، وأول من ملك منها وأبوه «إرنست أوغسطس» زوج «صوفيا» حفيدة جمس الأول، وكان قد حارب الفرنسيين والأتراك حينما كان في الجيش سنة ١٦٩٨، وسنة ١٧٠٠ حارب الدنمارك وأسوانج، ورفع الحصار عن توننجن، وسنة ١٧٠٧ إلى ١٧٠٩ كان متقدلاً قيادة جيوش المملكة، ولما توفيت أمه صوفيا سنة ١٧١٤ صار هو أكبر وارث شرعي لحنة ملكة إنكلترا التي عندما توفيت في شهر أوغسطس من تلك السنة جاء مع ابنه البكر فوصل إلى كرينيويج في شهر سبتمبر فألبس التاج في شهر أكتوبر سنة ١٧١٤.

سنة ١٧١٤ ب.م: وفي هذه السنة ترأَّس على محفل كلوينن الأعظم، ولم تنجح الماسونية العملية مدة ملكه.

وعصاه بعض الأحزاب في اسكتلندا وشمال إنكلترا فانتصر عليهم وقبض على العصاة وعاقبهم شديد العقاب. وكان لا يعرف اللغة الإنكليزية، ولم تحبه الرعية كما ينبغي وحدث في أيامه جملة حروب مع إسبانيا؛ لأنها قصدت منع اتصال التجارة الإنكليزية مع مستعمراتها الأمريكية، ورغبت استخلاص جبل طارق فلم تنجح بشيء. وكان قد رزق ولداً من زوجته صوفيا دعاه أوغسطس، وهو الذي خلفه في الملك باسم جورج الثاني، وابنة سماها صوفية دوروثس، تزوجت سنة ١٧٠٦ بفدرريك وليم الأول ملك بروسيا.

وسنة ١٧٢٧ خرج قاصداً هانوفر، ويقال إنه جاء في أثناء الطريق فأخذ بيضتين من منزل المسافرين وأكلهما، ثم قدم صاحب المنزل حسابه، وإذا هو قد طلب ثمن البيضتين عشرين ديناراً، فقال له الملك: علام هذا الغلاء الفاحش، هل البيض نادر عندكم؟ فقال صاحب المنزل: كلا يا مولاي، ولكن النادر مرور الملوك بنا، فسرّ الملك بجوابه وأمر له بما طلب.

وفي ١٠ يونيو أصيب بنوبة في مركبته وتوفي قبل أن يصل إلى إسنابروك، دفن في هانوفر سنة ١٧٢٧.

العمل العظيم

ذكرنا فيما تقدم عن حالة الماسونية والتقلبات التي طرأت عليها منذ عُرفت إلى هذا التاريخ، وقلنا إن الجمعية كانت مؤلفة من بنائين عمليين صناعتهم البناء والنقش وما أشبهه، وذكرنا الذين نبغوا منهم والسراة والعظاماء الذين انضموا إليها أعضاء شرف، ولخصنا يسيراً من تاريخهم وتشجيعهم الجمعية والصناع حتى تمكنا من إقامة البناءيات الفخيمة في جهات متعددة من العالم، ولما انحطت صناعة البناء تأخر البناءون عن الاجتماعات وكادت الجمعية تتلاشى والمحافل الثلاثة التي بجرمانيا كانت منحطة ومثلها المحافل الأربعية التي في جهات لندن وفي اسكتلندا وغيرها، وتوقف كثير من المحافل في بقية المالك حتى غدت أثراً بعد عين، فارتأى محفل مار بولس بلندن الذي كان أكبر هذه المحافل وأعظمها، أن لا يحصر أعضاء هذه الجمعية بالبنائين فقط، بل يحيز لغيرهم من أصحاب الحرف أن يشترك فيها أيضاً بشرط موافقة الإخوان على قبوله، كما مرّ بنا في القاعدة المدرجة [في الباب الثاني، الفصل الخامس] من هذا الكتاب، وسنّ لائحة لندن التي أشرنا إليها في [الباب الأول، الفصل الثامن والفصل التاسع] من هذا الكتاب ومضمونها ما ذكر آنفًا.

سنة ١٧١٦ م: وزاد المرض على السر خريستوفور ورن، وتواترت عليه الأقسام فمنعته عن الاجتماع مع الإخوان، واستأثرت رحمة الله به في تلك السنة (١٧١٦) بعدما خدم الإنسانية والوطن في حياته أَجَلَ خدمة يسطرها له التاريخ بمداد الفخر والثناء مدى الدهر، وحزن عليه كل من عرف حسن سجاياه وأعماله المبرورة.

ولما حرم الماسون احتفالاتهم وأعيادهم التي اعتادوها كل سنة ورأوا أنفسهم بغایة التأخير حرقت النخوة ماسون لندن وضواحيها فاجتمعوا مراراً متواالية

اجتماعات غير رسمية، وتحادثوا مليأً في وجوب انتخاب رئيس أعظم يُحيي المجتمعات السالفة، ويوطد بين الإخوان دعائم الحبة والإخاء.

وكان المنشور الذي بعثه محفل مار بولس سنة ١٧٠٣ لا يزال مهملاً، ولم يُعمل به حسب الواجب إلى سنة ١٧١٧ لما اجتمع جمهور من عظماء الماسون برئاسة الأخ المحترم الفيلسوف الطبيعي الدكتور ثيفيلوس ديزاغليه عضو الجمعية الملكية الذي كان محبوباً عند الملك جورج الثالث ومقرراً منه، واستعلن هذا الأخ الفيلسوف بصدقته وأخويه الماسونيي الشهيرين «جورج باین» العالم بالآثار القديمة، والدكتور «جمس أندرسون» اللذين كانا مساعدين له، فتناول الجميع في أمر إنشاء محفل أعظم باتحاد المحافل الأربع التي لم يبق سواها في جنوب إنكلترا، وهي:

- (١) محفل كوز وكريديرون Goose and Grediron، وكان يجتمع في فسحة كنيسة مار بولس.
- (٢) محفل كرون Crown، وكان يجتمع في باركرزلين بجانب دروري لين.
- (٣) محفل أبل تري تفرن Apple-tree Tavern، وكان يجتمع في تشارلس ستريت كفن كاردن.
- (٤) محفل رَمر وكريبيس تفرن Rummer and Grapes Tavern، كان يجتمع في كل رو وستمنستر.

سنة ١٧١٧ م: وفي شهر فبراير سنة ١٧١٧ اجتمعت هذه المحافل مع بعض الإخوة في محفل أبل تري تفرن وانتخبوا أكبر رئيس ماسوني كان حاضراً ليجلس على كرسي الرئاسة إلى حين انتخاب رئيس قانوني عليهم، ودعوا أنفسهم المحفل الأكبر المنتظم على هيئة جديدة، وقرروا في ذلك الاجتماع وجوب تجديد العلاقات الأخوية مع سائر البنائين الأحرار، وأنه ينبغي أن يحيوا الاحتفالات السنوية المعتادة في ٢٤ يونيو في محفل كوز وكريديرون في دار كنيسة القديس بولس، وفي ذلك الاحتفال ينتخبون رئيساً أعظم.

وفي السنة الثالثة من حكم الملك جورج الأول يوم عيد مار يوحنا المعمدان في ٢٤ يونيو سنة ١٧١٧ عُقدت جلسة ماسونية حافلة جمعت كل الإخوان الغيورين في محفل مار بولس برئاسة أكبر رئيس في أقدم محفل ماسوني، وبعد تلاوة

الفروض القانونية والصلة المعتادة باسم مهندس الكون الأعظم تُلي على الحاضرين خلاصة ما ارتآه الإخوان في مداولتهم السابقة بشأن تغيير موضوع الجمعية ووجوب انتخاب رئيس أعظم يدير شؤونها حسب الواجب، وبعد تقديم أسماء كثريين من الإخوان الأفاضل الذين يليقون بهذه الوظيفة السامية وقع الانتخاب على المستر «أنطوني ساير» فَعِيْنَ رئيْسًا أَعْظَمَ وَحِينَئِذِ ثَبَّتَهُ الرَّئِيسُ الَّذِي كَانَ جَالِسًا عَلَى كَرْسِيِّ الرَّئِيسَةِ حَسْبَ الْأَصْوَلِ وَهَنَّا إِلْخُواهُ الْحَاضِرُونَ وَقَدَّمُوا لَهُ الطَّاعَةَ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ فَبَاشَرَهُ وَأَيْضًا إِنْتَامَ وَاجِبَاتِهِ وَانْتَخَبَ مُشَبِّهِنَ لِلْمَحَافِلِ الْأَكْبَرِ وَأَمْرَ إِلْخُواهُ أَعْصَاءَ الْأَرْبَعَةِ الْمَحَافِلِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكْرُهَا أَنْ يَجْتَمِعُوا لِلْمَدَاوِلَةِ مَعَهُ وَمَعَ الْمُنْتَهِيِّنَ لِتَرْتِيبِ أَوْقَاتِ الْإِجْتِمَاعَاتِ وَالنَّظَرِ فِي أَشْغَالِ الْجَمِيعِ عَنْ كُلِّ فَرْصَةٍ مُنْاسِبَةٍ.

ومن الأمور التي تقررت في تلك الجلسة أن المجتمعات الماسونية التي لم يكن لها حد في ذلك الوقت تمنح لمحافل قانونية وتجتماع في أماكن خصوصية، وكل محفل يجتمع من الآن فصاعداً ما عدا المحافل الأربعية المتقدم ذكرها يجب أن يكون معه براءة قانونية مصادق عليها من الرئيس الأعظم، وتعطى لشخص معلوم يكون قد قدَّمَ التماساً بفتح محفل جديد مع آخرين (كما هو الآن) ومتي صادق الرئيس الأعظم والمحفل الأكبر تعطى له البراءة التي بدونها لا يعتبر أي محفل قانونياً (ففتح عن هذا القرار تجديد عدة محافل قانونية في لندن وضواحيها نالت البراءة واشتغلت بنظام)، ومما تقرر في تلك الجلسة أيضاً أنه يجب على الرؤساء والمنتهي في المحافل القانونية أن يحضروا جلسات المحفل الأكبر ويقدموا تقاريرهم السنوية عن أعمال محافلهم، وأن يرسلوا للمحفل الأكبر نسخاً من قوانينهم الداخلية، وأن يبدأوا ملاحظاتهم عن كل ما يرثون من إضافته أو حذفه أو تحويله حسب أحوالهم، بشرط أن لا يخالفوا الأمور الجوهرية التي قررها المحافل الأربعية ووافقو عليها في هذه الجلسة، وهي التي بُنيت عليها هذه الجمعية من قديم الزمان ومتي صادق المحفل الأكبر على ما يُعرَضُ عليه يعتبر قاعدة للعمل يسير بموجبها إخوة ذلك المحفل.

واحتراماً لأخوة المحافل الأربعية الذين منهم تأسس المحفل الأكبر تقرر أن يكون لهم كل الامتيازات والحقوق التي تمتلك بها سابقاً، وأن لا قانون ولا مادة من التي يسنها المحفل الأكبر تُقدِّمُ شيئاً من امتيازاتهم، أو تتعدي الحدود التي وُضعت في تلك الجلسة كأحكام قاطعة.

ولما تقررت هذه الأمور واتحد أعضاء المحافل الأربعية القديمة وضع فيهم بقية الأعضاء الذين كانوا قدّيماً عمال العمل تمام الثقة وعدوهم أركان الأخوية الماسونية الحديثة التي سيكون عليها المعول في المستقبل.

فاتفقت المحافل الأربعية أن تمد حمايتها على كل محفل يؤسس حديثاً ويصادق عليه المحفل الأكبر حسب القانون الجديد.

وبينما كانت هذه المحافل تعمل بالموافقة مع القانون القديم كان مسموحاً لرؤسائهم ومنبهيم أن يتمتعوا بكل امتيازات المحفل الأكبر، ما عدا التقدم في الرتب الماسونية، وكان الإخوة يجتمعون في المحفل الأكبر بكل محبة وبينهم كثيرون من أعضاء المحافل الأربعية الذين لما رأوا أن الأمور جارية على أحسن ما يرام طبق ما يرغبون فيه وضعوا ثقتهم برؤسائهم وملحوظتهم لينبوا عنهم ويفيدوهم بكل ما يحدث قبل أن يصادق عليه.

ورأى هؤلاء الإخوة أنه إذا كان يمنحك أعضاء المحافل المستجدة الحرية للحضور في اجتماعات المحفل الأكبر ربما يزيد عددهم عليهم وبكثرة الأصوات يقررون ما ينافي المبادئ التي أسست عليها هذه الجمعية ويدهبون بالفائدة التي تنجم عنها، ولكي يتدرّجوا إلى تغيير موضوع الجمعية القديم ويجعلوا الأسلوب الحديث قاعدة العمل والمحافل الأربعية الموجدة في إنكلترا وغيرها تابعةً لنظام الحديث على توالي الأيام قرّروا بالاتفاق سن قوانين جديدة للأحكام الماسونية لكي تسير عليها في المستقبل.

محفل يورك الأعظم

سنة ١٧١٧ ب.م: أما محفل يورك الأعظم والمحافل التابعة له فلم تغّير شيئاً من نظامها القديم سنة ١٧١٧، وظلّت مواظبة على الاجتماعات محافظةً على النسق القديم، وكذلك المحافل الماسونية في أيرلندا وألمانيا وغيرها لم تكن اجتماعاتها منتظمة ولم تتقدّم كثيراً، ولكن الإخوة حافظوا أشد المحافظة على نظماتهم القديمة وطقوسهم الأصلية مع شعورهم بلزوم اتباع الخطة الجديدة التي قررها محفل مار بولس والمحافل التابعة له، وكان كثيرون من المحفل اليوركى الأعظم يظنون أن محفل مار بولس أتى شيئاً فريياً، وأنه لا يحق له أن يحّور أو يغّير ويبدل في نظماته، علّوةً على ما كان متبعاً قدّيماً، ولكي لا يدعوه ينجح اجتهادوا في إحياء

اجتماعاتهم على النسق القديم وزادوا عددهم، وإنما التغيير المهم الذي حدث بمحفل مار بولس جعل كثريين يقبلون على الانضمام تحت لواء الماسونية الحديثة (الرمزية) أكثر مما يقبلون على الماسونية العملية.

وكانت الرئاسة العظمى في محفل يورك لا تزال منحصرةً في عائلة سانكلار روسلين الشهيرة، وبقي المasons في يورك على ما تقدّم يجتمعون اجتماعاتهم ويعيّدون أعيادهم، ودخل بينهم جماعة من الذين لم تكن صناعتهم البناء، وبالاختصار إن إخوة الذين خدموا بهذا المحفل كانوا مثالاً للفضيلة وبرهاناً على قدمية الماسونية وسمو مبادئها، ولم يتبعوا القرار الذي قرّره محفل مار بولس كما تقدم لعتقداتهم أنه منافٍ لمبادئ الجمعية الأصلية، ولم يغيروا شيئاً من مبادئهم القديمة، ولا خضعوا للمحفل الأعظم الإنكليزي السابق ذكره وظلّوا مستقلين في أعمالهم تخلص لهم بضعة محافل إلى أن أبدلوا الماسونية القديمة بالحديثة بعد بضع سنين، كما سيأتي معنا في غير هذا المكان.

أما الماسونية العملية في جermania فنكتفي بالإشارة إلى ما ذكرناه عنها في [الباب الأول، الفصل الخامس] من هذا الكتاب، وفيها غنى عن الإسهاب.

المحافل الأربع الإنكليزية

سنة ١٧١٧م: أما المحافل الأربع؛ أي محفل مار بولس، ومحفل كرون، ومحفل أبل تري تفرن، ومحفل كريبيس تفرن، فهذا ما جرى لها:

(١) محفل مار بولس تغيّر اسمه ويدعى الآن محفل الآثار (الأنتيكة)، وكان يجتمع في دار كنيسة القديس بولس، ولا يزال إلى الوقت الحاضر يجتمع قانونياً يوم الأربعاء في رابع أسبوع من الأشهر الآتية، وهي: يناير وفبراير ومارس ومايو ويوليو وأكتوبر ونوفمبر، وهو في نمو عظيم ونجاح مستديم ولديه سجلات قديمة وأثار مختلفة غريبة ثمينة.

(٢) محفل كرون الذي كان يجتمع في باركرزلين دامت اجتماعاته نحو خمسين عاماً، وتوفي كل أعضائه القدماء فتلاشى.

(٣) محفل تري تفرن الذي كان يجتمع في تشارلس ستريت كشن كاردن يظهر من السجلات أنه في سنة ١٧٢٢ حصل اختلاف بين أعضائه فنُقل إلى نايف أker واتبع الماسونية الحديثة وتسجّل بنمرة ١٠.

(٤) محفل رَمَر وكريبيس تفرن الذي كان يجتمع في كُلَّ رو وستمنستر ثُقل إلى هورن تفرن في نيو بالس، حيث داوم اجتماعاته. ولما رأى أن الماسونية القديمة العملية التي حافظ عليها تكاد تتلاشى وحل محلها الماسونية الحديثة التي أخذت جماعة من أعضائه نبراًساً لها اتفق أعضاؤه أن ينضموا إلى محفل آخر حديث تحت رعاية المحفل الأكبر الإنكليزي، وكان محفل سمرست هوس من المحافل الزاهية فانضموا إليه.

وهذه المحافل الأربع حافظة كل المحافظة على ترتيبها ونظمها مدة قيامها كلها، واستعملت كل حقوقها وامتيازاتها التي خولتها فكانت تقبل الماسون وتولي الرئاسة للرؤساء وتنتخب موظفين وغير ذلك من الأعمال التي كانت مستقلة عن المحفل الأكبر، وأما غيرها من المحافل فلم يكن لها هذا الحق. وامتدت الماسونية بعدها تقدم امتداداً عظيماً لا يصدق وعمت أطراف المعمور الأربع في خمس وعشرين سنة، وأصبحت هي وحدها القابضة على زمام الأحوال، وما لها في ذلك غاية سوى تنظيم الأعمال وتطبيقاتها على الشرائع الإلهية، فدخلت من إنكلترا إلى فرنسا أولاً، ثم منها إلى بلجيكا فهولاندا فألمانيا فأميركا فالبورتغال فإسبانيا فإيطاليا فسويسرا فاسوج فبولونيا. وفي سنة ١٧٤٠ أنشئت المحافل العظيمة في الدنمارك وروسيا وجزائر الأنبار وأفريقيا والهند، ومن هناك شعبت فعمت آسيا بما فيها من الجزر والبلدان.

فإذا كانت الماسونية قد تركت البناء و شأنه ولم تعد تهتم به ولبنت محافظة على التقاليد والرموز الأولى التي أُنزلت عليها، وكفَّت عن إنشاء الكنائس وتشييد المعابد التي ترفع قلوب الشعب نحو الله وتصيرهم أبناءً صالحين، فإنها لم تكف قط عن عمل الخير وإنشاء ما هو خير من تشييد المنازل والقصور وزخرفة الحجارة وتزويقها؛ ألا وهو تهذيب الأخلاق، والأمر بعمل الخير والنهي عن إثيان الشر وارتكاب المنكر آمرة بمحبة أخيه تشمل كل أعضائها مهما تفرق نزعاتهم واختلفت لغاتهم وتبينت غایياتهم، وهذا سُرُّ تقدمها السريع وانخراط الجميع في عددها من رفيع ووضيع شهادة حقًّا لها من الأيدي البيضاء تحت القبة الزرقاء.

وسنأتي إن شاء الله في الجزء التالي من هذا الكتاب على تاريخ الماسونية الحديثة في كل مملكة من ممالك العالم، والله سبحانه ولي التوفيق.

وهذه المحافل الأربعية حافظة كل المحافظة على ترتيبها ونظمها مدة قيامها كلها، واستعملت كل حقوقها وامتيازاتها التي خولتها فكانت تقبل الماسون وتولي الرئاسة للرؤساء وتنتخب موظفين وغير ذلك من الأعمال التي كانت مستقلة عن المحفل الأكبر، وأما غيرها من المحافل فلم يكن لها هذا الحق.

وامتدت الماسونية بعدما تقدم امتداداً عظيماً لا يصدق وعممت أطراف المعمور الأربعية في خمس وعشرين سنة، وأصبحت هي وحدها القابضة على زمام الأحوال، وما لها في ذلك غاية سوى تنظيم الأعمال وتطبيقاتها على الشرائع الإلهية، فدخلت من إنكلترا إلى فرنسا أولاً، ثم منها إلى بلجيكا فهولاندا فألمانيا فأميركا فالبورتغال وإسبانيا وإيطاليا فسويسرا فاسوج فيبولونيا. وفي سنة ١٧٤٠ أنشئت المحافل العظيمة في الدنمارك وروسيا وجذائر الأننتيل وأفريقيا والهند، ومن هناك تشعبت فعممت آسيا بما فيها من الجزائر والبلدان.

فإذا كانت الماسونية قد تركت البناء وشأنه ولم تعد تهتم به ولبست محافظة على التقاليد والرموز الأولى التي أُنزلت عليها، وكفت عن إنشاء الكنائس وتشييد المعابد التي ترفع قلوب الشعب نحو الله وتصيرهم أبناءً صالحين، فإنها لم تكتف فقط عن عمل الخير وإنشاء ما هو خير من تشييد المنازل والقصور وزخرفة الحجارة وتزييقها؛ ألا وهو تهذيب الأخلاق، والأمر بعمل الخير والنهي عن إثيان الشر وارتكاب المنكر آمرة بمحبة أخيوية تشمل كل أعضائها مهما تفرّقت نزعاتهم واختلفت لغاتهم وتبينت غایياتهم، وهذا سُرُّ تقدمها السريع وانخراط الجميع في عددها من رفيع ووضع شهادة حقّ عمّا لها من الأليادي البيضاء تحت القبة الزرقاء.

وسنأتي إن شاء الله في الجزء التالي من هذا الكتاب على تاريخ الماسونية الحديثة في كل مملكة من ممالك العالم، والله سبحانه ولي التوفيق.

إيضاحات

انتهينا والحمد لله من طبع ملخص تاريخ الماسونية العملية، وقد اعتمدنا فيما نقلناه على تأليف بريستون وفندل الإنكليزيين وريبيولد الفرنسي وكتب أخرى من تاريخية وغيرها لا حاجة بنا إلى ذكرها وتوسعا قليلاً عن ذكر الملوك الذين حموا هذه الجمعية أو انضموا إليها، ولم نتوسع في الكلام عن محفل كولونيا وغيره من المحافل العملية؛ لأنه ليس لدينا تاريخ يوثق به لنقل إلى القراء صحة ما تضمنه، ولكن جل ما يروى عن مثل هذه المحافل مأخوذ من التقليدات الماسونية التي تداولها الخلف عن السلف. وقد فاتنا أشياء كثيرة كان الواجب أن نضعها في أماكنها، ولكننا سنسد ركها في الكلام عن الماسونية الرمزية فننسب فيها عن كل مملكة من ممالك العالم التي دخلتها الماسونية ونشفع ذلك باللاحظات الواجبة.

محفل كلوين

ومما كان ينبغي أن نسب الكلام عنه محفل كلوين وكيفية نشأته، وفي أي بلاد هو وزيادة لإيضاح ما نشرنا عنه نقول:

إن كلوين بلدة صغيرة على مقربةٍ من مدينة إدنبرو في اسكتلندا فيها دير شهير قديم آثاره باقية إلى الآن — وأول ما عرف عن تاريخها الماسوني أن أحداً اسمه هيمورفيل جاءها وبنى فيها سنة 1140 محفلًا سماه باسم القديس وين، وكان ذلك في حكم الملك داود الأول من ملوك اسكتلندا، وبني المحفل بناءً على جانب جاءوا من مدينة كولون في ألمانيا. ونظرًا لقدم هذا العهد يعتبر محفل كلوين أساس الماسونية الاسكتلندية، كما أن محفل يورك أساس الماسونية الإنكليزية، وقد عفت أكثر آثار

هذا المحفل، ولكن المعروف عنه إلى الآن أنه لما أعيد تنظيم المحافل الاسكتلندية سنة ١٥٩٨ اعترف الماسون بهذا المحفل، وجعلوا له المقام الثاني بعد محفل أدنبرج فلم يوافق أعضاؤه على ذلك، ثم اتفق الفريقيان وجعل محفل كلوين ينشئ فروعاً من عنده أشهرها محفل الهيكليين في مدينة دبلين الذي بُني سنة ١٧٤٤ أيام الماسونية الرمزية، وقد اشتهر هذا المحفل كثيراً بانضمام جماعة من المشاهير إليه، وسيأتي ذكره في المجلد الثاني عند الكلام على الماسونية الرمزية.

ومحفل يورك

إن محفل يورك كان يُعد بمثابة المحفل العام لكل إنكلترا؛ وذلك لأن يورك كانت مركز اجتماع الماسون السنوي في القرن السابع عشر وما قبله وكل الكتب المحفوظة خطأ إلى الآن تشير إلى قدمية هذا المحفل، وقد تفرع منه مدة وجوده محافل عديدة في الأنهاء المجاورة لمدينة يورك والمحفل الأعظم أيضاً في مدينة لندن، وذلك سنة ١٧١٧ وبطلت جميع المحافل الفرعية العملية حين أُغى محفل يورك العام. ولم تنشأ لهذا المحفل فروع في غير إنكلترا، وكان مضاداً في مبادئه للماسون المعروفيين بلندن باسم أولو ATHOL MASON'S ولا تزال جميع وقائع هذا المحفل القديم وأوراقه الرسمية محفوظة بالاعتناء التام، وأوجب هذا الاعتناء بحفظها ثناء الرئيس الأعظم اللورد زيتلاند، وبقية أعضاء العشيرة. وقد استعمل هذا المحفل درجة العقد الملوكي قبل إلغائه بقليل، وظلّت يورك مقرَّ الماسون العام إلى سنة ١٧٩٢.

ومحفل سترايسبرج (سترايسبرج عاصمة الألزاس واللورين الآن)

جاء في تاريخ الأب كرانديه عن الماسون أنه في سنة ١٢٧٥ ألف أروين شتينباخ جمعية من الإخوة الماسون العاملين التابعين ملل متفرقة، وذلك في مدينة سترايسبرج، وأنشأ لذلك ثلاثة فروع بُنِيَّا في ألمانيا وفي بقية أنحاء أوروبا، حتى إذا جاءت سنة ١٤٥٩ اعترف المحفل الأعلى في راتسبيون أن رئيس محفل سترايسبرج يعتبر رئيساً أعظم مستديماً وصادق الإمبراطور مكسيميليان على ذلك سنة ١٤٩٨. والظاهر من تاريخ فندل أنه بقي معترف بسيادة المحفل الماسوني في سترايسبرج بين الماسون الألمان إلى سنة ١٧٢١. وبقية المحافل العملية ذكرت في أماكنها ولا حاجة بنا إلى زيادة تفصيلها في هذا المقام.

تنبيه

في هذا الكتاب بعض كلمات ينبغي توضيحها، ولا سيما في تهجئة الأسماء التي تلفظ بالفرنسوية غير ما هي في الإنكليزية مثل اسم جاك بالفرنسوية التي هي جمس بالإنكليزية، والأولى تسمية جمس كما يقوله الإنكليز، واسكتوسيا التي هي اسكتلندا، وبعض أسماء تكررت باسمين مختلفين حسب اصطلاح الإنكليز والفرنسويين فاقتضى التنويه عنها.

وأما بعض الأغлат فنوجت من اعتمادنا أولاً على تاريخ أمانويل ريبولد الفرنسي، وهي أغلات طفيفة بجانب فوائد ذلك التاريخ، وقد أصلحنا أكثرها في الحواشي مثل تهجئة أللستان بألسون ودعوه شقيقه أدون ابنه وغير ذلك مما لا فائدة في إعادةه، وكان يجب علينا التدقيق في هذه الأمور قبل الطبع، ولكن هذا ليس بالأمر الجوهرى الذي لأجله وضعنا هذا الكتاب، والعصمة لله وحده في كل حال.

استدراك

جاء في الانسكلوبيديا الماسونية الإنكليزية أنه إذا رام المؤرخ المدقق أن يسهب في الكلام عن المحافل الألمانية أجبر أن يخطّ مجلداً ضخماً فيه مئات من الصفحات، ولا سيما إذا خطّ ما يرويه الخلف عن السلف من التقليدات، أما الذي لخصناه في هذا الكتاب نقلأً عن الثقات فيفي بالغرض المقصود منه، على أننا سنوجز في الجزء التالي كما ألمعنا إلى ذلك حالما نُفيض في الكلام عن الماسونية الرمزية في كل مملكة دخلتها، وأملنا أن من يعثر على فائدة تاريخية لها علاقة بالماسونية وفاتها نشرها يرسلها إلينا فنضيفها إلى الطبعة الثانية، أو نلحقها بالمجلد الثاني التابع لهذا.

مقابلة التواريخ الماسونية (نقلنا هذه النبذة عن كتاب شرح لوحدة الدرجة الثالثة المطبوع حديثاً بمصر)

البناؤون الأحرار التابعون لطريقة يورك والطريقة الفرنسوية (أي بناة إنكلترا واسكتلندا وأيرلندا وفرنسا وألمانيا وأميركا) يعتبرون مبدأ التاريخ عندهم من تاريخ الخلية ويعبرون عنه بالنور الحقيقي، ويكون ذلك بإضافة أربعة آلاف سنة على التاريخ الميلادي، فإذا أريد مثلاً أن يعبر عن ١٨٧٦ يعبر عنه ٥٨٧٦ للنور الحقيقي وفيه رمز لنور البناء.

وفي الطريقة الاسكتلندية (المسمى بالطريقة الاسكتلندية القديمة المقبولة) يعتبر ابتداءً التاريخ من الخلقة أيضًا، ولكن بناءً على هذه الطريقة يتبعون الطريقة العربية ويعتبرون سنة ١٨٧٦ سنة ٥٦٣٦، ويعتبرون أيضًا الأشهر العربية، وبناءً على ما ذكر فالسنة تنتهي في يوم ١٦ سبتمبر، والسنة الجديدة تبدأ في ١٧ منه الموافق لأول تشرين، وفي الطريقة القديمة الأصلية يعتبر التاريخ المصري ... و... ولدالة على مدة طويلة غير محدودة.

وفي طريقة يورك تبدأ السنة في أول يناير، ولكن في الطريقة الفرنساوية تبدأ السنة من أول مارس، ويكون بدل ذكر اسم الشهر ترتيبه مثلًا أول يناير سنة ١٨٧٦ ٥٨٧٦، يعبر عنه باليوم الأول من الشهر الحادي عشر من سنة ١٨٧٦ للنور الحقيقي. وبناءً طريقة العقد الملوكية يؤرخون بالابتداء من بناء الهيكل الثاني؛ أي قبل التاريخ الميلادي ٥٣٠ سنة، وبناءً على ذلك، فسنة ١٨٧٦ يوضع هكذا ٢٤٠٦ من الأنبياء في البناء المقامية.

والفرنساويون الملوكيون يؤرخون من تاريخ تأسيس طريقتهم في سنة ١١١٨، وبناءً على ذلك فسنة ١٨٧٦ تكون سنة ٧٥٨ للطريقة Anno Ordinis. وهناك جملة تواريХ مختلفة في الغرابة لا داعي لذكرها.

فصل في الملوك الماسونييـن المذكورـين في هذا الكتاب وتاريخ ولادـتهم وجلوسـهم على تخت الملك ووفـاتـهم

ولد سنة	وحكـم سنـة	وتـوفي سنـة مـ
٨٤٩	٨٧١	٩٠١
٨٧١	٩٠١	٩٢٤
٨٩٥	٩٢٥	٩٤١
١٠٠٤	١٠٤٢	١٠٦٦
١٠٢٧	١٠٦٦	١١٠٧
١٠٦٨	١١٠٠	١١٣٥

ألفـرـدـ الـكـبـيرـ مـلـكـ إنـكـلـتراـ
إـدـورـدـ الـأـكـبـيرـ مـلـكـ إنـكـلـتراـ ابنـ الـفـردـ
أـلـيـسـتـانـ مـلـكـ إنـكـلـتراـ
إـدـورـدـ الـعـتـرـفـ مـلـكـ إنـكـلـتراـ
ولـيمـ الـظـافـرـ مـلـكـ إنـكـلـتراـ
هـنـرـيـ الـأـوـلـ مـلـكـ إنـكـلـتراـ

إيضاحات

ولد سنة	وحكم سنة	وتوفي سنة م
١١٣٣	١١٥٤	١١٨٩ هنري الثاني ملك إنكلترا
١١٥٧	١١٨٩	١١٩٩ رتشرد الأول قلب الأسد ملك إنكلترا
١٢٠٧	١٢١٦	١٢٧٢ هنري الثالث ملك إنكلترا
١٢٣٩	١٢٧٣	١٣٠٧ إدوارد الأول ملك إنكلترا
١٢٧٤	١٣١٤	١٢٢٩ روبرت بروس ملك اسكتلندا
١٢٢٤	١٣٣١	١٣٧٠ داود الثاني ملك اسكتلندا
١٣١٢	١٣٢٧	١٣٧٧ إدوارد الثالث ملك إنكلترا
١٣١٦	١٣٧٠	١٣٩٠ روبرت ستورت الثاني ملك اسكتلندا
١٣٦٦	١٣٨٨	١٤٠٠ رتشرد الثاني ملك إنكلترا
١٣١٦	١٣٩٠	١٤٠٦ روبرت ستورت الثالث ملك اسكتلندا
١٣٦٧	١٣٩٩	١٤٣٧ هنري الرابع ملك إنكلترا
١٣٨٨	١٤١٣	١٤٢٢ هنري الخامس ملك إنكلترا
١٣٩٤	١٤٢٤	١٤٣٧ جمس الأول ملك اسكتلندا
١٤٢١	١٤٤٢	١٤٧١ هنري السادس ملك إنكلترا
١٤٢٠	١٤٤٤	١٤٦٠ جمس الثاني ملك اسكتلندا
١٤٥٣	١٤٦٠	١٤٨٨ جمس الثالث ملك اسكتلندا
١٤٤٣	١٤٦١	١٤٨٣ إدوارد الرابع ملك إنكلترا
١٤٧٢	١٤٨٨	١٥١٣ جمس الرابع ملك اسكتلندا
١٤٥٨	١٤٨٥	١٥٠٩ هنري السابع ملك إنكلترا
١٤٩١	١٥٠٩	١٥٤٧ هنري الثامن ملك إنكلترا
١٥١٢	١٥١٣	١٥٤٢ جمس الخامس ملك اسكتلندا
١٥٣٧	١٥٤٧	١٥٥٣ إدوارد السادس ملك إنكلترا
١٥٦٦	١٥٦٧	١٦٢٥ جمس ستورت ملك إنكلترا أو اسكتلندا

الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية

ولد سنة م	وحكم سنة م	وتوفي سنة م
١٦٥٨	١٦٢٥	١٦٠٠
١٦٨٥	١٦٦٠	١٦٣٠
١٧٠١	١٦٨٥	١٦٢٣
١٧٠٢	١٦٨٩	١٦٥٠
١٧٢٧	١٧١٤	١٦٦٠

أسماء الذين اشتهروا من البنائين

بعد التاريخ المسيحي.

سنة ب.م
١٠
٥٤
١٢٠
١٧٥
٢٩٣
٣٠١
٥٢٠
٥٣٠
٥٥٧
٦١١
٦٥٩
٦٦٠
٦٦٠

إيضاحات

	سنة ب.م
أغريقولا أسقف شالون	٦٨٠
القديس سوين	٨٧٦
أثلورد وصهره آثرد	٩٠٠
البرنس أدون ابن الملك إدوارد الأكبر	٩٢٤
الأمير عبد الرحمن	٩٢٦
ماكنتري الاسكتلندي	٩٤٠
ماجولس دى كلوني	٩٤٠
القديس دونستان	٩٥٩

سنة الألف بعد المسيح.

	سنة ب.م
غوندولف أسقف روشنستير	١٠٦٦
روجر مونغميري أرل أوفر شروسبري أستاذ أعظم	١٠٦٦
بيشيت نقاش كاترائية بيز	١٠٨٠
بلبل النقاش الهولندي	١٠٨٠
ريمي دى فيكان	١٠٨٠
هنري دى بلوا	١١٢٥
غلبرت دى كلير مركيز بمبروك	١١٣٥
دجوتى سالفى نقاش كنيسة بيز	١١٥٢
غيليون دى سانس النقاش الفرنسي	١١٧٥
بطرس كولتشرش	١١٩٩
بطرس ريوبييس	١٢٠٩
جيوفري فيتنس بير	١٢٠٩
روبرت لوزارخس وتوماس كورمون	١٢٢٨

الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية

سنة ب.م

جفتروي فتز بتر	١٢٣٤
روبرت دي كوت	١٢٤١
جيبار النقاش	١٢٤٨
أدي دي مونترييل	١٢٥٠
ولتر جفرد أسقف يورك	١٢٧٢
غلبرت دي كلير أرل أوفر كالوستستر	١٢٧٢
رالف لورد أوفر مونت هرمر	١٢٧٢
أروين دي شتيباخ	١٢٧٥
رينو دي كرمون	١٢٨٨
جان دي شيل	١٢٩٠
أرنولف دي لا بو	١٣٠٠
ولتر ستابلتون أسقف اكسسستر	١٣٠٧
جاك دي مولاي	١٣١٢
جان دي شتيباخ	١٣١٨
جان دي بيز	١٣٢٠
جيوبتو	١٣٢٨
أنكيزان	١٣٢٨
جان دي سبولي	١٣٥٠
وليم يواكيم أسقف ونشستر	١٣٥٠
روبرت بارنهايم	١٣٥٠
هنري يُول	١٣٥٠
سمعان لانكههام	١٣٥٠
هنري بكلي	١٣٨٠
توماس فتز آلن أرل أوفر سورى	١٣٩٩
هنري تشيتشيل أسقف كنتربرى	١٣٩٩
وليم وانغلىت أسقف ونشستر	١٤٤٢

إيضاحات

سنة ب.م

جان دي كولونيا	١٤٤٢
وليم سانكلار بارون دي روسلين	١٤٤٤
نقولا دي بورن	١٤٤٥
كونراد كوين	١٤٤٥
جوبس دوتزنجر	١٤٥٩
رتشد بيوتاشامب أسقف ساروم	١٤٧١
جاك دي فرانكبيرج	١٤٨٠
يوحنا أسلب	١٥٠٢
رجينالد براي	١٥٠٢
الكرييناول ولسي الأستان الأعظم	١٥٠٩
ثوماس كرومويل	١٥٠٩
هرمانوس الخامس أسقف كولونيا	١٥٣٥
يوحنا توتتشت لورد أوهلي	١٥٤٠
يوحنا بوينت أسقف ونشستر	١٥٤٧
السر توما ساكفيل	١٥٥٨
جان دي مديسيس	١٥٦٢
فرنسيس روسل أرل أوف بدنورد	١٥٦٧
السر ثوماس جريشام	١٥٦٧
تشارلس هورد أرل أوف اثنهام	١٥٨٨
جورج هاستنس أرل أوف هانتدون	١٥٨٨
أنيكوجونس	١٦٠٧
وليم هربرت	١٦٠٧
أرل أوف بمبروك	١٦٠٧
هنري دانفرس أرل أوف دانبي	١٦٣٠
ثوماس هورد أرل أوف أروندل	١٦٣٣
فرنسيس روسل أرل أوف بدنورد	١٦٣٥

الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية

سنة ب.م

إلياس أشمول	١٦٤٦
جورج متك	١٦٦٠
هنري جرمين أرل أوفر سانت ألبانو	١٦٦٢
يوحنا دنهام	١٦٦٢
السر خريستوفور ورن	١٦٦٢
ثوماس سافاج أرل أوفر ريفرس	١٦٦٦
جببونس	١٦٦٧
أرل أوفر ريفرس	١٦٧٣
السر وليم بروس	١٦٧٣
جورج فيلارس دوق أوفر بوكتهام	١٦٧٤
هنري بنت أرل أوفر أرلينتون	١٦٧٩
تشارلس دوق أرتشموند ولينوكس	١٦٩٧
إدورد ستُرن	١٦٩٧
جنير	١٦٩٧
جان لوك الفيلسوف	١٧٠٤
ثيوفيلس ديزاغيه	١٧١٧
جورج باين	١٧١٧
الدكتور جمس أندرسون	١٧١٧
أنطوني ساير	١٧١٧

